علم الاجتماع العائلي

د. مهدى محمد القصاص
أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية الآداب – جامعة المنصورة

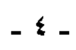
٢٠٠٨



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾

صدق الله العظيم



مقدمة

الأسرة نواة المجتمع ينمو فى رحابها الصغار حتى يبلغون مرحلة البلوغ والنضج . ومنذ ولادة الطفل يتلقى خلاصة الخبرة من أسرته ، وبفضل رعاية أسرته له صحيا واجتماعيا يشب وينمو وتكتمل ملكاته وقدراته الذهينة . ولقد عرفت المجتمعات بأشكالها المختلفة (سواء بدوية أو ريفية أو حضرية) الحياة الزوجية والحياة الأسرية . والأسرة بمفهومها الاجتماعى تعمل على استمرار بقائها ورسوخها واستقرارها عن طريق استمرار العلاقات الاجتماعية والثقافية ، ومن خلال التعليم والتدريب . وتنظم الأسرة سلوك النشئ وتراقب علاقاته بغيره من أفراد المجتمع .

والأسرة بشكلها البسيط تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين . ويطلق على هذا الشكل الأسرة النواة لأنها تتكون من جيلين فقط. وقد تتكون الأسرة من جيل واحد فى حالة العقم أو عدم الرغبة فى الإنجاب . والأسرة هى الخلية الأولى فى المجتمع وهى الوحدة الأساسية فى البناء الاجتماعى .

وكما تتأثر الأسرة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع وتؤثر أيضا فى البناء الاجتماعى كله عن طريق ما تورثه للأبناء من صفات حيوية أو وراثية ، ومن خلال الخبرات الأسرية والتراث الثقافى للآباء والأمهات . كما تتأثر صحة الطفل بالبيئة الداخلية والخارجية حتى قبل مولده ويعتمد ذلك على الظروف المادية والاجتماعية للوسط الذى تعيش فيه الأسرة متمثلا فى الإسكان والغذاء والحالة الصحية بالإضافة للعطف والحنان الذى يجب أن يتمتع به الأبناء فى الأسرة .

هذا ويتأثر سلوك الأبناء غالبا بدرجة ثقافة الوالدين ومدى التجــانس بينهما . فالجهل وتناقض الثقافة يؤدى إلى السلوك المنحرف أو فشل الأبنــاء فى التكيف مع ظروف البيئة والمجتمع .

ومما سبق يتضح أن الأسرة أهم الجماعات الإنــسانية ، وأعظمهــا تأثيرا فى حياة الفرد والمجتمع ، لذا فقد نالت اهتمام أغلب الباحثين ، خاصة دراسة تطور أشكالها أو تقلصها البنائى و الوظيفى ، حيث اعتقد البعض أنها تتقلص من أشكالها الكبيرة الممتدة إلى أشكال أصغر فأصغر باستمرار حتى تصل إلى الأسرة النووية ، والتى تمثل ذروة التطور . وبموجب ذلك تنحسر الأسرة الممتدة فى المجتمع الحديث . ولكن هذا الاعتقــاد لا يــصمد أمــام الشواهد التى تخالف ذلك فمازالت توجد بعض أشكال الأسرة الممتــدة فــى المجتمعات الحضرية والريفية على حد سواء .

كما يعد موضوع تطور أشكال الأسرة ووظائفها من الموضــوعات التى دار حولها الكثير من الجدل ، فهناك فريق من العلماء يرى أن الأســرة تأخذ شكلا خطيا فى تطورها ، وفريق آخر يرى أن تطور الأسرة قد يتخــذ شكلا دائريا فى بعض الأحيان .

فأصحاب الفريق الأول يميلون إلى الاعتقاد بأن الأسرة تتطور مــن أشكال كبيرة إلى ممتدة إلى أشكال أصغر باستمرار.وتعتبر آراء دور كــايم رائد فى هذا المجال، حيث أطلق ما أسماه بقانون تقلص حجــم الأســرة أو قانون التناقص.

أما أصحاب الفريق الثانى فيرون أن التطور فى شكل الأسرة يتخــذ شكلا إيقاعيا ، بل ودائريا بعض الأحيان وهذا يخضع لظروف معينة بالنسبة لكل مجتمع يجب الوقوف عليها وتحديدها فى كل حالة .

ويعتبر الزواج عقدا منظما ومشاركة بين الرجل والمرأة يترتب عليه مجموعة من الحقوق والواجبات للطرفين.وتتحدد مـــشروعيته فـــى نطـــاق الشريعة الإسلامية بأنه عقد يفيد حال استمتاع كل من الطرفين بالآخر علـــى الوجه المشروع.ويعضد ذلك قوله تعالى :"بسم الله الرحمن الرحيم ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم مودة ورحمة صدق الله العظيم . وفى الواقع ينُظـــر إلى الزواج باعتباره عقدا شرعيا بين الرجل والمرأة يتم غالبـــا فـــى كنـــف الأسرتين ،وتتحدد إجراءاته ،بشكل رسمى .

وعند الحديث عن الأسرة والعلاقات الأســـرية لابـــد وان نتعـــرض للحقوق والواجبات والأدوار بين أفراد الأسرة ، تلك الأدوار التى تتعـــرض للتعديل كى تتناسب مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . كمـــا ترتبط التغيرات فى بنية الأسرة ارتباطا وثيقا بعمليات التحديث والتـــصنيع ، حيث أصبحت ساعات العمل أقل عن ذى قبل وأصبح العمل اقل إرهاقا . هذا فضلا عما طرأ من ارتفاع متوسط العمر ، وقلة عدد أفراد الأسرة من خلال تنظيم الأسرة خاصة بعد أن تغيرت وجهات نظر الأمهات واتجه المجتمـــع لقبول مبدأ المساواة بين الرجل و المرأة فى الحقـــوق والواجبـــات والأدوار سواء فى داخل الأسرة أو خارجها.

والأسرة فى طبيعتها اتحاد تلقائى تؤدى إليه الاستعدادات والقـــدرات الكامنة فى الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع وهى ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشرى ودوام الوجود الاجتماعى ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لابقاء أحدهما دون الأخر وهما الرجل و المرأة والاتحـــاد الـــدائم المـــستمر بينهما يتم بصورة يقرها المجتمع تتمثل فى الأسرة . ويرى بعض العلماء أن الإنجاب شرط ضرورى لاستكمال الأسرة لمقوماتها الذاتية غيـــر أن هـــذا

الاعتبار خاطئ إذ أن عدد من الأسر عقيمة ولا تقلل هذه الظاهرة من شانها ويذهب كثير من المفكرين المحدثين وخاصة الأمريكان إلى إطلاق لفظ أسرة على كل وحدة إجتماعية مكونة من شخصين أو مجموعة أشـــخاص تكفــل لنفسها استقلالا اقتصاديا منزليا سواء كانت تربطهم قرابـــة أم لا . وبـــذلك يطلق مصطلح أسرة على مجموعة من الأصدقاء ويعيشون عيـــشة منزليـــة واحدة ، وهذا التعرف ينطبق أيضا على المؤسسات الاجتماعية التى ترعـــى مئات الأطفال ، ويذهب بعض المفكرين إلى أنه من الأفضل أن يطلق علـــى مثل هذه الوحدات ذات الطابع الاقتصادى والمعيشة الخاصة اسم " العائلـــة " سواء كانت مرتكزة على القرابة أو لم تكن – أما لفظ أسرة بالمعنى العلمـــى الاجتماعى فيكون مقصورا على نظم الأسرة الزواجية وما تنطوى عليه من اعتبارات متعلقة بنطاقها ومحور القرابة فيها هذا بالإضافة إلـــى الأشـــكال الزواجية التى تحددها والحدود والواجبات المتبادلة .

ويبدو واضحا من نظرة سريعة عبر التاريخ ، أن الأســـرة جماعـــة اجتماعية أساسية ودائمة ، ونظام اجتماعى رئيسى ، وليست الأسرة أســـاس وجود المجتمع فحسب بل هى مصدر الأخلاق والدعامـــة الأولـــى لـــضبط السلوك والإطار الذى يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحيـــاة الاجتماعيـــة ، وربما كان ذلك هو مجمل منظور علم الاجتماع إلى الأسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا ، ومع ذلك فإن رواده لم يهتمـــوا كثيـــرا بالوحـــدات الاجتماعيـــة الصغيرة كالأسرة فى تحليلهم للمجتمع ، ولذلك لم تنتعش دراسات الأسرة إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القـــرن العـــشرين علـــى يـــد علمـــاء الانثربولوجيا وعلماء الآثار الذين اهتموا بدراسة الأسرة فى الثقافات البدائية وفى الحضارات القديمة . ومنذ ذلك الوقت بدأت دراسات الأسرة تحتل مكانة

هامة فى العلوم   الاجتماعية .وقد أثار مؤلف ادوارد و سترمارك Edward Westermarkعن " تاريخ الزواج الإنسانى " The History of Human Mariage اهتماما كبيرا كمدخل لدراسة الأسرة .

وتواجه دراسات الأسرة مجموعة من الصعوبات ، أولها يكمن فـــى أنفسنا ، فكل فرد عضو فى أسرة ، وعضويته هذه تجعله يعتقد أن دراســة الأسرة أمر سهل وبسيط ، ومن المحتمل أيضا أن يتصور أن أى نسق أسرى آخر لا يتفق وأسرته لابد وأن يكون غريبا وشاذا ، ومن الملاحظ أن هنــاك ميلا عاما إلى مناقشة ما يجب أن يكون وليس ما هو قائم بالفعل ، ولهذا فإن ما قد يبدو للكثيرين من أن الذى لديهم من وضوح الرؤية بالنسبة لعلاقــاتهم الأسرية يمكن أن يحملهم على الاعتقاد بأنه ليس هناك ما يدعو إلى البحــث فى هذا الموضوع لأنه يدور حول أشياء نعرفها ونعيشها ، ولكن لو تتبعنــا الواقع فى أبعاده المتعددة لوجدنا أن كثيرا من المعتقدات المتــصلة بالأســرة ليس لها أساس ، وحينئذ تصبح " المسألة الأسرية "، بحاجة إلى دراسة عميقة حتى يمكن فهمها بصورة أفضل وفى نفس الوقت يتعين أن نختبر كثيرا من ملاحظاتنا الفردية المتراكمة عن الخبرات الأسرية فى النمط الذى ننتمى إليه لندرك كيف نتشابه أو نختلف مع المجتمعات الأخرى ، بل ربما أيضا مــع أنماط أسرية أخرى قائمة فى مجتمعنا . ويؤيد ذلك أن الدراسات المتنوعة فى ميدان الأسرة أظهرت اختلافات هامة فى أنماطها فى المجتمع الواحد . فأسر الطبقة العليا تختلف عن طبقــة العمــال مــن حيــث التكــوين البنــائى ، والأيديولوجية وفرص الحياة والأدوار الزوجية ، وفى أسلوب الحياة . وهذا فضلا عن الاختلافات الثقافية الواسعة النطاق إذا أدخلنا عددا من المجتمعات فى الاعتبار . وربما كان ذلك هو الذى أدى بكثيــر مــن المهتمــين بعلــم

الاجتماع الأسرى إلى القول بأن تعدد أنماط الأسرة فى المجتمع يعتبر مـــن أبرز ملامح المجتمعات المعاصرة ويأتى دور التقدم فى وسائل الاتصال وما يترتب عليه من تغير وتبدل فى العلاقات الأسرية وغيرها فى ظل المتغيرات الدولية وفيما يلى نعرض لوصف المقرر وهدفه .

وصف المقرر وهدفه

يهدف هذا المقرر إلى تعريف الطلاب بمحتوى علم الاجتماع العائلى وأهمية دورة فى المجتمع، لأن مسألة تكوين الأسرة والمحافظة على العائلة واستمرارها مسألة أساسية فبعد انتهاء مرحلة التعليم والبحث عن فرصة عمل يريد كل شاب أن يستقل بحياته ويختار الشريك الآخر لهذه الحياة ويعد الزواج عقدا منظما وشرعيا بين الرجل والمرأة يترتب عليه مجموعه من الحقوق والواجبات للطرفين .

ولأن كل فرد فينا عضو فى أسرة وعضويته هذه تجعله يعتقد أن دراسة الأسرة أمرا سهلا وبسيطا ،وربما يتصور أن أى نسق أسرى آخر لا يتفق وأسرته لابد أن يكون غريبا وشاذا من هنا تأتى أهمية الحاجة إلى دراسة الأسرة والمعتقدات المتصلة بها دراسة عميقة حتى يمكن فهمها بصورة أفضل من حيث (أنماطها–تكوينها– الأيديولوجية وفرص الحياة – الأدوار الزوجية –أسلوب الحياة –الاختلاف الثقافى ..) .

والأسرة بشكلها البسيط تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين ويطلق على هذا الشكل الأسرة النواة لأنها تتكون من جيلين فقط والأسرة هى الخلية الأولى فى المجتمع وهى الوحدة الأساسية فى البناء الاجتماعى وتتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع وتؤثر أيضا فى البناء الاجتماعى للمجتمع ككل فهى أساس وجود المجتمع ومصدر التنشئة الاجتماعية والأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذى يتلقى فيه الإنسان أولى دروس الحياة الاجتماعية . والعلاقة الأسرية هذه تفرض حقوق وواجبات وادوار بين أفراد الأسرة .

والعائلة والأسرة أهم الجماعات الإنسانية وأعظمها تأثيرا فى حيـاة الفرد والجماعات لذا فدراستها ومعرفه مفهومها ونشأتها والتغير فى أشـكالها ودورها وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع ووظائفها البيولوجية والاجتماعيـة والاقتصادية وغيرها .

وأهمية الزواج والتأكيد عليه والعلاقة بين الزوجين ومهام كل مـن الزوج والزوجة وعلاقة الآباء بالأبناء والعكس.وأدوار الرجـل الاقتـصادية والاجتماعية والمرأة وأدوارها المتعددة كربه منزل ومربية وعملية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية وشروطها والمشكلات الأسرية وأساليب علاجها والتغير فى المجتمع وانعكاساته على الأسرة وأهمية صلاح العائلة لصلاح الأمة .

وذلك بهدف إكساب الطلاب مجموعة من الخبرات لمـا يمكـن أن تكون عليه الأسرة والعائلة للوصول بها إلى أفضل نمط حياة قـادرة علـى التعايش وحل المشكلات لذا فقد قمنا بعرض لثلاث مشكلات بحثية أجريـت ميدانيا تهم الأسرة المصرية – البطالة – الإعاقة – سلوكيات الشباب .

وفيما يلى وصف المحتوى ويهدف هذا المحتوى إلى تعريف وإفهام وتحليل واستخدام الطالب لـ :

١- مفهوم الأسرة والعائلة ومقومات وأشكال الأسرة ودورة حياة حياتها.

٢- المداخل النظرية لدراسة العائلة والتغير والتصنيع وانعكاسة على بنـاء الأسرة وشكلها وأهميتها واستقرارها .

٣- الزواج وتكوين العائلة من حيث النشأة والتأكيد علـى أهميـة الـزواج والعلاقة بين الزوجين وتوقعات الدور والتوافق فى الزواج ومهام كل منهما .

٤- العائلة بعض القـضايا والأدوار والوظـائف والاهتمامـات والتنـشئة الاجتماعية والمشكلات وأساليب مواجهتها .

٥- المرأة والحياة العائلية من حيث تعليمها ودورها كربة منزل وأدوارهـــا وعملية الإنجاب .

٦- الاقتصاد ومشكلات الأسرة من حيث مصادر الداخل وعمل المرأة .

ثم عرض الجزء الثانى للدراسات التطبيقية التى تشغل بال العائلـــة المصرية وتناقش عدد من المشكلات الحياتية التى تتعرض لها فـــى ضـــوء المتغيرات الدولية وهى :

٧- سلوكيات الشباب فى ظل المتغيرات الدولية .

٨- البطالة وأثرها على الأسرة ومصاحباتها الاجتماعية.

٩ - التمكين الاجتماعى لذوى الاحتياجات الخاصة .

- لتحقيق الهدف من ذلك المحتوى يستلزم استخدام بعض الوسائل منها :-

١- جهاز عرض الشفافيات .

٢- جهاز كمبيوتر .

٣- داتا شو .

٤- سبورة بيضاء وأقلام بألوان مختلفة .

- ويتم قياس ذلك من خلال التقويم وفق الأساليب الآتية:-

١- مناقشات وأوراق عمل .

٢- مجموعات عمل لحل الأسئلة .

٣- تقييم شهرى للطلاب .

٤- الاختبار التحريرى .



الفصل الأول
العائلة - الأسرة ودورة حياتها

أولاً : مفهوم العائلة .

ثانياً : مفهوم الأسرة .

ثالثا : مقومات الأسرة .

رابعا : دورة حياة الأسرة .



أولا: مفهوم العائلة

هناك العديد من المفاهيم المرتبطة بالعائلة وهى :

١ – العائلية Familism

شكل من أشكال التنظيم الاجتماعى يتميز بسيادة القيم العائلية التى تؤكد تبعية المصالح الفردية لمصالح ورفاهية العائلة ككل ، ويتميز هذا التنظيم بإحساس أعضائه القوى بالتوحد والولاء العائلى والعون المتبادل والاهتمام باستمرار وبحدة العائلة [١].

٢ – عائلة ملتحمة (متصلة) Family , Joint

مصطلح يستخدم عموما للإشارة إلى نمط من الأسر المركبة أو الممتدة ، يتكون من عدة أسر نووية ترتبط ببعضها البعض بروابط القرابة أو النسب [٢] .

٣ – العائلة الأصلية (الكبيرة) Stem Family

صاغ هذا المصطلح فريدريك لوبلاى (١٨٥٥) للإشارة إلى شكل معين من أشكال الأسرة كان منتشرا بين عائلات كبار الملاك الأثرياء فى المناطق الريفية من أوربا . وكانت حقوق ملكية الأرض أو الثروة تنتقل من جيل إلى جيل ، وكان كل وارث يصبح بؤرة التنظيم العائلى فى هذا الجيل[٣].

٤ – عائلة ممتدة Extended family

امتداد عضوية الأسرة إلى ما بعد حدود الأسرة النووية . وهذا الامتداد يمكن أن يشمل أفرادا من نفس الجيل أو من عدة أجيال . ويمكن تصنيف أشكال العائلة الممتدة طبقا للروابط بين الأسر النووية التى تكونها . فيمكن القول مثلا أن هناك العائلة الممتدة التى تضم أسر الأخوات أو أسر

الإخوة ، فى فرع الأم أو فى فرع الأب . وقد شاع استخدام تصنيف أنمـــاط الأسرة إلى ممتدة أو نووية كثيرا فى علم الاجتماع ، إلا أنه لا يعد ذا قيمـــة تحليلية فى علم الأنثروبولوجيـــا ، حيــث أن الدراســـات الأنثروبولوجيـــة للجماعات والشبكات القرابية ، تستخدم مجموعة من الفئـــات والتـــصنيفات المعقدة بدلا من التفرقة البسيطة بين الأشكال النووية والممتدة (٤).

٥- أسرة (عائلة) Family

أ- يمكن تعريف الأسرة الإنسانية . أنها جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تكون من رجل وامرأة (يقوم بينهمـــا رابطـــة زواجيـــة مقـــررة) وأبنائهما .

ومن أهم الوظائف التى تقوم بها هذه الجماعة ، إشباع الحاجات العاطفيـــة ، وممارسة العلاقات الجنسية ، وتهيئة المناخ الاجتماعى الثقافى الملائم لرعاية وتنشئة ، وتوجيه الأبناء .

ويلاحظ أن الجماعة التى تتكون على الأساس السابق وتمارس هـــذه الوظائف تختلف فى بنائها إختلافا واضحا ، ومن ثم يتعـــين عنـــد تعريـــف الأسرة أن يتضمن التعريف الإشارة إلى النماذج المحتملة لهذه الجماعة .

ب- وتتألف الأسرة الإنسانية البيولوجية العامة من الآباء وأبنـــائهم، وقد تشتمل الأسرة البسيطة أبناء بالتبنى الرسمى ويطلق على هـــذا الـــشكل مصطلح الأسرة النواة Nuclear Family أو الأسرة المباشرة أو البيولوجية أو الأسرة الأولية أو الأسرة المحدودة .

ويتفق معظم العلماء على أن هذا الشكل البسيط للأسرة منتشر فـــى كافة المجتمعات .

جـ- ويقوم على هذا النموذج من نماذج الأسرة نماذج أخرى متعددة كالأسرة الممتدة Extended Family والأسرة الممتدة الزواجية التى تتكون عن طريق إضافة أزواج أخر (زواج الأخوة من امرأة واحدة البوليجامى).

د- وقد واجهت علماء الاجتماع صعوبة بالغة فى معالجـة الأسـرة نظرا لأنها تخلط بين سمات بيولوجية عامة لدى البشر ، وسـمات أخـرى عديدة .

فنجد مثلا ماكيفر يكتب عن الأسرة قـائلا : " أن الأسـرة جماعـة تعرف على أساس العلاقات الجنسية المستمرة على نحـو يـسمح بإنجـاب الأطفال ورعايتهم " غير أن هذه المحاولة للتوصل إلى تعريف ينطبق انطباقا عاما . تعتمد أساسا على الأهمية الاجماعية لإحدى الوظـائف البيولوجيـة الأساسية ، ومن ثم فهى تتجاهل طائفة كبيرة من الجوانب الثقافية الكامنة فى الأسرة . على أن ماكيفر وأن كان قد اهتم بالعامل البيولوجى ، إلا أنه يؤكـد مدخلا تاريخيا هاما فى علم الاجتماع وهو الطابع النظمى الذى تتخذه الأسرة لما تؤديه من وظائف مجتمعية هامة . ومع أن هذا المدخل يعـد ضـروريا لدراسة الأسرة ، إلا أنه يتعذر استخدامه كأساس وحيـد لتعريفهـا ، لأنـه يتجاهل العديد من الوظائف الشخصية للأسرة ونتيجة ذلك ، يتحدث علمـاء الاجتماع فى الوقت الحاضر عن التحول الذى طرا على نظام الأسرة ، حين تتجه إلى أن تصبح نوعا من الرابطة أو التفاعـل المـستمر بـين بعـض الأشخاص أو ما يسمى " بالمرافقة " .

لكن هذه النظرة أيضا تغفل أهمة الأسرة كجماعة إنـسانية عامـة . ونجد روبرت لوى R.H Lowie يكتب عن الأسرة قائلا : "أن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية القائمة على الزواج" ، اى أنه يجعل من الأسرة ظـاهرة

ثقافية خالصة ، على حين انه يلاحظ أن بيلز و هيوجر يـصفان الأسـرة " جماعة اجتماعية تربط بين أعضائها روابط القرابة " .

ويحتاج هذا التعريف بالطبع إلى تحديد معنـى القرابـة أو روابـط القرابة ، حتى يمكن إدخال الزوجين ضمن الأسرة . وهكذا ، نلاحـظ أن أى تعريف مقبول للأسرة يجب أن يأخذ فى الاعتبار كلا من الجانـب الثقـافى والبيولوجى ، ويحسب حسابا للخصائص النظامية والشخصية على السواء .

هـ- ويحاول جيلين أن يحدد أهم خصائص الأسـرة مـن خـلال وضعها فى الإطار البيولوجى الثقافى الملائم ، فهى : أولا : تتميز بوجـود رابطة زواجية بين عضوين على الأقل من جنسين مختلفين ، ثانيا : تعترف ببعض صلات الدم التى تتبنى عليها مصطلحات القرابة والتزاماتها ، وثالثا : تشير إلى شكل معين من أشكال الإقامة . ورابعا: تقوم على مجموعة وظائف شخصية ومجتمعية تمارسها الأسرة .

و- ويعرف بيرجس E.W Burgess ولوك H.J.Locke الأسـرة فى كتابهما The Family بأنها :

"جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والـدم أو التبنـى ويعيشون معيشة واحدة ، ويتفاعلون كل مع الأخر فى حدود أدوار الـزوج والزوجة ، الأم والأب ، الأخ و الأخت ، ويشكلون ثقافة مشتركة " .

غير أن هذا التعريف الذى يقدمه بيرجس ولوك لا يعد تعريفا كافيا للأسـرة لأن الروابط الأسرية التى أشارا إليها قد تتطلب فى بعض المجتمعات اعترافا اجتماعيا بحيث لا يقتصر فيها على مجرد أنجاب الطفل فى الأسرة . ففـى بعض المناطق بميلانيزيا مثلا قد لا تتحدد الأسرة التى ينتمى إليها الطفل عن طريق الولادة ، بل تتحدد عن طريق أداء بعض الأفعال الاجتماعية .

فالرجل الذى يدفع أجر القابلة يعتبر أبا للطفل كما تعتبر زوجته أمـــا له . كما أن هناك مجتمعات لا يعرف فيها بوضـــوح الـــدور الفـــسيولوجى للرجل فيما يتعلق بإنجاب الطفل.

وعموما ، فإن من اهم الانتقادات التى توجه إلى تعريـــف بيـــرجس ولوك . أنهما أغفلا الاختلافات الجوهرية التى تظهر حول طبيعة بناء الأسرة واهتمامها .

ز – وتعرف الأسرة النواة بأنها " جماعة صغيرة تتكـــون مـــن زوج وزوجة وأبناء غير بالغين وتقوم كوحدة مستقلة عن باقى المجتمع المحلى " . ويعتبر هذا الشكل الخاص من أشكال الأسرة من اهم خـــصائص المجتمـــع الصناعى الحديث ، لأنه يعبر عن الفردية التى تنعكس فى حقـــوق الملكـــة والأفكار والقوانين الاجتماعية العامة حول السعادة والإشباع الفردى .

كما يعبر أيضا عن عمليات التنقل الاجتماعى والجغرافى فـــى هـــذا المجتمع .

وتعد الأسرة النواة ظاهرة بارزة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ، لأنها تعتمد فى تماسكها على الجذب الجنسى والصداقة التى تقوم بين الزوج والزوجة ، وبين الآباء والأبناء . غير أنه سرعان مـــا تـــضعف الـــروابط الأسرية عندما يكبر الأبناء. سواء من خلال تأثير جماعات الأصـــدقاء ، أو نتيجة لعمليات التنقل الاجتماعى والجغرافى .

إلا أنه فى المجتمعات البسيطة أو التقليدية توجد رابطة تجمع عـــددا من الأسر النواة أو قد تخضع لبناء أسرى كبير ومركـــب . ولـــذلك يـــسمى فوجل P.F Vogel وبل N .W. Bell " كل تجمع أوسع من الأسرة النواة وتقوم روابطه على أساس من الانحدار أو الدم أو الزواج أو التبنى الأســـرة

الممتدة " . وفى هذا الصدد يميز ميـــردوك G.P Murdock بـــين شـــكلين أساسين من أشكال الأسرة المركبة : الأسرة الممتدة التى تتكون من أسرتين صغيرتين أو أكثر يرتبطان فيما بينهما من خلال إمتداد علاقة الابن المتزوج بوالديه ومثال ذلك ارتباط الأسرة النواة التى يكونها الابن المتـــزوج بأســـرة والديه (أسرة التوجيه) . ويختلف هذا الشكل عن الأسرة التعدديـــة التـــى تتكون من ارتباط أسرتين صغيرتين أو أكثر عن طريق الزيجات الجمعية أو عن طريق الاشتراك فى سلف واحد ، ويعرف هذا الـــشكل باســـم الأســـرة المتصلة (٥) .

ثـانـيـا : مـفـهـوم الأسرة

مصطلح خلافى فى علم الأنثروبولوجى يكتنف تعريفه المـــشكلات وعدم الاتفاق ، وإن كان شأنه شأن مصطلح وحدة المعيشة يـــستخدم بـــشكل غير دقيق ودون التزام بتعريف دقيـــق. وقـــد اســـتعرض يانيجـــا ســـاكو Yanigasako. هذا الموضوع . وقدم لنا تلخيصا ممتازا لكثير من القـــضايا الرئيسية المرتبطة بتعريف هذين المفهومين . وهناك اتفاق عـــام علـــى أن جوهر الأسرة هو علاقات القرابة ، على حين أن جوهر وحدة المعيشة هـــو الأنشطة المنزلية . وعلى ذلك فالأسرة ووحدة المعيشة يمكن تمييزهما عـــن بعضهما ، كما أنهما فى الواقع الإمبريقى كثيرا ما يختلفان أيضا عن بعضهما البعض . وفى دراسات المجتمعات القروية يستخدم مصطلح " أســـرة " فـــى الغالب للإشارة إلى جماعات قرابية مشتركة – ذات تعريف قانونى محـــدد ، وظيفتها الأساسية هى التحكم فى الثروة (خاصة الأرض الزراعية) .

ولكن مثل هذا التعريف الوظيفى للأسرة لا يصلح للاستخدام فى كثير من المجتمعات (سواء القبلية أو الصناعية) . حيث تكون مسئولية حيـــازة

الثروة والأرض الزراعية وغيرها من الأنشطة الاقتصادية من اختـــصاص جماعات أخرى غير الأسرة . وهناك محاولات أخرى لتعريف الأسرة على أسس وظيفية ، من بينها تلك التى تعرفها بالإشارة إلى وظائفها الجنسية ، أو الإنجابية ، أو تنشئة الأطفال ، أو غيرها من الوظائف المنزلية . ومع ذلك ، وكما أوضح يانيجا ساكو ، فليست هناك وظيفة واحدة ، أو مجموعة وظائف يمكن القول بأنها منتشرة عالميا ، وأنها تمارس بواسطة مجموعة من الأفراد الذين تربطهم قرابة الدم ويمكن أن نطلق عليهم إسم " أسرة " لهذا الــسبب اتجه كثير من علماء الأنثروبولوجيا إلى رفض التعريفات الوظيفية، مفضلين عليها التعريفات البنائية .

وهكذا يعرف جود إنف Goode nough الأسرة النووية العالميــة بأنها تلك الجماعة التى تتكون من امرأة وأطفالها الذين تقوم علـــى تـــربيتهم وعندما تضم تلك الجماعة الأسرية فضلا عن ذلك الأب (زوج المـــرأة) ، يطلق عليها جودإنف اسم " الأسرة الزواجية الأولية " . أما عندما تضم هـــذه الجماعة إلى جانب ذلك أقارب دمويين للمرأة (غير أطفالهـــا) فيـــسميها " الأسرة القرابية " (أو الأسرة ذات القرابة الدموية) . غير أن جودإنف لـــم يحدد المكونات الوظيفية لتلك العلاقات .

وقد توصل فورتس إلى صياغة تعريف يمكن أن يلقى قبـــولا لـــدى كثير من الأنثروبولوجيين حيث اعتبر الأسرة هى " النواة الإنجابية " للجماعة المنزلية . وهذه الجماعة الإنجابية قد تضم وقد لا تضم فى فترة معينة زوج المرأة . ولذلك فإن العلاقات الدموية القرابية أو المصاهرة يمكن أن تـــدرس تحت الموضوع العام : القرابة ، الذى لا يفترض سلفا أولويـــة معينـــة لأى جماعة أو وحدة بذاتها . وقد ذهب ليفى شتراوس إلـــى أن مفهـــوم الأســـرة

النووية بالاستخدام التقليدى غير ملائم وناقص من ناحية التحليلية ، لأن البناء الأساسى للعلاقات القرابية يتضمن دائما موضوع تقديم الزوجة أو علاقــات التحالف ، وهو يمثل جزءا لا يتجزأ من ذلك البناء .

الأسرة النووية كما عرفها ميردوك باعتبارهــا تتكــون مــن الأم ، والزوج ، والأطفال ليست عالمية الوجود فى كل المجتمعات على نحــو مــا نرى على سبيل المثال عند شعب النايار Nayar فى جنوب الهند حيث تــتم علاقات الزواج فى أضيق الحدود ، وان الوحدة الاجتماعية المكونة من الأم وأطفالها ليست لها علاقة مهمة مع الأب أو زوج الأم.

لذلك نلاحظ أن الاتجاه الموروث عــن مالينوفــسكى وغيــره مــن الأنثروبولوجيين الذين يكزون دائما على الوظيفة الإنجابية ويعتبرونها جوهر وأساس الأسرة ،هذا الاتجاه يقعدنا عن دراسة التنوع الثقافى المقــارن فــى دلالة هذه الوظيفة الإنجابية ، وتفسيرها من النواحى الاجتماعيــة الثقافيــة . ويلاحظ يانيجا ساكو أن دراسات الأسرة فى ميدان الأنثروبولوجيا كثيرا مــا تميزت بالتعصب السلالى والتعصب للرجل ، مما دفعها إلى تجاهل المكــون السياسى لعلاقات المرأة ولوجهة نظر المرأة فى بناء الأسرة وعمليتها [٦] .

وقد اهتم عدد كبير من البحوث الأنثروبولوجية بدراسة التنوع الثقافى المقارن فى وظائف الأسرة وأشكالها ، رغم عدم الاتفاق حتــى الآن علــى تعريف للأسرة يصدق على كل الثقافات . وهكذا ظهرت عمليــات تنمــيط متضاربة،ركز بعضها على اختبار الفروض المتعلقة بالعموميــات النفــسية الاجتماعية ، على حين ركز بعضها الآخر على اختبار الفروض التطورية . ويلاحظ أن كثيرا من الدراسات الأنثروبولوجية للأســرة وبنــاء الجماعــة المنزلية يستند إلى فرض تطورى و/ أو نفسى مؤداه : أن الأسرة (النووية)

تمثل الوحدة الإنتاجية والإنجابية والاجتماعية الأساسية فى كل المجتمعات . وأن كل التجمعات أو التكوينات القرابية أو المكانية أو السياسية هى كيانات يدل التاريخ على أنها قامت واعتمدت عليها. ويرتبط هذا الرأى فى أعمال فورتس بنظرية تحليلية نفسية تعطى الأولوية للعلاقة بين الأم والطفل ، وأن كل العلاقات العاطفية والاجتماعية الأخرى إنما تنبع من تلك العلاقة ويعارض هذا التصور مفكرو النظرية البنيوية ونظرية التحالف(وخاصة ليتش ونيدهام) الذين يرون أن أساس الأنساق القرابية هى علاقة بين فئات وليس عموميات نفسية.

ويلاحظ أن التمييز الشائع فى علم الاجتماع بين أشكال الأسرة النووية والممتدة لم يستخدم كثيرا فى إطار الأنثروبولوجيا .ذلك أن الأنثروبولوجيا تتجه بدلا من ذلك إلى استخدام أسلوب أكثر دقة وإحكاما فى دراسة وتصنيف الأنماط العديدة للأسرة والجماعة المنزلية فى المنظور الثقافى المقارن .ومع ذلك فإن جانبا كبيرا من الجدل الذى دار عن الأسرة انصب حول ثنائية النووية والممتدة والفرض الشائع بأن التصنيع يؤدى إلى انهيار روابط الأسرة الممتدة . ويرى يانيجا ساكو أن الجانب الأكبر من تلك المناقشات زائف فى الحقيقة ، لأنه ينطلق من ثنائية شديدة الفجاجة تميز بين أشكال الأسرة الممتدة . لذلك يتعين إعادة صياغة تلك المناقشات فى ضوء استمرار وتحول الأشكال والوظائف الأسرية فى المجتمعات التى تشهد التصنيع والتغير الاجتماعى .

وقد ازدهرت المناقشات حول موضوع مستقبل الأسرة فى المجتمع الصناعى فى جانب منها بفضل الشواهد الأنثروبولوجية عن النسبية الثقافية لأشكال الأسرة ، وعن الفرض الشائع بان العلاقات الأسرية مسألة " طبيعية

".كما ركزت تلك المناقشات على موضوع العلاقة بـين الأسـرة والتنـشئة الاجتماعية والأنساق السياسية أو الإيديولوجية .

وتلك قضية معقدة لأن البحوث التاريخية عن الأسرة قد أوضحت أن هناك بعض صورة التناقض وعدم الاتساق بين أشكال الأسرة وقيمهـا مـن ناحية ،والنظم السياسية والاقتصادية الدينية فى المجتمع الكبير مـن ناحيـة أخرى .إن الأسر تعمل –من بعض النواحى –من خـلال عمليـة التنـشئة الاجتماعية على استمرار الأنساق الإيديولوجية وأنساق القيم فـى المجتمـع الكبير ،ولكنها يمكن أن تعمل –من نواح أخرى ،وفى ظل ظروف أخرى – على مناوءة أو محاربة تلك الأنساق ،خاصة فى فترات التغير الاجتماعى أو خلال عملية تكون الثقافات الفرعية (٧) .

الأسرة تنظيم اجتماعى

تعتبر الأسرة جماعة ذات تنظيم داخلى خاص ،كما أنها وحـدة فـى التنظيم العام للمجتمع .وعلى حين أننا نستطيع أن نبدأ بدراسة بعض مظاهر التنظيم الداخلى للأسرة ،إلا أن العلاقات التى تتميز بها ، والعمليـات التـى تجرى فيها لا يمكن تفهمها إلا إذا اعتبرناها إنعكاسا لموقف الأسرة كجـزء متفاعل فى مجتمع معين (٨) .

وهناك تقسيمات متعددة للأسرة من بينها : –

١ – أسرة نواة Family Atomistic

نموذج أسرى تميز أعضاؤه بدرجة عالية من الفرديـة وبـالتحرر الواضح من الضبط الأسرى ، مما يترتب عليه أن تعلـو مـصلحة الفـرد مصالح الأسرة ككل . وتمتاز الأسرة النواة بصغر حجمها ،حيث تتكون عادة من زوج وزوجة وأبنائهما غير المتزوجين ولا يحدث إلا نادرا وفـى ظـل

ظروف استثنائية أن يعيش أحد البناء المتزوجين مع والديهم . ويرى كثيــر من الباحثين فى علم الاجتماع الحضرى أن هذا النموذج من الأسرة هو الذى يتزايد انتشاره فى المجتمعات الحضرية (٩) .

٢- أسرة زواجية Family , Conjugal

أحد نماذج التنظيم الأسرى الذى تكون العلاقات الأساسية فيه قائمــة على محور العلاقة بين الزوج والزوجة أكثر من قيامهــا علــى العلاقــات الدموية وتقوم بالأدوار الهامة فى هذا النموذج الزوج والزوجة وأبناؤهما غير المتزوجين وإذا ضمت الأسرة أقارب آخرين فإن دورهم يكــون ســطحيا وثانويا ولا تشكل الأسرة فى هذه الحالة أو تتحول إلى أسرة ممتدة (١٠) .

٣- أسرة المرافقة(الرفقة) Family, Companionship

الأسرة التى يقوم السلوك فيها على " العاطفة والاتفاق المتبادلين بين الأعضاء " .وقد وصفها كل من أرنست بيرجيس F.W Burgess وهارفى لوك H .J Locke بأنها " نموذج مجرد أو نمط مثالى فــى مقابــل الــنمط المثالى للأسرة النظامية .

وقد ارتبط ظهور أسرة الرفقة بانهيار الاقتصاد التقليــدى ،واختفــاء الوظائف التربوية والدينية والترفيهية التى كانت تقوم بها الأســرة التقليديــة ،وتلاشى علاقات الجوار والمظاهر التقليدية الأخرى التى كانت تشكل احــد مصادر الضبط غير الرسمى وخصوصا فى المدينة الحديثة . ويرى كثير من دارسى الأسرة فى الوقت الحاضر وخاصة فى المجتمعات الغربية أن تبــادل العواطف أصبح يمثل وظيفة جوهرية لأسرة اليوم ومصدرا هامــا لــضبط سلوك أعضائها (١١) .

٤- أسرة مركبة Family ,Compound

نموذج أسرى يصاحب نظام تعدد الزوجات أو تعدد الأزواج حيث تتحد أسرتان نوويتان أو أكثر عن طريق الزوج المشترك أو الزوجة المشتركة (١٢) .

٥- أسرة قرابية (دموية) Family , Consanguine

أحد نماذج التنظيم الأسرى الذى ينصب التأكيد الأساسى فيه على روابط الدم بين الآباء والأبناء أو بين الأخوة والأخوات أكثر مما ينصب على العلاقة الزوجية بين الزوج والزوجة . ومعنى هذا أن علاقات القرابة الدموية تعلو على علاقة الزوجين وتشكل الأسرة القرابية أو تتحول عادة إلى أسرة ممتدة يعيش فى نطاقها جيلين أو ثلاثة (١٣) .

٦- أسرة التوجيه Family of Orientation

وتسمى أيضا " أسرة المولد " وهى تشير إلى الأسرة النووية التى ولد وتربى فيها الفرد (١٤) .

٧- أسرة زواجية Family of Marriage

تعرف أيضا باسم " أسرة التناسل " وهى أسرة نووية يكونها الفرد بالزواج وإنجاب الأطفال (١٥) .

٨- الأسرة المشتركة المتصلة Joint Family

يستخدم هذا المصطلح بنفس المعنى الذى يستخدم به مصطلح الأسرة الممتدة كما أنه يستخدم لوصف أشكال معينة من الأسرة الممتدة . ويدل بهذا المعنى الأخير ، أحيانا على أشكال الأسرة الممتدة التى تتكون من أسر نووية ترتبط فيما بينها بروابط القرابة (والزواج كالإخوة والأخوات المتزوجين وأسرهم) أو يدل على ترتيبات أخرى خاصة ناتجة عن ترابط عدة أسر نووية (١٦) .

ثـالـثـا : مقـومـات الأسرة

ترجع اهم مقومات الأسرة وخصائصها بصفة عامة إلى الاعتبارات الآتية : -

أ - الأسرة أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعى وهى أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشار فلا ترى مجتمع يخلو بطبيعته من النظام الأسرى لأنها أساس الاستقرار فى الحياة الاجتماعية .

ب - تقوم الأسرة على أوضاع ومصطلحات يقرها الدين و المجتمع فهى ليست عملا فرديا أو إراديا ولكنها من عمل المجتمع وثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية وهى فى نشأتها وتطورها وأوضاعها قائمة على مصطلحات المجتمع فمثلا الزواج ومحور القرابة فى الأسرة والعلاقات الزوجية والواجبات المتبادلة بين عناصر الأسرة كل هذه الأمور وما إليها يحددها المجتمع ويفرض عليهم الالتزام بحدودها .

جـ - تعتبر الأسرة الإطار الذى يحدد تصرفات أفرادها فهى التى تشكل حياتهم وتضفى عليهم خصائصها وطبيعتها ، والأسرة هى بؤرة الوعى الاجتماعى والتراث القومى والحضارى فهى التى تنقل هذا التراث من جيل إلى جيل آخر وهى مصدر العادات والتقاليد والعرف والقواعد السلوكية والآداب العامة ، وهى دعامة الدين والوصية على طقوسه ووصاياه ويرجع إليها الفضل فى القيام بأهم وظيفة اجتماعية وهى عملية التنشئة الاجتماعية . والأسرة هى المعلم الأول الذى يقوم بعملية الترويض الاجتماعى ، هذا ولكل أسرة سماتها الثقافية المستمدة أساسا من الثقافة العامة للمجتمع .

د- الأسرة بوصفها نظام اجتماعى تؤثر فيما عـداها مـن الـنظم الاجتماعية وتتأثر بها فإذا كان النظام الأسرى فى مجتمع ما فاسدا فإن هـذا الفساد يتردد صداه فى وضعه الـسياسى وإنتاجـه الاقتـصادى ومعـاييره الأخلاقية وبالمثل إذا كان النظام الاقتصادى أو السياسى فاسدا فإن هذا الفساد يؤثر فى مستوى معيشة الأسرة وفى وضعها القومى وفى تماسكها .

هـ- تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية وتبدو هذه الطبيعة واضـحة إذا رجعنا إلى تاريخ الأسرة فقد كانت قائمة فى العصور القديمة بكل مستلزمات الحياة واحتياجاتها وكانت تقوم بكل مظـاهر النـشاط الاقتـصادى وهـو " الاقتصاد المغلق " (الإنتاج لهدف الاستهلاك) (١٧) .

وعندما اتسع نطاق الأسرة واستقرت أوضاعها أصبح معظم الإنتاج العائلى من خصائص المرأة بينما ساهم الرجل بنصيب كبير فـى الأعمـال الإنتاجية خارج نطاق الأسرة .

و - الأسرة وحدة إحصائية اى يمكـن أن تتخـذ أساسـا لإجـراء الإحصائات المتعلقة بعدد السكان ومستوى المعيشة وظواهر الحياة والمـوت وما إليها من الإحصاءات التى تخدم الأغراض العلمية ومطالب الإصـلاح الاجتماعى . ويمكن ، أن تتخذ كذلك عينة للدراسة والبحث وعمل التجارب والمتوسطات الإحصائية وذلك للوقوف على طبيعة المشاكل الأسرية للقضاء عليها .

ز- الأسرة هى الوسط الذى أصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائـز الإنسان ودوافعه الطبيعية والاجتماعية وذلك مثل حب الحياة وبقـاء النـوع وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعى وتحقيق الدوافع الغريزيـة والجنـسية

والعواطف والانفعالات الاجتماعية مثل عاطفة الأبوة والأمومـــة والأخـــوة والغيرية وما إليها .

هـــ – يمكن أن تستخدم الأسرة كأداة لتحديد وضع الفرد فى نظـــام طبقى معين . فوضع الفرد الاجتماعى يتحدد من خلال انتمائه الأسرى ، كما أن شخصيته الثقافية الاجتماعية تتكون وتأخذ ملامحها وسط الجماعات التى ينتمى إليها وأهمها الأسرة، وفى هذا الصدد يجـــدر الإشـــارة إلـــى تقـــسيم الأنثروبولوجى الأمريكى رالف لنتون للمكانة الموروثة والمكانة المكتـــسبة وخلاصة هذا التقسيم أن هناك مجتمعات يتحدد فيها وضع الفرد من خـــلال وضع أسرته فى المجتمع " المكانة الموروثة " أو أن تتحدد مكانة الفرد مـــن خلال إنجازاته الفردية التى تجعله بالمثل محل تقـــدير المجتمـــع " المكانـــة المكتسبة " (١٨) .

١ –العلاقة بين الزوجين

الملاحظة فى الوقت الذى ضعفت فيـــه العلاقـــات، بـــين الوالـــدين وأبنائهما وأصبحت ذات طابع ذاتى وشخصى واضح ، ازدادت فيـــه قـــوة العلاقة بين الزوجين ،فازداد اقترابهما وتركزت علاقتهما وطالت مدة حياتهما التى يقضيانها مع بعضهما . وذلك بالطبع بافتراض سيطرة الزواج الواحدى ، واستمرار العلاقة الزوجية مدى الحياة ، أما الأسرة التى ينهى فيها الطلاق الحياة الزوجية فهذه لا نعنيها فى حديثنا هنا .

ويشر بعض المؤلفين إلى شواهد واضحة تؤكد هذه الظاهرة الجديدة حيث نجد اغلب التشريعات الحديثة فى أكثر البلاد الغربية الصناعية تـــضع قانون الزواج اسبق من قانون الأسرة . ولا يرجع ذلك فقط إلى أن الأســـرة

تبدأ حتما بالزواج ، ولكنه يرجع كذلك إلى أن الزوجين فى الأسرة الحديثة قد أصبحا يحتلان أهمية كبرى من الناحية البنائية .

وهكذا أصبح الزواج كما أصبح الزوجان يمثلان البـؤرة الأساسـية لهذا النمط الجديد الذى عرفناه عن الأسرة الحديثة ، والذى يتمتع الأطفال منذ سن مبكرة نسبيا بقدر من الاستقلال والتباعد عن الوالدين . وحتى بعد بلوغ أولئك الأولاد السن القانونية أو اكتمال تأهيلهم للحياة العملية فإنهم يتركـون بيت الأسرة ، ويبقى الزوجان وحدهما من جديد . ومـن ذلـك يتـضح أن الزوجين ليسا هما البؤرة الأساسية فحسب ، ولكنهما كذلك الوحدة الوحيـدة المستمرة باستمرار الأسرة ، منذ عقد الزواج وحتى الموت (١٩) .

الزواج فى كل مجتمع عبارة عن مجموعة من الأنماط الثقافية لإقرار الأبوة وتهيئة الأساس المستقر للعناية بالأطفال وتربيتهم، فالزواج هو بالفعل الوسيلة الثقافية الأساسية لضمان استمرار الأسرة والجماعة الأخرى القائمـة على القرابة .

ويرى برنارد باربر Bernard Barber أن الزواج علاقة مـستمرة مقبولة اجتماعيا بين رجل وامرأة أو أكثر ، وهى تسمح بالعلاقات الجنـسية بينهما بغرض الأبوة ، ويعد الزواج نمطا خاصا مـن العلاقـات المقبولـة بمجتمعنا وهى تتم وفق معايير وضوابط معينة ومن الممكن أن تنتهى تحت ظروف خاصة يحددها المجتمع . وأهمية الزواج ليس فى إقامة علاقة بـين شريكين ولكن أهميته فى العلاقات التى تربط بين عائلتيهما .

وتعكس الأمثال خصوصية العلاقة بين الزوجين " الرجل ومراته زى القبر وأفعاله " ، " الراجل ومراته زى الحلة وغطاها " ، إن كان الرجل بحر تكون المرة جسر " (الرجل والمرة : – الزوج والزوجة) .

وتبدو المرأة فى الأمثال الشعبية التى تدور حول العلاقة الزواجية لا حيلة لها غير أن تكون تابعة للرجل ،خاضعة له وفى حاجة إليه فهى تفضل الزواج مع التبعية أفضل من أن تكون بلا زواج " ضل راجل ولا ضل حيطة " " جوز من عود ولا القعود " أى أن الزوج مهما كان نحيف وضعيف فإنـــه أفضل من أن تقعد الفتاة بدون زوج ، وكذلك " أقل الرجال يغنى النسا " ، اى يجعلهن لا يحتجن أحد " خودى لك راجل بالليل غفير وبالنهار أجيــر " .أى انه يجعلها لا تحتاج لأحد فهو يحميها فى المساء ويسعى للعمل فــلا تحتــاج لأحد (٢٠) .

وقد تناولت العديد من الدراسات العلاقة بين الزوجين داخل نطـــاق الثقافات السائدة فى المجتمعات المختلفة ، وخاصة ما يتعلق بأدوار الرجــال والنساء ومكانة كل من الزوج والزوجة فى الأسرة من خــلال قــوة اتخــاذ القرارات الأسرية ، حيث أكدت أراء عديدة أن مساهمة الزوجة فـــى دخــل الأسرة يكسبها سلطة إتخاذ القرارات الأسرية ، إلا أن تلــك الآراء تواجـــه بعض الأعتراضات ، فهناك دراسات أخـــرى توضـــح أن هنـــاك عوامـــل اجتماعية واقتصادية تواجه الربط بين المكاسب الاقتصادية أو الدخل للزوجة وتبوئها لمكانة أعلى أو اكتسابها قوة اتخاذ القرارات نظرا لأن نسق التـــدرج الجنسى السائد فى أغلب المجتمعات التقليدية والنامية يقوم علـــى أســـاس أن الرجل مكانته أعلى من المرأة لإعتماد النساء عليهم ومسئوليتهم الاقتـــصادية عن الأسرة . وفى إطار الأدوار التقليدية لكل منهما .

أما فيما يتعلق باتخاذ القرارات فإن الأمثال الشعبية تسفه من استشارة المرأة ، بل نجعل من سمات الرجولة ألا يستشيرها فى اتخاذ القرارات فنجد

الأمثال "شاور مراتك واخلف شورتها" ،"شورة المرة تأخر سنة " ،" الراجــل ابن الراجل عمره ما يشاور مرة " ، " شورة المرة عوجة"

كما أن رضا الزوج عنها يكسبها سعادتها " اللـــى جوزهـــا يحبهـــا الشمس تطلع لها " وأيضا الدعوة لحسن معاملة الزوجة ليحترمهـــا النـــاس " اللى يقول لمراته يا عورة الناس تلعب بيها الكوة واللى يقولها يا هانم الناس تقف لها على السلالم " .

كما تشير الأمثال إلى أن الزوجة تعانى فى حياتها الزوجية " جــت العازبة تشكى لقت المتجوزة تبكى " ،ومع ذلك تفضل الزوجة بيت زوجهـــا مهما عانت فيه من مشاكل وتدعوها بعدم العودة لبيت والدها بعد خروجها منه لأنهم لن يرحبوا بعودتها مرة أخرى وتقول " يحرم على بيــت الأهليـــة لحسن يقولوا العاوزة جاية " قعدتى بين اعتابى ولا قعــدتى بـــين احبـــابى". (الأحباب : الأهل) ، وأيضا " جهنم جوزى ولا جنـــة أبويـــا " ،وتنـــصح الأمثال الشعبية الزوجة بالصبر وان تتحمل زوجها خير من طلاقها " الحرة صبرت فى بيتها عمرت " .

كما نجد الزوج مرتبط بزوجته وأهلها " سألوا جحا بلدك فـــين قـــال اللى فيها مراتى " ويدعوا المثل الشعبى الرجل بالتقرب لأم زوجته " بـــوس إيد حماتك ولا تبوس إيد مراتك " وهو ما يؤكد تأثير الأم على إبنتها لإسعاد زوجها [٢١] .

٢– سيطرة الطابع الذاتى على العلاقات داخل الأسرة

يمكن القول بصفة عامة بان العلاقات الموضـــوعية ، بـــل إن كـــل العلاقات التى يمكن صياغتها فى صورة رسمية ، داخل الأسرة الحديثة آخذة فى التراجع . ونلاحظ بادئ ذى بدء دخول تعديلات ملحوظة علـــى ســـلطة

الأب على الزوجة وعلى الأولاد ، حيث أنها تـسير فـي اتجـاه التخفيـف الواضح . ويشير رينيه كونيج فى هذا الصدد إلى اتجـاه بعـض القـوانين الوضعية فى كثير من البلاد إلى الكلام عن " سلطة الوالدين " لا عن سـلطة الأب" . فقط كما تعتبر الزوج " ممثلا " لسلطة الوالدين فـى التعامـل مـع المجتمع خارج الأسرة .

كذلك نلاحظ أن الأطفال لا يخضعون اليوم لـسلطة الأب أو سـلطة الوالدين من خلال قوة الجماعة الأسرية ، وإنما هم يخضعون لتلك الـسلطة بسبب كونهم قصرا ، أى بسبب عجزهم المؤقت عن الاسـتقلال والاعتمـاد على أنفسهم .

وفى مقابل هذا تزداد العلاقات الشخصية والذاتية داخل الأسرة أهمية واتضاحا ، بحيث تتفوق فى أهميتها على العلاقات الموضوعية أو الرسمية . ومن شأن هذا التطور أن يضيق نطاق تلـك العلاقـات الموضـوعية ذات الصياغة أو التحديد القانونى، ويوسع مجال العلاقات الحميمة التى تعتمد على التقرير الذاتى والذوق والحكم الشخصى .

وهناك اعتبارات من طبيعة مختلفة هى المسئولة عن هذا التطـور الجديد .فنلاحظ فى البداية أن تحول طابع العلاقات داخل الأسرة هو صـدى لسيطرة الطابع الفردى على الحياة الاجتماعية ونمو الشخصية الفردية كمـا يرجع هذا التطور إلى الاكتشاف الهام الذى أبرز لنا بوضوح انه من الصعب فى ظل ظروف الحياة الحديثة إخضاع تلك العلاقـات ، الأسـرية للتنظـيم والتحديد القانونى . فهى إما تخضع للتحايل على القـانون بـسهولة ،أو أن أطراف العلاقة لا يهتمون بفرض حقوقهم القانونية على الطـرف الآخـر . والظاهرة العامة على أى حال أننا لم نعد نستطيع تدخل القوانين فى صياغة

كثير من أمور حياتنا الشخصية . على خلاف الوضع فى الماضــى البعيــد حيث كان التراث الاجتماعى (ممثلا فى القواعــد الدينيــة أو العرفيــة أو غيرها) يتدخل إلى تحديد أدق تفاصيل السلوك الشخصى للفرد ، خاصة على مستوى العلاقات الأسرية،علاقة الزوج مع الزوجة، ومع والديه، ومع أبنائه ،وبين الأبناء وبعضهم .... إلخ [٢٢] .

٣- تصنيفات الأشكال الحديثة للأسرة : -

وضع علماء الاجتماع عدة تصنيفات لأشكال الأسرة من بينها الأسرة الثابتة وغير الثابتة ، والأسرة الاستبدادية والديمقراطية والأســرة الكبيــرة الممتدة والصغيرة المحدودة ،والأسرة كنظام اجتماعى وكمــشاركة وزمالــة ،إلى غير ذلك من التصنيفات التى سنتناول بعضها فيما يلى : -

أ - الأسرة من حيث الثبات

كان الفرنسى لبلاى Leplay أول من ميــز بــين الأســرة الثابتــة Stable والغير ثابتةUnstable وذلك خلال

دراساته عن أسر العمال فى أوربا فى منتصف القرن التاسع عشر ومثل الأسرة الثابتة بالأسرة الأموية حيث العلاقات ثابتــة ودائمــة وحيــث يتمسك أفرادها بالتقاليد ويشرف فيها رب الأسرة على المتــزوجين حــديثا يراقبهم ويرعاهم. أما الأسرة غير الثابتة فروابطها ليست دائمة بشكل ثابــت بل تتأثر بالتغير الاجتماعى ومثل هذا النوع بالأسرة الحضرية التــى تبــدأ بزواج الوالدين ثم يزيد حجمها نتيجة إنجاب الأطفال ثم ينقص حجم الأسرة عندما يكبر الأبناء ويستطيعون إعالة أنفسهم فيتركون الأسرة ثم تختفى تلــك الأسرة بوفاة الوالدين . وقد اهتم Leplay فى تحليله بثبات الأسرة من حيث

تكوينها وبنيانها ولم يعالج ثبات الأسرة من الناحية الوظيفية والديناميكية أى تفاعل أفراد العائلة مع بعضهم والعلاقة بينهم وبين المجتمع الخارجى .

ب – الأسرة من حيث الوظيفة

فرق ولكوكس Willcox منذ أكثر من ستون عاما بين نوعين من الأسرة من الناحية الوظيفية ،الأسرة الاستبدادية Despotic حيث تكون الزوجة ملكا للزوج وليست لها شخصيتها القانونية أى ليس لها حق الملكية أو التصرف فى الشئون المالية إلا بموافقة الزوج حيث تدمج شخصيتها القانونية فى شخصيته والأسرة الديمقراطية Democratic التى تقوم على أساس التآلف والتفاهم والمساواة بين الزوجين . وقد أشار ولكوكس إلى تطور السلطة فى الأسرة من الاستبدادية إلى الديمقراطية .

جـ – الأسرة كنظام اجتماعى وكزمالة ومشاركة

فرق برجس ولوك Burgess & Lok بين الأسرة كنظام اجتماعى حيث يكون سلوك أفرادها خاضعا للعرف والقانون والرأى العام ، والأسرة فى صورة زمالة ومشاركة حيث يتعامل الأفراد على أساس التفاهم والود والتوافق المتبادل بينهم . وقد قرر أن هذين شكلان مثاليان Ideal Types يمثلان قطبين متباعدين ..الأول يحدده تماما الضغط الاجتماعى على أفراد الأسرة والثانى يرتكز على دعائم الود المتبادل والعلاقة الوثيقة بين أفراد العائلة .

والواقع أن الأسرة كنظام اجتماعى صرف أو باعتبارها زمالة ومشاركة صرفه لم توجد فى الحياة الواقعية قديما أو حديثا بشكلها النظرى المطلق وإنما هناك تقارب بين الأسرة الأبوية الكبيرة وبين الأسرة كنظام زمالة ومشاركة [٢٣] .

د – الأسرة الأبوية الكبيرة أو الديمقراطية الصغيرة

يمكن حصر أوجه الخلاف بين الأسرة الأبوية الكبيرة (الممتدة) Extended Family والأسرة الديمقراطية الحديثة الصغيرة (المحددة) Nuclear Family فى النقاط الخمسة الآتية : –

– تتكون الأسرة الأبوية الكبيرة من ثلاثة أو أربعة أو خمسة أجيال بينما تقتصر الأسرة الحديثة الصغيرة على الزوج والزوجة دون أطفال أو بطفل أو أكثر .

– تتركز سلطة استبدادية فى الأسرة الأبوية فى يد رئيس الأسرة ويتبع أوامره الزوجات والأولاد والأحفاد بينما تقوم الأسرة الحديثة على أساس المساواة والتفاهم والمشاركة بين الزوج والزوجة والأولاد كلما كبروا.

– فى الأسرة الأبوية يرتب الوالدين زواج أولادهما وفقا للاعتبارات الاقتصادية والمركز الاجتماعى أما فى الأسرة الحديثة فيتم الزواج بين الشابين المتزوجين على أساس الاختيار والحب والتوافق الشخصى بينهما .

– يذعن أفراد الأسرة الأبوية لتقاليدها ومبادئها بينما يتزعزع ذلك فى الأسرة الحديثة حيث يسعى أفرادها لابتغاء السعادة وابتداع الأشياء الجديدة .

– توجد فى الأسرة الأبوية الكبيرة الوظائف التقليدية للأسرة فى النواحى الاقتصادية والتعليمة والدينية والصحية والترفيهية فلقد تخلصت الأسرة الحضرية الحديثة من معظم هذه الوظائف.

ومما هو جدير بالذكر أن عالم الاجتماع الإنجليزى هربت سبنسر Herbert Spencer ذكر فى عام ١٨٧٦ انه بظهور قانون وحدانية الزوج والزوجة فى ذلك الوقت كانت الناحية القانونية هى الناحية الهامة فى الزواج

بينما كادت تنعدم الناحية العاطفية ، وتنبأ سبنسر بأنه سوف يأتى الوقت الذى تكون فيه الناحية العاطفية أساسا للرابطة الزوجية ،ويبدو أن تنبؤات سبنسر فى طريقها حاليا إلى التحقق ليس فقط فى المجتمع الأمريكــى وأوربــا بــل وأيضا فى معظم الزيجات فى الدول المتقدمة أو الدول التقليدية مثل أفريقيــا وأسيا (٢٤) .

رابعا : دورة حياة الأسرة

يشير هذا المصطلح إلى تتابع الأحداث التى تمر بأسرة معينة منــذ قيام الزوج حتى وفاة الزوجين وما يحدث خلال هــذه الفتــرة . طالــت أم قصرت ، من ميلاد أو زواج للأبناء ،وكذلك العمليات والمناسبات المختلفــة التى توجهها ،وتربية الأطفال وتنشئتهم وهذا إلى جانب الظروف العديدة التى تصاحب سن الشيخوخة (٢٥) .

١ – دورة حياة الأسرة

بصرف النظر عن العدد الضئيل من الأسر الممتدة فى المجتمعــات الصناعية المعاصرة يمكن القول بان الأسرة الحديثة تقتصر فى العادة علــى الزوجين وأبنائهما القصر غير المتزوجين. وهذا هو تعريف الأسرة النووية بالمعنى الدقيق للكلمة ،ولو أن تعريفنا هذا للأسرة النووية لا ينبغى احتمــال أن تضم تلك الأسرة أشخاصا آخرين عدا هؤلاء ،وذلك حسب مــا تقــضيه بعض الظروف المعينة أحيانا ، والتى قد تتضح من مناقشاتنا فيما بعد .

ولاشك أن سيطرة الطابع الفردى العام علــى الحيــاة الاجتماعيــة المعاصرة قد أحدث تغيرات أساسية فى دورة حياة الأســرة النوويــة التــى نتحدث عنها. وتبدو تلك التغيرات بشكل أوضح عندما نأخذ فــى الاعتبــار

انخفاض سن الزواج فى أيامنا هذه ولنأخذ فى اعتبارنا –على سبيل المثال– متوسط سن الزواج فى الولايات المتحدة اليوم وهو٢٣سنة بالنسبة للفتى و٢٠سنة بالنسبة للفتاة ،ونفترض بعد هذا أن أبناء هذين الزوجين سوف يتزوجان فى نفس العمر تقريبا .معنى هذا أن دورة حياة الأسر الكاملة سوف تستمر ٢٥سنة على الأكثر .

وتبدأ الأسرة دورة حياتها بعقد الزواج ، ثم تنقضى فترة معينة قد تطول أو تقصر (حسب عدد الأطفال الذين تنجبهم الأسرة) حيث تعود الأسرة لتقتصر مرة أخرى على الزوجين بعد خروج الأولاد والملاحظ هنا أنه كلما ازداد متوسط العمر فى المجتمع كلما طالت المدة الزمنية التى يقضيها الزوجان وحدهما– مع بعضهما– بعد انتهاء دورة حياة أسرتهما .

وتنتهى دورة حياة الأسرة –على أقصى الأحوال– فى اللحظة التى يبلغ فيها الأطفال مبلغ الكبار وينهون تعليمهم (أو إعدادهم المهنى) ويغادرون بيت الأسرة لكى ينشئوا لأنفسهم أسرا نووية جديدة . ومن هنا نقول بأن مصطلح "الأسرة الزواجية" له وجاهته من الناحية البنائية الصارمة ،من حيث إنه ينصب على ذلك الجانب من الأسرة الذى يحدد مدى استمرارها .

ولا يعنى انفصال الأولاد عن بيت الوالدين –بعد انتهاء دورة حياة الأسرة– أن الاتصال بينهما قد انقطع كلية (على خلاف ما كان يعتقد فى الماضى) . ولكن الاتصال الجديد يتصف ببعض السمات والخصائص التى تميزه عن المرحلة السابقة ،فالصلة بين الأبناء وآبائهم فى مرحلة ما بعد انتهاء دورة حياة الأسرة لم تعد مباشرة ولا شاملة بنفس القدر الذى كانت عليه فى الماضى ومن هنا تفقد الصلة القديمة كثافتها وشدتها كما تفقد انتظامها واتصالها .كذلك تتغير طبيعة العلاقة تغيرا جذريا ،فلم تعد العلاقة

بين الطرفين علاقة بين "والدين" "وأطفال" ولكنها علاقة من نوع جديد تم بين أشخاص متساوين فى الحقوق .وبذلك تظهر فى لحظة معينة من دورة حيـــاة الأسرة عملية اختيار حاسمة تمس كيان تلك الأسرة الحديثة (٢٦) .

٢ – مراحل دورة حياة الأسرة

الملاحظ أن مفهوم دورة حياة الأســرة Family Cycle قــد ازداد أهمية فى الكتابات الحديثة عن الأسرة .ولا عجب فى ذلك لأنه أمكــن مــن خلال هذا المفهوم أن ندرك أن معنى أو مضمون "الأسرة" يختلف من حالــة لأخرى حسب نوع المرحلة الزمنية التى تعيشها تلك الأسرة .ولاشك أن هذا الفهم الجديد للأسرة يطرح علينا طائفة جديدة من المشكلات ، نذكر منها: –

(أ) الزوجان الشابان بدون أطفال .

(ب) الزوجان مع أطفالهما فى سن ما قبل المدرسة .

(ج) الزوجان مع أطفال فى مرحلة المراهقة المبكرة .

(د) الزوجان مع أطفال فى مرحلة المراهقة .

(هـ) دخول الأسرة فى مرحلة ما بعد الوالدية ، حيث يبقــى الأولاد الكبار فى البيت ،أو يكونوا قد غادروه بالفعل .ومــن ثــم يعــود الزوجــان وحيدين كما كانا فى البداية .

(و) الزوجان يعيشان وحيدين إلى أن تحين وفاة أحد الزوجين .

(ز) وعند وفاة احد الزوجين تطرأ حالة جديــدة يمكــن مواجهتهــا باحتمالات عديدة : إما معيشة الطرف الباقى على قيد الحياة وحيدا إلــى أن يموت ،أو أن يتزوج من جديد أو ينتقل للإقامة مع أحــد أولاده الكبــار (أو ينتقل بين بيوت أولاده يقضى فى كل بيت منها فترة معينــة) ،أو أن ينتقــل

للإقامة فى احد بيوت رعاية المسنين (على نحو ما هو شائع فى المجتمعات الغربية المعاصرة).

ولاشك أن كل مرحلة من مراحل دورة حياة الأسرة تؤثر على حياة تلك الأسرة من نواح متعددة . وملاحظاتنا هنا مأخوذة عن دراسات الأسرة الغربية ،حيث نجد على سبيل المثال أن مرحلة حياة الأسرة تحدد مكان سكن تلك الأسرة ،إذ نرى أن الأسرة الجديدة ذات الأطفال تفضل فى العادة السكن على أطراف المدن ،على حين نجد أن الأزواج الشبان بلا أطفال يفضلون فى العادة السكن فى قلب المدينة .

كذلك نلاحظ أن دورة حياة الأسرة لا تتغير حسب سن الزواج فحسب (فتطول إذا تأخر سن الزواج ،وتقصر إذا انخفض سن الزواج)،ولكنها تتحدد كذلك حسب عدد الأطفال (فتقصر فى حالة الأطفال الكثيرين،وتطول فى حالة عدد الأطفال القليل)،وحسب معدل تتابع إنجاب الأطفال (فتطول إذا طالت الفترات بين كل طفل وآخر ، وتقصر إذا أنجب الأطفال الواحد بعد الآخر مباشرة أو بفاصل قصير).

والوضع السائد فى الأسرة المتوسطة الأوربية أن دورة حياة الأسرة العادية تطول بسبب تأخر سن الزواج ،وتباعد الفاصل الزمنى بين كل طفل وآخر . كما دلت الشواهد فى الولايات المتحدة على أن دورة حياة الأسرة تقصر فى حالة إنجاب أطفال كثيرين ،وتطول فى حالة إنجاب عدد قليل من الأطفال. كما أتضح هناك أن تقارب الفواصل الزمنية بين إنجاب كل طفل وآخر يقصر من دورة حياة الأسرة الأمريكية .ولكن النتيجة العامة التى نخرج بها من ملاحظة تلك الحقائق أن حالة الأسرة لا تستمر واحدة أمد الحياة ،ولكنها تتغير حسب مراحل حياة الأسرة [٢٧] .

٣- **التنظيم الداخلى للأسرة**

يعتبر الانتشار النسبى للأسرة الزوجية أو الأسرة المركبة فى نظـــام الأسرة مظهرا هاما فى ديناميكية العلاقات الداخلية فى الأسرة .ونلاحـــظ أن الاكتفاء الذاتى الذى تتمتع به الأسرة الزوجة يحدد بدرجة كبيرة حق الأقارب فى التدخل فى الشئون الخاصة للأسرة كما يحدد التزاماتهم نحوها .ويختلف هذا عن النمط السائد فى بعض الأسر المركبة عندما يعيش الزوج مع أســـرة الزوجة وأخواتها وأزواجهن ويشترك الزوجان فى كثير من أنواع النـــشاط العام فى الأسرة الكبيرة .

ويبدو الاختلاف الشديد فى مسائل الطلاق فى هذه الأنماط ومـــشاكل الاستقرار .ونلاحظ أن الطلاق فى الحياة الحضرية بل وحتى مجرد الخلافات والشقاق بين الزوجين يتطلب جهودا باهظة ونفقات متعددة بالنسبة لرعايـــة الأطفال ،كما يؤثر فى المشاركة الاجتماعية والحياة الانفعالية للطرفين .أمـــا انفصال أحد الكبار عن الأسرة الممتدة فلا يتطلب سوى إجراءات اقتـــصادية طفيفة ،وقدرة سريعة على استعادة التكيف وسرعة استقرار الأطفال حيـــث يقوم جميع الكبار فى الأسرة الممتدة بصورة ما بأدوار الآباء . ولمـــا كـــان الحب بين الزوجين لا يختلف كثيرا عن الحب القائم بين جميع الكبـــار فـــى الأسرة المركبة فإن الصعاب تنتج عن تغير موضوع الحب والتوحد بالنسبة للفرد تصبح ضئيلة وتعتبر مجرد مرحلة انتقال [٢٨] .

٤- **دورة نمو الجماعة المنزلية**

طور فورتس Fortes هذا المفهوم ،حيث أدرك الحاجة إلـــى دمـــج المادة التاريخية فى نموذج الجماعة المنزلية الذى يتميز فى جوهره بالنموذج الساكن أو الآنى ،كما تستخدمه المدرسة البنائية الوظيفية فلما اكتشف فورتس

التباين فى أنماط بناء الجماعة المنزلية التى تنتمى إلى مجتمع معين فى لحظة معينة ،ذهب إلى القول بأنه يمكن النظر إليها باعتبارها مراحل مختلفة فـــى دورة نمو ذات شكل واحد عام لكل مجتمع .

وبسبب العوامل الديموجرافية ،والمراحل المختلفة فى عملية إعـــادة إنتاج الأسرة فسوف نجد أن نسبة معينة- ربما تكون ضئيلة- من الجماعات المنزلية هى التى تتفق مع النمط المثالى فى لحظة بعينها .

ويربط هذا النموذج دورة حياة الفرد ببناء الأسرة والجماعة المنزلية ومن ثم أصبح مفهوم دورة النمو جزءا من الإجــراءات الأنثروبولوجيـــة – المتفق عليها- فى تحليل بناء الجماعة المنزلية وأنساق القرابة. وعلى أيـــة حالة فإن مفهوم دورة النمو لا يقدم تفسيرا كاملا لكل أنماط التباين فى أشكال الجماعة المنزلة ،فبعض أوجه التباين قد لا ترجع إلى مراحل فى دورة تكاثر الأسرة ،ولكنها تعود إلى عمليات تغير تاريخية أدت إلى التأثير فى طريقـــة بناء الأسرة والجماعة المنزلية .وبالمثل قد لا يكون هناك نمط مثالى واحـــد ،ولكن قد توجد عدة أنماط مثالية لتنظيم الجماعة المنزلية فى مجتمع ما على اعتبار أن الجماعات أو الشرائح الاجتماعية المختلفة قد تتباين فيما بينها فى المثل العليا والممارسات الخاصة بالأسرة والقرابة ،أو لأن تلـــك الـــشرائح والجماعات قد تأثرت بصورة مختلفة بعمليات التغير الاجتماعى والثقافى(٢٩).

٥- مفهوم الخصوبة وعملية الإخصاب

تعنى الخصوبة Fertility القدرة على إنجاب الأطفال بالنسبة للمرأة خلال فترة خصوبتها التى تتراوح ما بين ١٥-٤٥ سنة من عمرها ويمثـــل معدلات الإنجاب عدد المواليد لكل ألف امرأة فى سن الخصوبة .

أما الإخصاب Fertilization فهو يعنى اتحاد بين الحيوان المنــوى Sperm والبويضة (Ovum) egg للأنثى ليكونا البويضة المخصبة والتــى تتم فى قناة فالوب للأنثى .

كيف تتم عملية الإخصاب تعتبر الخلايا التناسلية الأنثوية (oocytes) والبويضات قبل النضج اكبر خلايا الجسم ، وتتطور فى مبايض الإناث حيث تستمر عملية النضج حتى سن البلوغ عندئذ يكون عدد خلايا البويــضة قــد وصل إلى ذروته عند ميلاد الأنثى ولا يمكن إنتاج خلايا جديدة ،رغم وجود ما يقرب من نصف مليون خلية فى كل مبيض ،وإن كان عدد الخلايا القابلة للإخصاب أقل كثيرا .وهناك عدد كاف من البويضات تكفى فترات الخصوبة فى كل شهر حتى تصل المرأة إلى مرحلة انقطاع الدورة فى الخمسين مــن العمر تقريبا ،وعلى النقيض يستمر إفراز البلايين من الخلايا المذكرة حتــى سن متأخر من العمر ،وإن كان عدد الحيوانــات المنويــة وقــدرتها علــى الإخصاب ينخفض بتقدم العمر ،وعدم القدرة على إتمام تلقيح ناجح .وهنــاك هرمونات تٌفرز بواسطة الغدة النخامية الموجودة أسفل المخ تقوم بالتحكم فى الهرمونات الجنسية الموجودة بالدم والتى تفرزها بصورة أساســية خــصية الرجل ومبايض الأنثى.وتستعد بطانة جدار الرحم لاستقبال الجنين بواســطة إشارات كيميائية تنطلق من المبيض إلى تيار الدم مما يؤدى إلى زيادة عــدد الأوعية الدموية فى سطح بطانة الرحم المعد لانزراع البويضة فإذا لم يحدث الإخصاب تموت البويضة ،ويبدأ المبيض من جديد عملية الإعداد لإطــلاق بويضة جديدة ثم يموت غشاء الرحم المفرط فيترف عنــدما تبــدأ الــدورة الشهرية . إما فى حالة حدوث إخصاب البويضة بواسطة حيوان منوى فــى قناة فالوب ، عندئذ تمر البويضة المخصبه أوال (زيجــوت) zygote إلــى

الرحم فتجد مع غشاء الرحم الذى ينشئ مزيدا من الأوعية الدموية ، وهكـــذا يتم بناء المشيمة ،وهى العضو المتخصص فى تغذية الجنين وتتكـــون مـــن أوعية دموية تدخل وتخرج من الجنين النامى، بينما تحمل أوعية الأم الدموية الغذاء والأكسجين إلى الجنين وتأخذ منه الفضلات وثانى أكسيد الكربون ومن ثم تقوم المشيمة بتزويد الجنين النامى بداخل الـــرحم بالوظـــائف التنفـــسية والغذائية التى تؤديها فيما بعد الرئتان والمعدة والأمعـــاء .وعنـــدما تحـــدث الانقسامات الخلوية الجنينية ،وتنشأ أعضاء أولية يستطيع الجنـــين الحركـــة "داخل حمام سباحته الخاص " فى التجويف الرحمى "مع نبضات القلب دافعا الدم من خلايا المشيمة ليعود منها الدم محملا بالغذاء والأكـــسجين ، وبعـــد تسعة أشهر يكون الجنين قد اكتمل نموه اســـتعدادا للـــولادة ،إذ لا تـــستطيع المشيمة مواصلة تغذية اى زيادة فى حجم الجنين ،ويتم إعطاء الإشارة لعملية الولادة فينقبض الرحم ،ويتسع عنقه ،ويندفع الطفل من خلال قناة الولادة إلى خارج المهبل ،حيث يتنفس أول نفس فى حياته ويتم قطع الحبل السرى [٣٠].

أسئلة على الفصل الأول

١ – ما مفهوم الأسرة وأهمية دراستها ؟

٢ – قارن بين مفهوم العائلة ومفهوم الأسرة ؟

٣ – ما هى مقومات قيام الأسرة ؟

٤ – ناقش دورة حياة الأسرة ؟


- ٤٨ -

المـراجع

١- محمد عاطف غيث وآخرون ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المـصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩،ص ١٧٦.

٢- شارلوت سـيمور - سـميث ، موسـوعة علـم الإنـسان : المفـاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية ، ترجمة/ محمد الجوهرى وآخـرون،المجلس الأعلى للثقافة،١٩٩٨،ص:٤٩٩.

٣- المرجع السابق،ص ٤٩٩.

٤- المرجع السابق ،ص ٤٩٩.

٥- محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ص، ١٧٦- ١٧٨.

٦- شارلوت سيمور- سميث،مرجع سابق ، ص ٩٥-٩٧ .

٧- المرجع السابق ، ص،٩٧- ٩٩ .

راجع أيضا : جوردون مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمه : محمـد محى الدين وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة،ط١،ج٢ ،٢٠٠١، ص ، ٧١٦- ٧٢٢ .

٨- محمود حسن ، الأسرة ومشكلاتها ، دار النهـضة العربيـة ،بيـروت ١٩٨١، ص ، ٧ .

٩- محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص ، ١٧٨.

١٠- المرجع السابق ، ص، ١٧٩.

١١- المرجع السابق ، ص، ١٧٨-١٧٩ .

راجع أيضا : دلال البزى وآخرون ، المرأة العربية الواقع والتـصور ، دار المرأة العربية نور ، ط١، القاهرة ،١٩٩٥ .

١٢- المرجع السابق ، ص، ١٧٩.
١٣- المرجع السابق ، ص، ١٧٩.
١٤- شارلوت سيمور - سميث ، مرجع سابق ، ص، ٩٩.
١٥- المرجع السابق ، ص، ٩٩.
١٦- المرجع السابق ، ص، ١٩ .
١٧- إجلال إسماعيل حلمى ، محاضرات فى علم الاجتماع العائلى ، إخوان زريق،مصر الجديدة،١٩٨٧،ص ص ٧-٨ .
١٨- المرجع السابق ، ص ص: ٩-١٠ .
١٩- علياء شكرى ، الاتجاهات المعاصرة فى دارسة الأسرة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦، ص ١٧٤.
٢٠- فاتن محمد شريف ، الرؤية المجتمعية للمرأة و الأسرة : دراسات فـى الأنثروبولوجيا الإجتماعيـة ، دار الوفـاء لـدينا الطباعـة والنـشر،ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٧،ص ص٥٧-٥٨ .
٢١- المرجع السابق ، ص ص٥٨-٥٩ .
٢٢- علياء شكرى ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٣- ١٧٤ .
٢٣- إجلال إسماعيل حلمى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨-٣٠.
٢٤- المرجع السابق ، ص ص ٣٠-٣١ .
٢٥ - محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ص ١٧٩.
٢٦- علياء شكرى ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٥- ١٦٦ .
٢٧- المرجع السابق ، ص ص ١٦٦- ١٦٨ .
٢٨- محمود حسن ، مرجع سابق ، ص ٧ .
٢٩-شارلوت سيمور-سميث،مرجع سابق،ص ص ٣٦-٣٦٩ .

راجع أيضا : سناء الخولى ، الأسرة والحياة العائلية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٠، ص ص١٤-٢٣ .

٣٠- فاتن محمد شريف ، مرجع سابق، ص ص ٣١٤-٣١٥

الفصل الثاني
المداخل النظرية في دراسة العائلة

مقدمه

أولاً : المداخل السوسيولوجية في دراسة الأسرة

١ – الأسرة الحديثة

٢ – الأسرة النووية والأسرة الممتدة

٣ – التصنيع والأسرة النووية

ثانياً : التغير في المجتمع وانعكاساته علي الأسرة

ثالثا : أهمية الأسرة في الإسلام

رابعاً : صلاح العائلة صلاح الأمة



مقدمه

بالرغم من أن هناك إجماعاً عالمياً علـــي أن الأســـرة هـــي اللبنـــة الأساسية التي ينهض عليها بناء المجتمع، إلا أن التغيرات الـــسريعة التـــي شهدها عالمنا المعاصر قد جعل من الأســـرة موضـــوعاً للجـــدل الفكـــري والفلسفي.

فقد تأثرت الأسرة – مثلها في ذلك مثل بقية مؤســـسات المجتمـــع – بهذه التغيرات مما دفع المفكرين إلي تأمل التهديدات التـــي تـــشكلها أعبـــاء الحضارة علي الأسرة. وذهب المفكرون في هذا الصدد مذاهب شتي تتراوح بين التشاؤم والتفاؤل. فالمتشائمون يذهبون إلي أن الأسرة المعاصرة علـــي شفا الانهيار لأنها تعيش في مأزق وتتحول بالتدريج إلي مؤسسة تخلو مـــن العاطفة والدفء، بينما يذهب المتفائلون إلي أن الأسرة قد نجحـــت فـــي أن تتكيف مع التغيرات وأنها تستمر في الوجود صلبة رغم ما حولها من أمواج عاتية.

ولعل هذه الاعتبارات ترسخ في أذهاننا منذ البداية صـــعوبة تحديـــد المداخل النظرية في دراسة الأسرة لما يكتنف ذلك من تداخل وتشابك واتساع قد يستعصي علي الحصر. فإذا القينا نظرة علي تاريخ دراسات الأسرة لألفينا ظاهرتين بارزتين:

الأولي: هي التقدم المطرد في صياغة أطر نظرية علمية وفي تطوير الأساليب المنهجية.

والثانية: الاختلاف الواضح في الزاوية التي ينظر منها إلي الأسرة، وهو اختلاف له وجهان: الوجه التاريخي حيث يطرح التقدم العلمي زوايـــا جديدة للنظر إلي الأسرة، والوجه الآني حيث تكشف كل مرحلة عن اختلاف

آني في وجهات النظر. وهكذا تشعبت المداخل النظرية وتداخلت أطرافهـــا، واختلف الباحثون حول تصنيفها. ويفرض علينا ذلك أن نحدد موقفنا من هذه التصنيفات وأن نعتمد تصنيفا ملائماً.

يقصد بالمدخل النظري Theoretical Approach المنطلق العـــام الذي نطل من خلاله علي الظاهرة موضوع الدراسة، فهو يضم مجموعة من القضايا المترابطة(أو التصورات المترابطة) التي توجـــه رؤيتنـــا للظـــاهرة موضوع الدراسة. ويقترب مفهوم المدخل النظري بهذا الاستخدام من مفهوم الإطار التـــصوري Conceptual Frame أو مفهـــوم الإطـــار المرجعـــي Frame General Theory of Reference. كمـــا يقتـــرب مـــن مفهـــوم النظرية العامة التي قد تشتق منها مجموعات من الافتراضـــات أو القـــضايا التي تشكل كل مجموعة منها نظرية وسطي Middle Range Theory

ولقد اختلف الباحثون في تحديد المداخل النظرية الأساسية في دراسة الأسرة. ففي عام ١٩٦٠ حدد هيل وهانسن خمسة مداخل لدراســـة الأســـرة هي:المدخل البنائي الوظيفي، المدخل التفاعلي، المدخل الموقفي، والمـــدخل النظامي، والمدخل التطوري. وهذه هي المداخل التي تبناها كتاب كريستنسن الشهير عن الأسرة. ولقد دمج برودريك هذه المداخل في ثلاثة فقـــط هـــي: المدخل البنائي الوظيفي، والمدخل التفاعلي، والمدخل التطوري. أمـــا روس أشلمان Eshleman فقد حدد خمسة مداخل بمسميات مختلفة إلي حد ما هي : البنائية الوظيفة، ومداخل الصراع، والتفاعلية الرمزية، ونظرية التبـــادل، والنظرية التطورية.

بينما صنف محررو كتاب "النظريات المعاصرة حول الأسرة" مداخل دراسة الأسرة إلي: نظرية التبادل، ونظرية النسق، ونظرية الصراع، والنظرية التفاعلية الرمزية، والنظرية الفينومينولوجية.

ولا يخلو تصنيف من تحيز. فالركون إلي تصنيف بذاته يعكس أولاً: مستوي ما قطعه العلم من تطور، وثانيا: رؤية ذاتية للحدود بين النظريات المختلفة(١).

أولا: المداخل السوسيولوجية فى دراسة الأسرة:

من أكثر الملاحظات صدقا في هذا الصدد، أن المداخل الحديثة في دراسة الأسرة ليست جديدة كلية، وإنما تمتد جذورها في المداخل والنظريات القديمة، ولكنها مع ذلك تكشف عن نمو متزايد من حيث السلامة المنهجية وعمق التحقيق الأمبيريقي ودقة النتائج، وزيادة قيمتها العلمية التي تستند إلي وضوح الفروض وتنمية أدوات البحث إلي جانب الكفاءة الفنية والاتجاه نحو أثراء النظرية العلمية السوسيولوجية بوجه عام.

ومع ذلك فقد واجهت أبحاث الأسرة صعوبات كثيرة، أهمها رغبة الأسرة العادية في الحفاظ علي أسرارها وشئون حياتها الخاصة. علي الرغم من التغير الذي يتزايد تأثيراً خلال السنوات القليلة الماضية، حيث ترحب أعداد تزداد نسبيا بالدراسة لإدراكها أهمية تطبيق نتائج البحوث علي ظروفها الخاصة. ويسير في خط مواز لهذا التقدم في الدراسة العلمية للأسرة، تقدم مماثل في تطبيق نتائج البحوث.

وقد استغرق دارسوا الأسرة وقتا طويلا قبل أن يدركوا وجهة النظر العلمية، وربما كان هذا الوقت أطول بالقياس إلي بعض العلوم الاجتماعية الأخرى، ولو أننا نعلم أن العلوم الاجتماعية كانت أبطأ في نموها العلمي من

العلوم البيولوجية أو الفيزيائية. إن ما يميز دراسات الأسـرة فـي الوقـت الحالي، مثل أي دراسات أخري تجري في ميدان علم الاجتماع، هو زيـادة الاهتمام بالمنهج العلمي حيث أصبح الاتجاه في هذه الدراسات يـسير نحـو استخدام عينات أكثر تمثيلا وازدياد الاعتماد علي الإحصائيات فـي تحليـل المادة مع زيادة مصاحبة في الاعتماد علي الملاحظة المباشـرة فـي جمـع المادة، علي الرغم من الاستبيانات التي مازالت أكثر الوسائل انتشاراً، مع ما فيها من مثالب. وهذا إلي جانب التأكيد المستمر علـي اختيـار الفـروض الموضوعية نظريا واتخاذ المواقف التحليليـة ذات الطبيعـة الإحـصائية، ويلاحظ أن البناء المنهجي للنظرية أصبح يمثل اهتماماً رئيسياً في دراسـات الأسرة في المرحلة التي بدأت حوالي ١٩٥٠. وربما كـان هـذا الاهتمـام بالنظرية هو الاتجاه الأكثر بروزاً في المرحلة الراهنة مـن تطـور علـم الاجتماع العائلي..

وقد تعددت المداخل السوسيولوجية في دراسـة الأسـرة، ويمكـن حصرها في خمسة مداخل رئيسية هي مدخل دراسة الأسرة كنظام، المدخل البنائي الوظيفي والمدخل التفاعلي، ومـدخل دراسـة الموقـف، والمـدخل التطوري. ويعتبر المدخل الأول أقدم المداخل ظهورا، واتصف في البدايـة باتساع نطاقه واتجاهه الوصفي والأخلاقي. وقد استخدم هذا المنهج علمـاء الاجتماع والانثروبولوجيا. وعندما طبق علي الدراسات الأسرية اهتم بأصل النظام العائلي وتطوره، واجراء المقارنات عبر المكان والزمان. وقد اتجـه الباحثون الذين يفضلون هذا المدخل(في السنوات الأخيرة) إلي التخلص مـن الأحكام القيمية والاعتماد علي البحث مع التركيز علي الاختبـار والتحليـل الأمبريقي، إلا أن مركز الثقل ظل مع ذلك تاريخيا ومقارنا.

أما المدخل الثاني وهو البنائي الوظيفي فهو ينظر إلي الأسرة كنسق اجتماعي ذي أجزاء معينة يربط بينها التفاعل والاعتماد المتبادل. ومن المسائل الهامة التي تحظي باهتمام ملحوظ في هذا المدخل، دراسة عناصر النسق من زاوية أدائه لوظائفه تحقيقا لبقاء النسق وتوازنه أو تعويقه للتكامل الوظيفي للنسق الكلي، كما يتركز الاهتمام علي العلاقات الداخلية للنسق العائلي، وعلي العلاقات بين الأسرة والأنساق الاجتماعية الأخرى.

هذا ويركز المدخلان الثالث والرابع" التفاعلي" و"دراسة الموقف" علي تفسير الظواهر الأسرية في ضوء العمليات الداخلية مثل: أداء الدور، وعلاقات المركز، ومشكلات الاتصال، واتخاذ القرارات، وبينما يهتم المدخل التفاعلي بصفة خاصة بالتفاعل في حد ذاته، يأخذ مدخل"الموقف" الأسرة كموقف اجتماعي يؤثر في السلوك، أي كمجموعة من المثيرات الخارجية بالنسبة لا فراد الأسرة تمارس التأثير عليهم.

ويشترك المدخل التطوري(وهو أحدث هذه المداخل جميعاً) مع مدخلي التفاعل ودراسة الموقف في النظر إلي الأسرة كوحدة من شخصيات متفاعلة. إلا أنه لا ينطلق من التفاعل في حد ذاته ولا من السلوك المتأثر بالموقف، وإنما من دورة حياة الأسرة أو مراحل التطور التي تمر بها الأسرة وأفرادها(٢).

كما استعار علماء الأسرة الأوائل كثيرا من مفهومات علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropologicsts وخاصة تلك التي تتعلق بالقرابة Kimship والثقافة Culture فكثير من الدراسات التي تمت علي المجتمع المحلي، مثل دراساتSwansea "سوانسيا" التي قام بها ريموند

فيرث وزملائه، هي في الواقع دراسات انثروبولوجية حديثة تستخدم القرابة كمفهوم رئيسي.

وأن الثقافة كان لها أهمية خاصة، حيث تنتشر افتراضات الحتمية الثقافية في كتابات الأسرة علي سبيل المثال العلاقة بين الثقافة والتنشئة والثقافة والشخصية. وكذلك اثر التكنولوجيا – وهي جزء من الثقافة – علي إحداث التغيرات في الأسرة عن طريق توفير موانع الحمل، الغسالات، وسائل النقل والكثير من الاختراعات الأخرى.

فقد قام كل من مالينوفسكي Mlinawski وتلميذه راد كليف براون Rad Cliffe Brown ، واتباعهما في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن بتطوير نظرية وظيفية للثقافة وبخاصة للانثروبولوجيا الاجتماعية. بينما قام هربرت سبنسر Harbert Spencer في منتصف القرن التاسع عشر بوضع أساس النظرية الوظيفية للمجتمع، عندما طور نموذج عضوي للمجتمع. فقد شبه المجتمع بالكائن البيولوجي الذي يتكون من ابنية مختلفة، يرتبط كل منها بالأخر لتكون في النهاية كلا مترابطا. فأجزاء هذا الكائن يعتمد كل منها علي الأخر ولذلك فان التغيرات التي تحدث في عضو ما تؤدي إلي تغيرات أخري في الأجزاء المختلفة. من هذا العرض – الذي صمم ليسهل فهم المجتمع، وظائفه وبناؤه – إنما تصور لعلم الاجتماع علي أنه تحليل للمؤسسات بما فيها الأسرة، وعلاقاتها المتشابكة. فقد أوضح فريدريك لو بلاي Frederic Le Play وهو من علماء الاجتماع الأوائل المهتمين أساسا بالأسرة مستخدما النموذج الوظيفي للمجتمع أن العمال ليسوا فقط وحدات عمالية ولكن لهم اسر كما استطاع أن يثبت من خلال المعلومات الامبريقية التي جمعها من ستة دول أوربية أن خبرات الأسرة تؤثر علي أداء العمل ومن ثم علي الاقتصاد.

ومن هذه البدايات وغيرها نمت مجموعة من الآراء التي تؤكد علي الاعتماد المشترك بين الأسرة والعمل، مثال العلاقة بين الإحباط الوظيفي والسلوك المتغطرس في المنزل. وكذلك كيف أن الأسرة ترتبط بغيرها من المؤسسات الكبرى مثل النظام التعليمي.

إن الأسرة ليست مجرد مؤسسة، ولكن يمكن أن نعتبرها نظاما اجتماعيا ايضا ويضيف مدخل النظام الاجتماعي، علي الرغم من انحصارها داخل النظرية البنائية الوظيفية، ابعاد الفرد والدور إلي مفاهيم المجتمع والوظيفة السائدة في المدخل المؤسسي. ويرتبط الأفراد بغيرهم بعلاقات اجتماعية ويشاركونهم مجموعة من القيم التي تنتج عن توقعات السلوك المشترك.وهناك العديد من الأمثلة علي سبيل المثال عند معالجة الطفل المريض لا تقوم الأم بتقدير طريقة العلاج والدواء. بل يقوم الطبيب بتلك المهمة، فكل فرد يدرك حدود ومطالب دوره. وتمكننا التفرقة بين المؤسسة والنظام الاجتماعي، المجتمع والفرد، الوظيفة والدور من فهم الطبيعة الزواجية للأسرة: تلك التي تحافظ علي بناء المجتمع وتلبي مطالب الأفراد. كما تسهل الأسرة ومؤسسة الزواج التي تتم بها، الهدف الاجتماعي الخاص بإبدال السكان، ولكن الزواج كمكون لنظام الأسرة يختص ايضا بدور الرضا الشخصي لهؤلاء المشاركين فيه. ويري تالكوت بارسونز T. Parsons الذي طور هذه الأفكار، كجزء من نظرية نظام اجتماعي كبير أن يدرج كل شكل من أشكال المجتمع داخل خطة نظرية شاملة، ومعالجة الأسرة علي أنها البناء الذي يربط خبرات الفرد في أدواره بالأجزاء الأخرى للنظام الاجتماعي فعلي سبيل المثال يرتبط دور الأب كعائل للأسرة بالاقتصاد.[٣]

وقد اعتمد كارل زيمرمان Carle Zimmerman في كتابه "الأسرة والحضارة". علي مادة تطورية مقارنة استقاها مـــن المجتمعـــات المتخلفـــة وأنماط أخري من المجتمعات وصولا إلي المجتمعات المتقدمة. وقد اعتمـــد تحليله إلي أقصي حد علي ما يعرف باسم "التقاليد الغربية" التي ظهرت ابتداء من اليونان القديمة والتي امتدت خلال روما والعصور الوسطي حتى القـــرن العشرين في أمريكا. وقد التزم خلال الكتاب بفكرة هامة، وهي أنـــه توجـــد علاقة وثيقة بين طبيعة الأسرة وتنظيمها وبين طبيعة المجتمع الكبير. ولذلك فان حدوث تغير في أحدهما يرتبط ارتباطا وثيقا مع التغيرات فـــي الآخـــر. ومعني ذلك أن الأسرة والمجتمع يتبادلان التأثير من حيث أنهما عوامـــل أو نتائج في مسيرة التغير العامة. إلا أنه يضيف إلي الأسرة نظـــامين آخـــرين هما(الكنيسة والحكومة) كمصدرين للتغير الاجتماعي، حيث يتنافـــسان مـــع الأسرة في التأثير علي العلاقات الأسرية.

وقد وجد زيمرمان من خلال تتبعه لتاريخ الغرب ثلاثة نماذج أسرية هي:نموذج أسرة الوصاية The Trustee Family ونموذج الأسرة العائلية The Domestic Family والأســـرة النـــواة The Atomisitic Family وتشتق "أسرة الوصاية" اسمها من الحقيقة القائلة بأن الأعضاء لا ينظر إليهم كأعضاء في الأسرة بل كأوصياء علي اسمها وأملاكها ونسبها. والأسرة في حد ذاتها"خالدة" بعض النظر عن وجود الأفراد. وإلي جانب درجة عالية من "الأسرية" فليس هناك أي تصور لحقوق الأفراد أو أي تساؤل عـــن رفاهيـــة الفرد ترتبط برفاهية الأسرة كجماعة.

وأسرة الوصاية لها سلطة كبيرة علي أفرادها، وتستمد سلطة الزوج أو الأب المطلقة من كونها قوة منبعثة من دوره كوصي علي الأسرة ومـــن

تحمله مسئوليتها. وتنظيم الأسرة في عشائر لتكون الدولة في نهاية الأمـــر. وعند تشكل الحكومة فأنها لا تتدخل في شئون الأسرة إلا نادرا. أما عضوية الأسرة فأنها تعتمد علي طقوس معينة. ويمكن للجماعة أن ترفض أو أن تقبل أعضاء جدد إلي جانب فرض قيود عديدة علي الطـــلاق، والنـــوع الوحيـــد المسموح به هو حق الزوج في طلاق زوجته إذا شعر أنها لا تتعـــاون فـــي العمل علي تكامل الجماعة.

يأتي بعد ذلك في سلم تطور نظام الأسرة "الأسرة العائلية" وهي نوع متطور أو مشتق من أسرة الوصاية حيث تضعف ســيطرة الأســـرة علـــي أفرادها وتزداد سلطة الدولة التي تحد من حق الأسرة في معاقبـــة أفرادهـــا. وتهئ الظروف لممارسة الحقوق الفردية لكي يتمكن أعضاء الأســـرة مـــن مواجهة سلطتها. ومع أن نظام العشيرة يميل إلي الاختفـــاء إلا أن الأســـرة كوحدة تبقي قوية.علي الرغم من نمو فكرة الحقوق الفردية وإمكانيات تحطيم القيود المفروضة علي الطلاق.(٤)

أما "الأسرة النواة" فهي علي النقيض من النوع الأول، حيث حلـــت الفردية محل الأسرية، وتناقصت قوة الأسرة وسلطتها إلي الحد الأدنى.

وأصبحت الدولة أساسا منظمة لأفرادها، وإذا كانت التضحية بالنفس في سبيل أهداف الجماعة من السمات المميزة لأسرة الوصاية، فان مـــذهب النفعية أو اللذة هو ما يميز الأسرة النواة. وقد أصبح الزواج عقـــدا مـــدنيا، ليست له القدسية التي كانت له في الماضي مما جعل الطلاق أمرا شائعا وهذا إلي جانب أدلة أخري علي تفشي الفردية مثل الحركات النسائية وعدم الرغبة في الإنجاب. ومشاكل الشباب. وكثير من الاضطرابات التي تـــرتبط بحيـــاة الأسرة عامة.

ومن أجل هذا يري زيمرمان أن الأسرة النواة فقدت المقــدرة علـــي انجاز وظائف الأسرة الضرورية، ولم يعد بامكانهـــا إرضــــاء المتطلبـــات المتزايدة للفردية.

وقد انتهي زيمرمان من تحليله لتطور نماذج الأسرة خـــلال تــاريخ المجتمع الغربي منذ عام ١٥٠٠ق. م حتى الآن، إلي أن التغير الاجتمـاعي عامة وتغير النسق الأسري يتفاعلان بصورة حتمية حيث يتبـــادلان موقــع السبب والنتيجة، أما التغير الاجتماعي في الوقت الحاضر فإنه يــسير فـــي طريق غير واضح، ويتنبأ كما يتنبأ الكثيرون بأن الحضارة الحديثة ســوف تنهار كما انهارت الحضارات القديمة.

ويري زيمرمان أن دورة التغير مستمرة، لأن أسرة الوصاية تحمـــل في داخلها بذور انهيارها وتفككها. فبينما يتيح قانونها البدائي للعدالـــة قيـــام مجتمع منظم، ويزيد من تراكم الثروة، ويؤكد علي العمل الإنتـــاجي، إلا أن سلطتها المطلقة علي أفرادها تؤدي إلي سوء الاستعمال، فقد تظلم الزوجات، وقد يتعرض الأولاد للخطر أو يصبحون عرضة للطغيان والظلـــم، كمـــا أن حقوق الأفراد قد تقمع بوجه عام. وهذا يؤدي إلي نـــشأة المنازعـــات بـــين الأسر. وبتطور المجتمع تتناقص قوة الجماعة القرابية الممتدة وتبدأ الأســـرة العائلية في الظهور.

وتعتبر الأسرة العائلية أكثر الأنماط الأسرية شيوعا في المجتمعـــات الأكثر تحضرا، وقد أصبحت النمط السائد في المجتمع نتيجة لقوى وعوامل داخل الأسرة وخارجها. وقد كان السبب في ظهورها الرغبة في معاملة أكثر عدلا من جانب أعضاء الأسرة إلى جانب تأثيرات الحكومة والـــدين، وهـــى لذلك لا تشبه أسرة الوصاية، حيث انها لا تحمل داخلها بذور انهيارها. ولكن

التغيرات ما لبثت أن دقت بابها من الخارج، حيث بدأت نظم أخرى غيرها تحدد سلطتها. كما زادت القوانين التي تمنح الحقوق للأفراد.(٥)

١ - الأسرة الحديثة

أ - دورة حياة الأسرة :

يصرف النظر عن العدد الضئيل من الأسر الممتدة في المجتمعات الصناعية المعاصرة يمكن القول بأن الأسرة الحديثة تقتصر في العادة على الزوجين وأبنائها القصر غير المتزوجين. وهذا هو تعريف الأسرة النووية بالمعنى الدقيق للكلمة، ولو أن تعريفنا هذا للأسرة النووية لا ينبغي احتمال أن تضم تلك الأسرة أشخاصاً آخرين عدا هؤلاء، وذلك حسب ما تقتضيه بعض الظروف المعينة أحياناً، والتى قد تتضح من مناقشاتنا فيما بعد.

ولا شك أن سيطرة الطابع الفردى العام على الحياة الاجتماعية المعاصرة قد أحدث تغيرات أساسية فى دورة حياة الأسرة النووية التي نتحدث عنها. وتبدو تلك التغيرات بشكل أوضح عندما نأخذ في الاعتبار انخفاض سن الزواج في أيامنا هذه ولنأخذ في اعتبارنا- على سبيل المثال- متوسط سن الزواج فى الولايات المتحدة اليوم، وهو ٢٣ سنة بالنسبة للشباب و ٢٠ سنة بالنسبة للفتاة، ونفترض بعد هذا أن أبناء هذين الزوجين سوف يتزوجان فى نفس العمر تقريبا. معنى هذا أن دورة حياة الأسرة الكاملة سوف تستمر ٢٥ سنة على الأكثر.

وتبدأ الأسرة دورة حياتها بعقد الزواج، ثم تنقضى فترة معينة قد تطول أو تقتصر (حسب عدد الأطفال الذين تنجبهم الأسرة) حيث تعود الأسرة لتقتصر مرة أخرى على الزوجين بعد خروج الأولاد. والملاحظ هنا أنه كلما

ازداد متوسط العمر فى المجتمع كلما طالت المدة الزمنية التى يقتضيها الزوجان وحدهما- مع بعضهما- بعد انتهاء دورة حياة أسرتهما.

وتنتهى دورة حياة الأسرة- على أقصى الأحوال- فى اللحظة التى يبلغ فيها الأطفال مبلغ الكبار، وينهون تعليمهم (أو إعدادهم المهنى)، ويغادرون بيت الأسرة لكى ينشئوا لأنفسهم أسرا نووية جديدة. ومن هنا نقول بأن مصطلح "الأسرة الزواجية" له وجاهته من الناحية البنائية الصارمة، من حيث إنه ينصب على ذلك الجانب من الأسرة الذى يحدد مدى استمرارها.

ولا يعنى انفصال الأولاد عن بيت الوالدين- بعد انتهاء دورة حياة الأسرة- أن الاتصال بينهما قد انقطع كلية (على خلاف ما كان يعتقد فى الماضى). ولكن الاتصال الجديد يتصف ببعض السمات والخصائص التى تميزه عن المرحلة السابقة، فالصلة بين الأبناء وآبائهم فى مرحلة ما بعد انتهاء دورة حياة الأسرة لم تعد مباشرة ولا شاملة بنفس القدر الذى كانت عليه فى الماضى ومن هنا تفقد الصلة القديمة كثافتها وشدتها كما تفقد انتظامها واتصالها. كذلك تتغير طبيعة العلاقة تغيرا جذريا، فلم تعد العلاقة بين الطرفين علاقة بين "والدين" "وأطفال" ولكنها علاقة من نوع جديد تتم بين أشخاص متساوين فى الحقوق. وبذلك تظهر فى لحظة معينة من دورة حياة الأسرة عملية اختيار حاسمة تمس كيان تلك الأسرة الحديثة.

ب- مراحل دورة حياة الأسرة:

الملاحظ أن مفهوم دورة حياة الأسرة Family cycle قد ازداد أهمية فى الكتابات الحديثة عن الأسرة. ولاعجب فى ذلك لأنه أمكن من خلال هذا المفهوم أن ندرك آن معنى أو مضمون "الأسرة" يختلف من حالة لأخرى حسب نوع المرحلة الزمنية التي تعيشها تلك الأسرة.[٦]

والأسرة نسق اجتماعي يقوم على:

١ – معيشة رجل وأمرأة أو أكثر معا في مكان مشترك.

٢ – قيام علاقات جنسية يقرها الدين والمجتمع.

٣ – إنجاب أطفال ورعايتهم.

٤ – علاقات متينة تتسم بالخصوصية والاستمرار لفترة طويلة .

٥ – سلسلة من الحقوق والواجبات (حقوق الزوج والزوجة والأولاد وواجباتهم إزاء بعضهم وازاء الغير).

ولا تزيد الأسرة أساسها عن أنها جماعة انسانية صغيرة الحجم، تختلف عن أى جماعة أخرى فى أنها تقوم بطريقة قانونية أو شبه قانونية.. وفى تقارب أفرادها لدرجة عظيمة تجعل منهم كيانا موحدا.. وفى استمرارها لسنوات طويلة فى العادة.. وفى تآلفها مع نسيج المجتمع كوحدة اجتماعية اقتصادية أساسية يقوم عليها المجتمع كله. وبالإضافة إلى أن الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع الذى تقوم فيه فإنها أيضا وحدة أساسية للمجتمع المتغير.. فكما أنها أساس الربط بين الفرد والجماعة فى المجتمع، فأنها أيضا أساس الربط بين جيل وجيل، فعن طريقها- من خلال التنشئة الاجتماعية- ينقل المجتمع ثقافته عبر الزمن، فهى بذلك بمثابة الغراء الذى يربط المجتمع زمنيا، وبمثابة الذاكرة التى تتجمع من خلالها خبرات الإنسان وعاداته وأعرافه وتقاليده ومهاراته ومبادئه وأساليبه لتبنى ثقافته التراكمية النامية.

والأسرة أنواع، فمن ناحية يمكن تصنيفها إلى نوعين أساسيين:

١- أسرة التوجيه، Family of orientation

٢- أسرة الأنجاب، Family of procreation

فكل فرد فى المجتمع يمر أثناء حياته فى أسـرتين علـى الأقـل.. الأسرة التى يولد فيها وينمو إلى أن يصل إلى درجة النضج البدنى النفـسى والاقتصادى الذى يمكنه من أن يكون أسرة بنفسه فيتزوج وينجب ويوجه إلى أن ينمو أولاده فينفصلون مكونين أسرة جديدة بالتالى وهكذا.

ومن ناحية أخرى يمكن تصنيف الأسرة إلى عدة أنواع:

النووية والمركبة والمشتركة والممتدة والعائلـة والأسـرة متعـددة الزوجات.

١- الأسرة النووية Nuclear Family

تتألف من الأب+ الأم بدون أولاد، أو الأب+ الأم+ الأولاد المعالين،

أو الأب+ الأم+ الأولاد غير المعالين (يعملون أو يمكنهم العمـل). وقد يكون هؤلاء وحدة اجتماعية اقتصادية- كما هو الحال في الريف كما قد يكونون وحدة اجتماعية فقط كما هو الحال فى الحضر.

٢- الأسرة المركبة Compound Family

تتـألف مـن الأب+ الأم+ الأولاد غيـر المتـزوجين+ الأولاد المتزوجين+ الأحفاد، كما قد يدخل فى هذه الأسرة أخ أو أخت مع أسـرهم. وفى هذه الحالة تكون هذه الأسرة وحدة اقتصادية واجتماعية نفس الوقـت.. بمعنى أن جميع أفراد هذه الأسرة المركبة يعملون تحت أشراف الجد(أحيانـا الأخ الأكبر) الذى يملك وسيلة الإنتاج (أرض أو ورشـة.. إلـخ) وتنـشط نساؤهم داخل المنزل وخارجه معا بقيادة الأم الكبيرة (رعاية الأبناء- طبخ- العناية بالحيوانات والدواجن- إعداد الخبز- احضار الماء- غسيل الملابس.. إلخ). فإذا انتفى هذا الشرط فإن الكيان لا يدخل تحت مفهوم الأسرة المركبة، بمعنى أنه إذا أضطر أحد الشباب أن يتزوج ويبقى فى منزل أسرته أو أسرة

الزوجة لظروف أزمة السكن .. مستقلا فى حجرة أو أكثر..فـإن تعريـف الأسرة المركبة لا يندرج على هذا الوضع حيث أن الشباب فى هذه الحالة لا يعمل تحت سلطة الأب أو الجد ولكنه يعمل منفضلا فى مكان آخر.. وحيث أن الزوجة الشابة لا تنشط فى المنزل تحت قيادة الأم الكبيرة وإنما تعيش فى العادة وكأنها فى منزل مستقل معترضة على أى تدخل كان من جانـب الأم الكبيرة وأن هادنتها فى بعض الأحيان.. قد يحدث أن تشترك أسرة الشاب أو الشابة مع أسرة الأب أو الأم فى بعض نواحى الحياة كأن تـساهم الأسـرة الصغيرة بمبلغ معين من المال فى مقابل المعيشة المشتركة الكاملة، ولكن هذا ينتهى فى أغلب الأحيان بانفصال الأسرة الجديدة وقيامها كوحدة مستقلة.(٧)

هذا الشكل الطارئ على الحياة المصرية، والذى بدأ فى الظهور من جديد بعد استحفال أزمة الإسكان، لا يشكل بأى وضع عودة للأسرة الكبيـرة حيث أن الظروف الاقتصادية- والاجتماعية بالتالى- التى كانت تحتم ظهور الأسرة المركبة فى طريقها للزوال.

٣- الأسرة المشتركة Joint Family

تتألف من أب قد يكون له أولاد من زوجة سابقة+ أم قد يكون لهـا أولاد من زواج سابق+ أولادهما معا إذا وجدوا.. وهـذا المفهـوم لا يمتـد بطبيعة الحال لكى يغطى مجموعة من الأسر تسكن فى شقة مشتركة.

٤- الأسرة الممتدة Extended Family

هى مجموعة من الأسر النووية الأقارب (الأخوة فى العادة) يسكنون فى مساكن منفصلة ولكن متجاورة فى أغلب الأحيـان، ويكونـون وحـدة متلازمة ومستمرة عن طريق الأتصالات اليومية، وتبادل الخدمات، والأتفاف على أعمال المنزل، والتعاون فى المشتريات، والتشاور فى أمور كل أسـرة

من الأسرة، والخروج معا إلى السوق، وقضاء وقت الفراغ معا، والتعـــاون الوثيق فى مقابلة الحاجات المشتركة مثل رعاية الأطفال والمسنين والمرضى وغير ذلك من مظاهر التكافل الاجتمـــاعى.. وبظهـــور وســـائل الأتـــصال والمواصلات الحديثة (كالتليفون- السيارة) أصبح من المكن أن تتكون أســـر ممتدة بالمفهوم الموضح رغم بعدها بعضها عن بعض فى المسكن بقدر ما.

٥- العائلة Wider Family *

هي امتداد لمفهوم الأسرة المباشرة Immediate Family وأختصار لمفهوم العشيرة Clan وتتألف من الأخوة والآباء والأعمام والخالات وأولاد العم وأولاد الخال ومن في حكمهم والأصـــهار والأبنـــاء.. يتقـــابلون فـــي المناسبات كالزواج والأعياد والوفاة وزيارة المقابر.. إلخ، وينـــشطون فـــي المصالح المشتركة مثل القضايا والأرث والأملاك المشتركة.. إلخ.

٦- الأسرة متعددة الزوجات Polygamous Family

تتألف من الأب + زوجاته + الأولاد.

علي أن هذا لا يعني أن الأسرة في مصر تأخذ وضعا ثابتا، فقد حـــد تغير كبير فيها بتغير المجتمع من مجتمع قبلي إلي ريفي إلي مجتمع حضري حديث، فتحولت الأسرة من أسرة مركبة في إطار عائلة مترابطة إلي أســـرة نووية مفردة مرورا بالأسرة الممتدة و الأسر المشتركة في بعض الأحيان.[٨]

٢- الأسرة النووية والأسرة الممتدة:

* لا توجد كلمة انجليزية مقابل كلمة العائلة بالوصف الموضح أعلاه، على أنه كثيرا ما يستخدم تعبير Family Immediate للإشارة إلى مفهوم الأسرة، كما يستخدم أحيانا تعبير Wider Family للإشارة إلى مفهوم العائلة .

يمكن القول بأن الكثرة الغالبة من علماء الاجتماع البارزين- خاصة من جيل الرواد- كانوا يميلون إلى الاعتقاد بأن الأسرة تتطور من أشكال كبيرة إلى ممتدة إلى أشكال أصغر فأصغر باستمرار. من هذا مثلا، رأى دوركايم الذى كان يعتقد أن الأسرة أخذت فى ظل الثقافات الراقية القديمة تتقلص من أكبر أشكالها المعروفة إلى أشكال أصغر فأصغر. ولو أنه لم يستبعد احتمال بقاء بعض الأشكال القديمة فى فترات أحدث تاريخياً. وهكذا استطاع أولئك العلماء أن يحددوا الأنماط الأسرية التالية التى كانوا يعتقدون أنها كانت موجودة فى مجتمعات العالم القديم.

(أ) الجماعات القرابية الشديدة الاتساع، من ذلك النوع الذى كان موجوداً فى الإمبراطورية الرومانية القديمة.

(ب) الأسرة الكبيرة التى كانت تتكون من الإخوة وزوجاتهم وأولادهم الذين يعيشون معاً فى ظل حياة مشتركة لا تعرف تقسيم الميراث.

(ج) الأسرة الأبوية الكلاسيكية، وهى الأسرة التى تضم أجيالا متعددة فى خط الذكور.

(د) أسرة الأب، وهى التى تتكون من الزوج والزوجة(أو الزوجات)، والأطفال القصر، والأقارب الذين يشاركون الأسرة حياتها لسبب أو لآخر.

فإذا قارنا هذه الأنماط الأسرية على أساس عدد الأفراد الداخلين فى تكوين كل منها، فسوف نصل بالضرورة تدريجياً مع اضطراد التطور الاجتماعى. إلى الأسرة الزواجية. وقد أطلق دوركايم على هذه الظاهرة اسم"قانون تقلص حجم الأسرة" أو قانون التناقص Loi de Contraction وتنقسم التفسيرات التى قدمت لتعليل هذا التطور إلى قسمين رئيسيين هما:

(أ) التفسيرات البنائية.

(ب) التفسيرات التاريخية.

والملاحظ أن دوركايم فى تفسيره لتطور أشكال الأسرة قد لجأ إلــى كل من التفسيرين دون أن يراعى بما فيه الكفاية اختلافهمــا عــن بعــضها اختلافاً أساسياً. فالتفسير البنائى ينطلق من قضية مؤداها أن كثافة العلاقــات المتبادلة داخل أسرة الأب(وهى أقرب الأشكال الــسابقة للأســرة النوويــة) تنخفض عن كثافة تلك العلاقات فى الأشكال الأسرية السابقة. وهنــا نلمــس بوضوح أن دوركايم قد ركز على القضية المفــضلة لديــه، أعنــى قــضية التضامن Solidarite، وهو هنا التضامن الأسرى، أو درجة العماسك داخل الأسرة، وهى القضية التى عالجها فى دراسته عن الانتحار Suicibe . أمــا التفسير التاريخى فينطلق من فرض مؤدا، أن التتابع البنائى لتلــك الأنمــاط الأسرية هو نتيجة تطور تاريخى فى اتجاه واحد(أو هــو تطــور خطــى- Luieart لا عودة فيه إلى الوراء).(٩)

وهنا تبدأ المشكلات وتثور الاعتراضات التى ســنحاول أن نفــصل الكلام فيها فما يلى. من الأمور المعروفة، والتى أشار إليها أكثر مــن دراس من المتخصصين فى الأسرة أنه ليس لدنيا حتى الوقت الحاضر تأريخ ســليم وشامل لنظام الأسرة يغطى مراحل تطورها منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر. ولم يوجه المؤرخون بعامة، ولا علماء التاريخ الاجتماعى والتاريخ الاقتصادى عناية كافية لهذا الموضوع، اللهم بعض الاستثناءات القليلة. ولعل من أبرز الشواهد على نقص معلوماتنا التاريخية عن تطور الأسرة الانطباع الذى نخرج به من دراسة بانوس بارديس Panos Bardis من أن كلاً من العبريين، والإغريقيين، والرومانيين القدماء والمسيحيين الأوائل..إلــخ، لــم يكونوا يعرفون سوى نمط واحد من أنماط الأسرة. وهــو تــصور متخلــف

بالقياس إلى تصورات دوركايم عن تطور الأسرة. إذ أنه من المؤكد أن كل مجتمع من المجتمعات المذكورة كان يعرف أكثر من نمط من أنماط الأسرة. ومن الواضح أن إدراك هذه الحقيقة البسيطة يفتح أمامنا الباب لعديد من التساؤلات عن النسبة العددية لكل نمط من تلك الأنماط بالنسبة لبعضها، وعن توزيع هذه الأنماط بالنسبة لطبقات كل مجتمع من تلك المجتمعات وعن عوامل الثقافة التى كانت تحكم كل نمط منها..إلخ.

وقد أشار رينيه كونيج R. Konig إلى رأى أكده فى أكثر من مناسبة وردده بعده ويليام جود W. Goode مؤداه أن فهم هذا الوضع على حقيقته يتطلب منا أن نأخذ البناء الطبقى لأى مجتمع فى الاعتبار خاصة وأنه من الأمور الواضحة أن الأسرة النووية فى كل تلك الجمعيات كانت هى النمط السائد عند الطبقات الدنيا، على حين أن الأشكال المختلفة للأسرة الممتدة كانت قاصرة على الطبقات العليا أساساً. (وذلك على فرض ألا تكون الطبقات الدنيا- كالأرقاء-مثلا-محرومة من حق الزواج).(١٠)

فالأسرة الممتدة تشكل نمطا شائعا فى المجتمعات البدائية والمجتمعات غير الصناعية، وهذه الأسرة عبارة عن جماعة متضامنة الملكية فيها عامة والسلطة فيها لرئيس الأسرة أو الجد الأكبر، أو بعض آخر هى الجماعة التى تتكون من عدد من الاسر المرتبطة، سواء كان النسب فيها إلى الرجل أو المرأة، ويقيمون فى مسكن واحد، وهى لا تختلف كثيرا عن الاسرة المركبة أو العائلة.

والعائلة هذه أو الاسرة الممتدة توجد فى القرية أكثر مما توجد فى المدن، حيث ترتبط الاسر وتترابط فيما بينهما حيث إن انتماءهم يكون لجد واحد.

أما الأسرة النواة فتعتبر الان ظاهرة اجتماعيـــة عالميـــة- وترجـــع عالمية الاسرة النواة إلى الوظائف الاساسية التى تؤديها والمشكلات التى قد تترتب على قيام جماعة أخرى بهذه الوظائف- ويمكننـــا ان نلمـــس أربعـــة وظائف أساسية تؤديها الأسرة النووية للحياة الاجتماعيـــة الانـــسانية هـــى الوظائف: "الجنسية والاقتصادية والتناسلية والتربوية". ويمكننا أيضا التمييز بين هذه الوظائف الاجتماعية والسيكولوجية التى توديها الاسرة النووية. فلقد ميز كنجزلى دافيز بين أربعة وظائف اجتماعيـــة أساســـية هـــى: التناســـل والرعاية للأطفال والصغار والوضع والتنشئة الاجتماعية. ومن بين الوظائف نجد الوظيفتين الاوليين والوظيفة الرابعة تحتل الأهمية الكبـــرى، ذلـــك لأن وظيفة الوضع التى تعنى ربط الفرد بنسق مهني أو تسلسل رئاســـى ليـــست وظيفة عالمية للاسرة النووية فهى توجد فقط فـــى المجتمعـــات الـــصناعية الحديثة، أما الوظائف السيكولوجية فتتمثل أساسا فى اشباع الحاجات الجنسية للزوجين، ثم تحقيق الامان العاطفى للزوجين والاطفال على السواء.

ويستند البناء الأساسي للأسرة النووية على مبدأ تحريم الزواج مـــن المحارم ويترتب على ذلك نتيجة هامة هى أن الاسرة النووية لا تستمر عبر الزمان بل انها تقتصر على جيلين. أما الجيل الثالث فيمكن أن يظهـــر فقـــط عندما تتشكل أسر جديدة عن طريق تبادل ذكور واناث الاسر النووية القائمة، ومعنى ذلك أن كل راشد طبيعى في كل مجتمع ينتمي لأسرتين نوويتين على الأقل: اسرة التوجية التى يولد فيها ويرتبى بها والتى تضم أباه وأمه وأخوته وأخواته، وأسرة التناسل التى يقيمها بزواجه والتى تشمل زوجته وأولاده.

وتعد الأسرة النووية المستقلة خاصية هامة من خصائص المجتمعات الصناعية الحديثة ويعود شيوع هذه الأسرة إلى عدد مـــن العوامـــل أهمهـــا

سيطرة النزعة الفردية التى انعكست على كثير من المظاهر كالملكية والقانون والأفكار الاجتماعية العامة المتعلقة بسعادة الفرد ورضائه الذاتى، كما يعود إلى شدة كل من الحراك الجغرافى والاجتماعي.(١١)

وينقلنا هذا الرأى إلى ضرورة رؤية الموضوع من منظور مختلف، حيث إننا نتساءل عن تجاوز أشكال مختلفة من الأسرة فى فترات معينة من حياة كل مجتمع بدلا من التساؤل عن عمومية الأسرة النووية فى إطار الأسرة الممتدة، على نحو ما يفعل ميردوك Murdock أو بوتومور Bottomore على سبيل المثال فالفكرة لم تعد الآن كما لو كان نمط معين (يتحول) على نحو ما إلى نمط آخر، دون أن يتخلف عن النمط أى آثار. وأنما أصبح محور الاهتمام فى حالة الاعتقاد بوجود أنماط متنوعة متجاورة، هو الجوانب البنائية والثقافية لهذا النمط أو ذاك، كذلك مظاهر تقارب الأنماط المختلفة أو تباعدها، أى امتزاجها ببعضها أو انفصالها واستقلالها عن بعضها البعض .ويمكن أن نلحظ بعض هذه الظواهر بشكل واضح عند المجتمعات التى تتعرض لتحولات سريعة . حيث تؤدى أسباب مختلفة إلى تقلص الأسرة الممتدة من الطبقات العليا سريعاً، دون أن يؤدى ذلك إلى اختفاء النظام القانونى للأسرة الممتدة نفسها. وهنا تقترب أشكال الأسرة فى الطبقات العليا من شكل الأسرة النووية السائد عند الطبقات الدنيا بحيث يستعصى على الباحث موضوعياً أن يميز هذا الشكل الجديد عن الشكل القديم. وبهذا يحدث نوع من التقارب بين نمطين من أنماط الأسرة كانا مختلفين فى الأصل. فيتكون بذلك نمط جديد يكون هو الشكل السائد عند غالبية المجتمع. وهذا فى الوقت الذى توجد فيه فى نفس هذا المجتمع أسر ممتدة طالما أنها تحقق وظيفة معينة، كالحفاظ على ثروة الأسرة مثلا فى يد

واحدة. وبذلك تتحول هذه الأسرة إلى أقلية وسط المجتمع الكبير وتفقد أهميها الثقافية، ولكنها يمكن مع ذلك أن تظل قائمة كمجتمعات غير رسمية حتى بعد اختفاء القواعد القانونية التى تنظمها، كما هو الوضع على سبيل المثال فـــى معظم المجتمعات الغربية فى أوربا وأمريكا الشمالية. على حين نجـــدها قـــد اختفت اختفاء كاملا فى المجتمعات الاشتراكية(بالطبع بسبب فقدانها الوظيفة التى تبرر وجودها). ولو أنه ليس من المستبعد تماماً أنها ربما تعاود الظهور من جديد فى يوم ما فما بعد تلقائيًّا إذا ما تغيرت الظروف الموضوعية.

ومهما يكن اختلافنا على تصوير التفاصيل الدقيقـــة. فـــإن النقطـــة الحاسمة فى مناقشتنا هى أن التحليل البنائى الوظيفى قد حل محل النظريـــة التي تقول "بترسب" بعض الأشكال القديمة كتفسير لتجاور أكثر من شكل من أشكال الأسرة فى مجتمع واحد فى فترة معينة. على أن هذا التحليل البنـــائى الوظيفى لم يعد اليوم يربط الأسرة بالمجتمع الكبير ككيان واحد، وإنما ينظر إليها فى ضوء الطبقة الاجتماعية على اعتبار أن الـــضرورات الاجتماعيـــة والأسس الموضوعية تختلف- اختلافاً قد يكون كبيراً- مـــن طبقـــة لأخـــر. وبذلك تستطيع أن تفسير تجاوز عدة أنماط أسرية مختلفة فـــى أى مجتمـــع طبقى مركب تفسيراً بنائياً وظيفياً.

وبديهى أن هناك بعض حالات "الترسب" التي قد تكون غير وظيفية من وجهة نظر هذا التفسير. ولكننا يجب أن نسأل أنفسنا فى هذه الحالة إلـــى أى مدى يمكن أن يظل أحد النظم غير وظيفى دون أن يتحول إلى نظام غير سوى وظيفياً dysfunction كما أنه يمكن أن يكون وظيفياً ظاهرياً فقط دون أن يؤدى وظيفة حقيقية، كأن يكون مصدرًا لإضـــفاء هيبـــة اجتماعيـــة، أو إكساب صاحبه اعترافًا اجتماعيًّا معينًا، على الرغم من أن الجميع يعرفـــون

تمامًا أنه لا يؤدى أى وظيفة فعلية(كنظام النبلاء بألقابهم وأعرافهم فى معظم البلاد الأوربية المعاصرة). وكن القاعدة تظل على أى حال أن هناك أشكالا متباينة من الأسرة، وأنها تختلف تبعًا للبناء الطبقى للمجتمع.

أما عن "التقلص" Contraction بالمعنى المحدد فإننـــا لايمكـــن أن نتكلم عنه إلا بالنسبة للأسر الممتدة التى تقلص حجمها. على حين نجـــد أن الأسر النووية عند الطبقات الدنيا لم تتعرض طوال تلك الفترة لأى تغير على الإطلاق. أو يحتمل فى حالات معينة أن يحدث تطور مضاد لفكرة التقلص، وأعنى أنه يرتفع مستوى الأسرة الأجتماعى وتتحول إلى أسرة ممتدة علـــى النحو ما أوضح رينيه كونيج R. Konig فى مقاله الهام "مـــشكلات قديمـــة ونظريات جديدة فى علم الاجتماع العائلي". معنى هذا من الناحية البنائية أن التطور الذى حدث مضاد تمامًا لحركة التقلص، التى يعبـــر عنهـــا قـــانون دوركايم. ثم معنى هذا تاريخيًّا، عكس التسلسل التاريخى المزعوم.(١٢)

الأسرة النووية- والتى يعتبرها البعض نهاية المطاف- لقد تـــأثرت بالهجرات الداخلية والخارجية فليس غريبا علينا أن نرى أسرة بعض أفرادها فى أسوان والبعض الآخر فى القاهرة أو الاسكندرية.. وليس عجيبا أن نرى أسرة بعضها فى مصر والبعض الآخر فى البلدان العربية.. هذا، وأن كـــان يبدو وكأنه شئ طارئ الا أن الدراسات الدولية المقارنة فـــى هـــذا المجـــال توحى بأن هذا الوضع سوف يستمر بل ويزداد فتنشأ بذلك أسرة نووية مـــن نوع جديد يتسم أفرادها بالفردية المطلقة.. وتتراخى العلاقـــات بـــين أفـــراد الأسرة.. وينشأ تعاون من نوع جديد.. تعاون طوعى بين وحدات مستقلة..لا تعاون قصرى تفرضه ظروف الإنتاج المشترك.(١٣)

وهكذا يمكن أن نخلص إلى أنه ليس هناك مبرر للقول بحدوث تطور خطى مستقيم من أشكال أسرية صغيرة، ولعل الأصواب- ولكنه ليس قاعدة أيضًا- الاعتقاد بأن هذا التطور اتخذ شكلا "إيقاعيًّا" معينًا بل ودائريًّا في بعض الأحيان، يخضع لظروف معينة بالنسبة لكل مجتمع، وهي ظروف يجب الوقوف عليها وتحديدها فى كل حالة.

فمن الظروف التى تشجع على وجود الأسرة الممتدة: العزلة السياسية والجغرافية، وضعف نظام الدولة، وبعض الظروف الاقتصادية المحددة(مثل تربية قطعان كبيرة من الماشية والملكية الجماعية للأرض) ثم هناك من ناحية أخرى عوامل تشجع على تقلص حجم الأسرة نذكر منها: زيادة حق الأب الذى خفض الأسرة الكبيرة فى الحجم ووصل بها إلى الأسرة الأبوية الكلاسيكية وزيادة الملكية المنقولة(لأنها تيسر عملية تقسم الإرث)، ونمو التجارة ونمو النزعة الفردية. لهذا نجد أن المؤرخين يستطيعون فى بعض الأحيان التدليل على تحول الأسرة الكبيرة إلى أسر صغيرة والتدليل في أحيان أخرى على التطور العكسى، وأعنى التكون التلقائى لأسر ممتدة جديدة. ثم يختلف عن هذا كله ظواهر التقارب والامتزاج بين النمطين الرئيسيين، والتي أشرنا إلى طرق منها فيما سبق. ثم علينا علاوة على هذا كله أن نتوقع وجود مستويات مختلفة، متجاورة معا في بعض المجتمعات، كالقبيلة والفخذ والعشيرة والعائلة الكبيرة والأسرة النووية. إذ من الخطأ في هذه الأحوال أيضا اشتقاق مستوى من مستوى آخر أو ترتيب مستوى على مستوى آخر. هذه الجماعات عبارة عن جماعات تعبر عن انتماءات مختلفة بحيث يبرز الانتماء إلى أحدهما في ظرف معين أو يتخلى عن هذا الانتماء في ظرف آخر.[١٤]

٣- التصنيع والأسرة النووية:

من أبرز الأسباب التي يعزو إليها الباحثون تقلص الأشكال الممتدة من الأسرة سببان يرتبطان ببعضهما ارتباطا عضويا إلى حد ما، هما التصنيع والتحضر. غير أن البحوث الحديثة قد ألقت أضواء جديدة على طبيعة هذه العلاقة وأبعادها المختلفة بحيث أننا نجد بعض الدارسين مثل وليام جود W. Goode يطلب مراجعة كاملة للآراء السائدة حول هذا الموضوع. والعجيب أنه لم يكن أى من علماء الاجتماع يجرؤ منذ ثلاثين عاماً مضت على التشكك فى هذه العلاقة، أو على التفكير فى تعديلها بحال من الأحوال. وسنشير فما يلى على عجل إلى أبرز وجهات النظر الحديثة التى تفرض علينا مراجعة هذه القضية مراجعة شاملة.

فهناك فى المقام الأول معلومات كشف عنها متخصصون فى التاريخ الاجتماعى توضح تفكك الأسر الريفية فى كثير من الأحيان بسبب حقوق الإرث إلى جماعات أصغر فأصغر. وقد حدث هذا فى وقت لم يكن فيه للتصنيع أى أثر بعد.

كما دلت بعض المعلومات التاريخية على وجود علاقة متناقضة بين الأسرة النووية والتحضر، حيث اتضح أن الأسرة المتدة كانت أكثر في المدن بالذات، كما تميزت الفترة المبكرة من الرأسمالية، أو كما تسمى الرأسمالية، بالدور القيادى البارز الذى لعبته مختلف أشكال الأسرة المتدة فى تنمية الرأسمالية، وقد أشار بعض الباحثين إلى هذه التناقض مثل ويليام جود الذى كتب يقول "إن أكثر الأسر نجاحاً فى ظل النظام الصناعى والحضرى هى بالتحديد تلك الأسر التى كانت أبعد ما تكون من نمط الأسر الزواجية التى يعتقد أنها أكثر أنماط الأسرة تواؤما مع التصنيع" كذلك أشار رينيه كونيج

R. Konigإلى نفس الحقيقة قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنوات حينما كتب يقول:

"من الواضح أن التغيرات الأساسية فى البناء الأسرى قد حدثت قبل ظهور التصنيع بوقت طويل". ويفسر كونيج رأيه هذا بالتغيرات التي أثـــرت على النظام الزراعى مثل بدء استخدام الخيول بدلا من الثيران مـــن العمـــل الزراعى فى يوغسلافيا خلال القرن التاسع عشر. فقد أثر التطـــور بـــشكل عنيف على الأسرة الزراعية الكبيرة "الزادروجـــا Zadruga" فـــأدى إلـــى تفككها. ذلك أن قدرة الحصان الفائقة بالقياس إلى الثيران. على العمـــل قـــد جعلت فلاحة نفس المساحة من الأرض تحتاج إلى عدد من الرجال أقل كثيراً من العديد الذى كان يفلحها من قبل.(١٥)

ثانيا- التغيرات فى المجتمع وانعكاساته على الأسرة

١- حـــدثت تغيـــرات كثيرة فى المجتمع المـــصرى فـــى الفتـــرة ١٩٥٢-١٩٨٠:

(أ) أدى الضيق والقلق الذى انتاب الشعب المصرى إبان حكم الملك فاروق إلى قيام الشعب بعدة حركات مضادة للحكم القائم. كان أخرها حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢. وفى هذا المناخ. الذى تحول إلى غضب عام، قـــام الجيش بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ معبراً عن إرادة شعبية شبه إجماعية.

(ب) أصدر مجلس قيادة الثورة قوانين الإصلاح الزراعى، وأعطـــى هذا دفعة لقضية عدالة توزيع الأراضى، كما أعطى المواطنين شعوراً عامـــاً بالإطئنان على مستقبلهم ومستقبل أولادهم وإحساساً بأن الـــوطن للجميـــع لا للقلة المحظوظة.

(ج) تسارعت حركة التصنيع بمعدلات كبيرة جعلت من الـصناعة ركناً أساسياً في الاقتصاد القومى.

(د) صدر عدد من القوانين الاشتراكية لحماية الفئات محدودة الدخل فى الريف والحضر، ولعل أهمها قوانين الأجور والدعم وحق المواطنين فى العمل.

(هـ) تخلصت مصر من كل أنواع التبعية السياسية الاقتـصادية، لا بطرد المستعمر فحسب، ولكن بالتخلص من التبعيـة للـشرق أو للغـرب، وبتمصير الاقتصادى المصرى.

(و) تزايد البترول فى البلـدان العربيـة، فتزايـدت بـذلك هجـرة المواطنين المصريين إلى البلدان العربية.

(ز) تسارعت معدلات النمو فى التعليم، وخاصة تعليم البنت، وأصبح التعليم مجانياً فى جميع المراحل.

(ح) انتقلت مصر إلى عصر الإنفتاح الاقتصادى والثورة الاستهلاكية فى بداية السبعينيات.

(ط) اشتركت مصر فى عدد من الحروب.

(ى) اتسع المد الدينى مما كان له أثره على الشباب وعلى الدولة.[١٦]

ثالثا- أهمية الاسرة فى الاسلام:

لقيت الاسرة اهتمام القرآن الكريم على عدة أسس ثابتة أهمها:

١- **وحدة الاصل والمنشأ**: فجميع أفراد الاسرة من اصل واحد، وأن الرجل والمرأة من منشأ واحد. وجاءت الآية الكريمة مؤكد لذلك: "يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجـالا كثيرا ونساء"، "وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة".

٢- **المودة والرحمة**: فمن اهداف الاسرة تحقيق المــودة والرحمــة لاقامة مجتمع قوى متماسك فاضل "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا". "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا". "هــن لباس لكم وأنتم لباس لهن".

٣- **العدالة والمساواة**: فقد وزع القرآن الكريم الحقوق والواجبــات على كل فرد من افراد الاسرة بالعدالة والمساواة، وذلك فــى قولــه تعــالى، "ولهن مثل الذي عليهن بالمعرف". وقوله تعالى "من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيهم اجرهم باحــسن مــا كــانوا يعلمون"

٤- **التكافل الاجتماعى**: حيث ينظر القرآن الكريم للأسرة على أنهــا مجموعة متراحمة تقوم على أساس التعاون بين جميع أفرادها وعلــى هــذا الاعتبار شرعت احكام النفقات والميراث والوصية: بقوله تعالى "ليس البران تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخــر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبــه ذوى القربــى واليتــامى والمساكين وابن السبيل".

ومن خلال الآيات البينات والسنة النبوية وما استنبطه الفقهــاء مــن احكام، تتحدد الحقوق والواجبات لكل من الزوجين التــى يجــب أن تكــون واضحة حتى تستقيم حياة الاسرة. ولذلك اهتم القرآن الكريم باحكام الاسرة، حيث وردت معظمها حول الميراث والزواج والطلاق والوصية مفصلة غير مجملة. وذلك فيما عدا الأمور التى من شأنها أن تتغير وتتبدل بحيث جاءت احكامها فى القرآن مجملة بمبادىء عامة وقواعد كلية وتــرك للــزمن امــر تطورها وتطبيقها مثل احكام المعاملات ونظام الحكم..... وغير ذلك. ولقــد

ربط الاسلام احكام الاسرة بالعقيدة. ووصف الزواج بأنــه مــن آيــات الله، وشواهد قدرته وعظمته، وجعل الزوجة كالزوج فى الحقوق والواجبات، الا ما جاء النص على خلاف ذلك فى اصل المساواة، فحق الزوج على زوجتــه الطاعة وحقها عليه النفقة كما جاءت احكام الاسرة فى القرآن الكريم مقسمة لنوعين: احكام خلقية ودينية، واحكام واقعية قضائية الزامية. وجعل احكــام الاسرة وحدة متكاملة واحاطها باطار يمنع الاعتداء عليها بمخالفة احكامها او المس من كرامتها وسمعتها، فشرع من القواعد ما يكون وقاية لها، وما يكون علاجا، وما فيه التحذير والتوجيه والارشاد. ولم يكتف القرآن الكريم بجعــل الضمير والوازع الدينى رقيبا وحده وكفيلا لتطبيق احكام الاسرة، بل اعطى للقاضى ممثل المجتمع الحق فى الاشراف والتوجيه لحــسن تطبيــق هــذه الأنظمة لأنه يجب أن نفرق دائما بين هذه التشريعات كنظــام وبــين واقــع المسلمين كتطبيق.(١٧)

وإذا كان ما سبق يوضح بعض الأسس التى بينها القرآن الكريم، فان تأكيد الاسلام على أهمية الاسرة جاء تأكيدا لما تحققه الاسرة مــن اهــداف اجتماعية واقتصادية وخلقية وصحية وسياسية وروحية.

ويتمثل الهدف الاجتماعى من تكوين الاسرة فى تحقيقهــا لتماســك المجتمع وترابطه وتوثيق الأخوة بين افراده وجماعاته وشعوبه بالمــصاهرة والنسب. فقد حث الاسلام على الزواج من الغرائب لانه يحقق مالا يتحقــق بزواج ذوى القربى. فالمرأة الغربية يكون الزواج منها سبباً فى ايجاد صلات جديدة لم تكن قائمة من قبل بين العائلات والقبائل وبين الشعوب والأجناس، وبالتالى يزداد المجتمع الاسلامى قوة واخوة.

ويأتى الهدف الاقتصادى لتكوين الاسرة من قــول الرســول(عليــة الصلاة والسلام) "تزوجوا النساء فأنهن يأتين بالمال" والمعنى أن الزواج من اسباب البركة فالزواج عاصما للنفوس من الخــواطر ويرتفــع بالمــستوى الاقتصادى للزوجين ويعينهما على تقوى الله. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وللاسرة أثر فى نهضة الأمة ورفــع مــستواها فهى نتيجة طبيعية لتوفر الأيدى العاملة اللازمـــة لا ستــصلاح الاراضـــى واستثمار الموارد واستخراج الثروات الطبيعة. وفى كل هذا وغيره قوة للأمة وتحقيق الاكتفاء الذاتى لا حتياجاتها وحماية لها من سيطرة الأعداء عليها.

أما الهدف الخلقى فينحصر فى اعتبار الاسرة وسيلة فعالـــة لحمايـــة الشباب والنساء ووقاية للمجتمع من الفوضى، باعتبارها الوســيلة الوحيــدة لاقامة العلاقات الزوجية. ومن الناحية الصحية يهدف الاسلام الـــى صـــيانة صحة الشباب وقوتهم من أن تستنفذها العادات الضارة وما يترتب عليها من انهيارات جسمانية ومعنوية لا تخفى خطورتها او ان تفتك بهـــا الامـــراض الخبيثة. "ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط الا اصابهم الطاعون والاوباء التـــى لم تكن فى أسلافهم".

وينظر الإسلام إلى تكوين الاسرة كوسيلة لتحقيق اهداف سياسية لها اثرها فى عزة الامة وسيادتها فقد بدأت الجماعة الاسلامية كقطرة فى بحـــر بالنسبة لقوى الشرك، ثم استجاب المؤمنون للتوجيه النبوى، "تناكحوا تناسلوا فاني أباهى بكم الأمم يوم القيامة" وكان التكاثر فى النسل من أهـــم العوامـــل التى حفظت للقلة المؤمنة كيانها وعاونتها على البقاء. كما ينظر الاسلام الى بناء الأسرة باعتبارها خير وسيلة لتهذيب النفوس وتنمية الفضائل الانسانية اذ

تقوم الحياة فى محيطهـــا علـــى التـــراجم والتعـــاطف والتعـــاون فـــى اداء الواجبات.[١٨]

رابعا- صلاح العائلة صلاح الأمة:

يتحدث أحمد لطفى السيد فى مقاله له عن أسس الاختيار فى الزواج فى العائلة المصرية فى زمانه، وهى القاعدة التى تبنى عليه العائلة، ومن ثم المجتمع بأسره. لأن الأسرة هى أساس المجتمع ولبنته الأولى.

ونراه هنا يقارن بين المجتمع الريفي والمجتمع الحـــضري مفـــضلا أسس الاختيار للزواج فى المجتمع الريفى، وكذلك نمط العلاقات الزواجيـــة، والعائلية فيه، مبررا لرأية بمبررات واقعية ومنطقية.

كما أنه يتناول فى هذا المقال أهمية التعليم والمساواة بالنسبة للبنت، وضرورة المساواة بينها وبين أخيها فى التنشئة والتربية. ورأيه فى حجـــاب المرأة وسفورها.

يقول أحمد لطفى السيد فى مقالته هذه إذا رأيت العائلـــة المـــصرية ولحظت علاقات الزوجية خصوصا فى الطبقة التى عقد بها الرجاء لترقـــى البلاد. وإذا رأيت فوق ذلك هذه الأزمة الفاشية فى سوق الزواج بين الـــشبان والشابات. إذا رأيت كل ذلك، حكمت أن علينا واجبات لا آخر لها، وجهـــادا شديدا وطويلا فى إصلاح حالنا الاجتماعية. وإننا يجب علينـــا أن نـــستخدم جميع القوى التى ندفع بها حريتنا الشخصية وحريتنا السياسية فى إصـــلاح حالنا العائلية. لأن نجاحنا فى الأولى، يتوقف دائما على نـــسبة تقـــدمنا فـــى الثانية. لا تتألف الأمة من الأفراد المجردة، بل هى تتألف من العائلات.

كنا نصبح أشد رجاء وأسعد حظا لو كانت العائلات المعول عليها فى رقى لأمة هى تلك العائلات الفلاحية التى ليس فيها بين الزوج والزوجة من

الفروق، إلا تلك الفروق الطبيعية أو الشرعية، التى لا مناص منها. ولكن مع الأسف إن السنة المطردة فى نظام العالم تجعل هذه العائلات الفقيرة لا تحدث فى جمعية الأمة أثرا إلا وراء العائلات الأخرى. عـائلات الطبقـة العليـا. والطبقة الوسطى من الأمة. على أن هذه العائلات الفقيرة أو عائلات العمال فى بلادنا، هى فى الحقيقة قريبة فى نظامها من المعقول لأنها مؤسسة علـى جانب عظيم من المحبة والتسامح والشعور بالمساواة بين الزوج وزوجته.

يرى الشاب الفلاح ابنة جار أبيه فى البيت أو الغيط، أو يلمح ابنـة نزيل عندهم فى القرية أو ابنة أحد أقارب أو أصحاب أبيه أو غيرهم فى بلد أخرى. يلمح هذه أو تلك فيبتدرها بالسلام. يسلم عليها باسمها من غير كلفة، وهى كذلك ترد السلام عليه باسمه، ثم يتحادثان كما يتحادث الأخ مع أختـه. ثم يكون من بعد ذلك أن يجد الشاب فى هذه البنت الصورة المرسـومة فـى ذهنه من المرآة التي يبتغيها له شريكة هى الحياة، فيخطبها له أبوه. وهكـذا هى العامة. إلا ما شذ منها فى العائلة التى يكون رئيسها غليظ القلب، جـافى الطبع، يزوج ابنته كرها لمنفعة يرتجيها. أو فخر يحلم به. أو يزوج ابنه بمن لا يحبها، لأنه يجب إرضاء مطمح له أيضا. ولقد علم الناس أن مثـل هـذا التصرف يأتى دائما على نتيجة تناقص ما في حسبان الآباء، فكفوا عنه الآن كثيرا. وليست هذه الأمثلة في الواقع إلا شواذ من القاعدة العامة التى هى أن الشاب الفلاح والشابة الفلاحة، يتزوج كلاهما بعد ميل خاص وجاذبية حقيقية. إذا أخطأ الشباب في اختياره أو أخطأت الشابة فـي اختيارهـا. فخطؤهمـا شخصي خاص بهما لابد لنظام الجمعية فيه، ولا مسئولية على النظام إلا فى أنه لم يعط هذه الشبيبة الفلاحة من العلم قسطها، حتى يحسن اختيارها.

أما الطبقة الوسطى من الأمة، وهم طبقة الذين يحجبون نساءهم فـــى المدن، والموسرين فى القرى، الذين يقلدون أهل المدن فى حجـــب النـــساء، فتأليف العائلة عندهم مضحك. وشر البلية ما يضحك.

تخطب السيدة المصونة، والجوهرة المكنونة، على الطريقـــة التـــى نعرفها جميعا. لعبة فى علبة. لا يشترط فيها إلا أن تروى عنهـــا الـــسيدات المكنونات أيضا ما شئن من الجمال الذى لا يعرفن لـــه معنـــى، إلا الـــسُمن والبياض. والأدب الذى لا يعرفن له صورة، إلا غض الطرف ووضع اليدين بانتظام على الركبتين كتماثيل سقارة. ثم تنقل هذه الشابة التى عقد عقدها إلى بيت زوجها كما تنقا البضاعة الذى حصل اتفاق المتعاقدين عليها عقدا عاما، ليس فيه شرط. ولا خيار عيب.[١٩]

أسئلة على الفصل الثانى

١- ما أهم المداخل السوسيولوجية لدراسة الأسرة ؟

٢- ما الفرق بين الأسرة النووية والأسرة الممتده ؟

٣- ما علاقة التصنيع والتقدم التكنولوجي بتغير نمط الأسرة ؟

٤- ما أهمية الأسرة فى الإسلام ؟

المراجع

١- أحمد زايد، فى علياء شكري(اشراف)، الأسرة والطفولة: دراسات اجتماعية وأنثروبولوجيه، ط١، دار المعرفة الجامعية، ب.ت، ص ص٦- ٧.

٢ – سناء الخولى، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، ب.ت،ص ص ٣٥١ – ٣٥٣.

٣ – السيد رشاد غنيم، فى السيد عبد العاطى وآخرون،الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص ص٣٤٢ – ٣٤٤.

٤- سناء الخولى، مرجع سابق.ص ص٣٥٤- ٣٥٥.

٥- المرجع السابق،ص ٣٥٦.

٦- علياء شكرى، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨١، ص ص ١٦٥- ١٦٦.

٧- المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المسح الأجتماعى الشامل للمجتمع المصرى ١٩٥٢- ١٩٨٠، القاهرة،١٩٨٥، ص ص١٣٣-١٣٤.

راجع: ساميه الساعات، علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ص ص ١٥-٢٥.

٨- المرجع السابق، ص ١٣٥.

٩- علياء شكرى، الاتجاهات المعاصره.، مرجع سابق، ص ص ١٩٤- ١٩٥.

راجع: على الطراح، التنشئه الاجتماعية وقيم الذكوره فى المجتمع الكويتي، مجلة العلوم الأجتماعيه، الكويت، صيف، ٢٠٠٠، ص ص ٧١-٩٤.

١٠- المرجع السابق، ص ١٩٦.

١١- السيد عبد العاطى وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٩-١٠.

١٢- علياء شكرى، الاتجاهات المعاصرة..، مرجع سابق، ص ص ١٩٧-١٩٨.

- راجع أيضا علياء شكرى(اشراف)، دراسات في علم الاجتمـاع العـائلى، دار المعرفه الجامعية، ١٩٩١،ص ص ١١٥-١٢٢.

١٣- المركز القومى للبحوث الاجتماعية، مرجع سابق،ص ١٣٦.

١٤- علياء شكرى، الاتجاهات المعاصرة...، مرجع سابق، ص ١٩٩.

١٥- المرجع السابق، ص ص ٢٠٠-٢٠١.

١٦- المركز القومى للبحوث الاجتماعى والجنائية، مرجع سابق، ص ١٣٧.

راجع، محمد أحمد بيومى، المشكلات الاجتماعية، دار المعرفـه الجامعيـه، ١٩٩٣، ص ص ١١٣- ١٢٥.

راجع أيضا: سهير لطفى (اشراف) وآخرون، الأسرة المعيـشيه والانفـاق الاجتماعى: والواقع والتطلعات، دراسة مسحية بالعينـة، المركـز القـومى للبحوث الاجتماعية والجنائيه، القاهرة،٢٠٠٠.

١٧- غريب سيد أحمد(وآخرون)، دراسات فى علم الاجتماع العـائلى، دار المعرفه الجامعيه،١٩٩٥، ص ص ١٩٦- ٢٩٧.

١٨- المرجع السابق، ص ٢٩٨.

١٩- ساميه الساعاتى، علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهـم قـضاياها، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ص ص ١٧٦- ١٧٧.

الفصل الثالث
الزواج وتكوين العائلة

مقدمة

أولاً : نشأة الأسرة وأهميتها

١ – لماذا يتزوج الناس : الأسباب والتطلعات

٢ – التأكيد علي أهمية الزواج

٣ – السن عند الزواج

ثانياً : تعريف الأسرة وتطورها

١ – العلاقة بين الزوجين ونظرية التكامل

٢ – توقعات الدور والتوافق في الزواج

٣ – علاقة الأب بالأبناء

٤ – مهام الزواج

٥ – أشكال الزواج



مقدمه

الأسرة Family من أهم وأعرق الجماعات الأساسية في بنيات المجتمعات الإنسانية . لها وظائف ثابتة نسبيا – رغم ما عصف به التغير من الوظائف الأخرى . فهي المكان الاجتماعي للإنجاب وبعض الإشباعات العاطفية والإنسانية الأخرى . وإذا كانت البحوث السوسيولوجية والسيكولوجية الجادة قد بينت أن أنماط الأسرة وأشكالها البنائية ، وعلاقاتها ووظائفها ، تشابكت وتفاعلت مع سيرورة التطور الاجتماعي الاقتصادي المتفاوت في عمقه وإيقاعاته ، فجعلت أسر عدد كبير من المجتمعات تنتقل من الشكل البنائي الموسع أو الممتد Extended إلي الشكل البسيط أو الصغير " النواة " Nuclear ، الذي نقلها في الوقت نفسه من وحدة اجتماعية اقتصادية ثقافية ذات وظائف شاملة ومتكاملة أو تكاد ، إلي جماعة شبه متخصصة في الإنجاب والتنشئة المبكرة ، حيث آلت وظائفها الأخري إلي مؤسسات ومنظمات أخري ، تربوية وتعليمية وإعلامية واقتصادية و إلخ . كما أكدت تلك البحوث أن الحاجة الفردية والجماعية والمجتمعية ، لأدوار الأسرة ووظائفها تكون أكثر إلحاحا غالبا – كلما انحسرت في المجتمع المحدد فرص إعداد البشر وإشباع حاجاتهم الأساسية ، وتمكينهم من مقدراتهم، أي كلما انحسرت فرص تحقق الأمان النفسي والاجتماعي ، الفردي والجماعي ، عبر كفاءة وكفاية ما يسمي بشبكات الأمان الاجتماعي Safety Nets .

وإذا كانت العولمة قد غيرت وعلي نحو شبه عميق وشامل وسريع في كثير من أبعاد أو أصعدة المجتمعات الإنسانية ، الاقتصادية والسياسية والثقافية ، فقد كانت تلك التغيرات أكثر تجسدا علي مستوي الأسرة ، فذهب

بعض الباحثين ، إلي أنك إذا أردت أن تفهم أوضاع بنية اجتماعية علي نحو بليغ وسريع فعليك بدراسة أوضاع الأسرة وأحوالها فيــه ، فــي علاقاتهــا بمواقعها الطبقية المحددة لفرصها الاجتماعية ، وفي سياق مجتمعاتها المحلية، بدوية كانت أو ريفية أو حضرية ، خاصة ما يحتضنه هذا السياق من قــيم ومعايير ومفردات متنوعة لتوجية الاختيارات الفردية والجماعية .

ولعل من بين أهم التغيرات العامــة – رغــم الاعتــراف بوجــود استثناءات في هذا المجتمع أو ذاك – مايلي .

أ – تغيرت الأشكال البنائية للأسرة ، – وكانــت مــستعدة لهــذا – واتجهت في معظمها إلي الشكل الصغير الذي كاد أن يختزل في الــزوجين والأبناء الذين يعيشون مع الأسرة ، ولفترات تكاد تتحدد في مرحلة ما قبــل المراهقة . وإذا كان هذا قد حدث في المجتمعات الصناعية الغربيــة ، فمــن المحتمل أن تتزايد فرص حدوثها في المجتمعات الأخرى . وإن كان بأشكال ومستويات متباينة تدخل ثقافاتها طرفا فيها . ففي الحالة العربية حتــى مــع سكني الأبناء بعد الزواج في وحدات مستقلة وشــبه مــستقلة ، إلا أن ثمــة علاقات بينهم وبين الآباء تكاد ترتبط بمدي حاجة الآباء والأبنــاء لبعــضهم البعض، وهو ما جعل البعض يفترض وجود شكل ممتد معــدل ، لا يــرتبط بالضرورة بالسكني المشتركة ، وإنما بالتفاعلات الممتدة عبر المكان.

ب – حدث تفكيك Deconstruction فــي العلاقــات والتفــاعلات الأسرية نتيجة لتفاعل وتدال مجموعة من العوامل: منهــا تقلــص أوقــات التفاعلات الأسرية ، نتيجة لانشغال أحد الأبوين أو هما معا بمشاغل تستغرق أوقاتا أطول من النهار ، وأيضا غياب أحدهما لهجرته خارج النطاق المكاني لإقامة الأسرة – هجرة داخلية أو خارجية – وحتى في حال وجود أعــضاء

الأسرة معا، فقد صاحب التغير في وسائل الاتصال والإعلام عزلـــة نـــسبية لأفراد الأسرة لمشاهدة التليفزيون أو التعامل مع الحاســـب الآلـــي وشـــبكة المعلومات أو الانشغال بالهاتف الجوال إلخ ، ويعني هـــذا بـــروز الفرديـــة والخصوصية في مواجهة الجماعي والمشترك علي مستوي الأسرة. لقد حدا هذا ببعض الباحثين إلي افتراض أن بعض الأسر ، من المواقـــع الوســـطي والعليا، أضحت مؤسسات "إيواء ليلي" لأعضائها.

ت – لقد تفاعل مع ما سبق توتر في علاقات بعض الأسر – يخشي من تزايده في الأحوال العربية – يصل أحيانا إلي صرا عات في القيم بـــين الأجيال ، وصراعات في الأدوار علي مستوي النوع Gender وصـــراعات بين المصالح الفردية ، تكشف عنها تزايد حالات العنف الأسري ، الرمـــزي والمادي ، وأحيانا حالات الانفصال النفسي والاجتماعي داخل " دار الأسرة " تصل ذروتها بالطلاق .

ث – برزت مشكلات نفسية واجتماعيـــة لأعـــضاء مـــن الأســـر : اغتراب الشباب ، نتيجة لعدم التكافؤ بين ثورة التطلعات والمفاهيم والقيم التي يتزايد دور الاتصالات الكوكبية في كثافتها وبين الفرص المتاحـــة لإنجـــاز الأهداف . ولعل من بين مظاهر هذا الغبن الواقع علي الشباب اغتراب فقدان القوة Powerlessness نتيجة للانفصال المتزايد بين ما حصله مـــن تعلـــيم وبين المتطلبات السريعة التغير والتجدد لأسواق العمل ، والذي تدلل عليـــه زيادة معدلات البطالة ومن ثم تأثير تلك البطالة علي فرص الحراك الجيلـــي Generational Mobility وأيضا الفجوة بين النضج النفسي والاجتمـــاعي وإلحاح الحاجة للإشباعات ذات الصلة ، واتساع المـــدى الزمنـــي لفـــرص إشباعها والذي يدلل عليه من بين أدلة أخري – تأخر ســـن الـــزواج ، بـــل

والإحجام عنه لدي فئات ذات وعي نوعي بضرورة الزواج وتكوين الأسرة . كما برزت بعض مشكلات المرأة ، نتيجة لتنامي أفكار ومفـاهيم تحريرهـا وتمكينها وانتشارها عبر وسائط عدة ، وبين واقعها اليومي المباشر . هـذا فضلا عن تزايد وطأة مسألة المعمرين أو كبار السن نتيجة لارتفاع معدلات الأعمار ، في مقابل مشكلات أسرية متنامية في الدخل والسكن وتنامي القـيم المادية الفردية.(١)

أولا : نشأة الأسرية وأهميتها

تنشأ الأسر بخطوة لها كيان تصوري في ذهن الناس يطلق عليها اسم "الزواج" ويعطي المجتمع هذه الخطوة قدرا كبيرا من الأهمية فيتشاور ويرتب ويفاضل ثم يقرر ، ويجتمع الأهل والأصدقاء للاحتفـال بالمناسـبة ويعلـن الجميع أن الزواج قد تم ، وأن في قدرة العروسين ممارسة حيـاتهم كوحـدة مستقلة باعتراف المجتمع وتباريكه، ولكي يتم زواج رجـل بـامرأة فانهمـا يكتبان عقدا – يشهد عليه الشهود– يتعهدان فيه ضـمنا برعايـة بعـضهما البعض ويتعهدان برعاية أولادها ، ويتم الزواج – إلا في حالات نـادرة لا يقرها المجتمع المصري عامة – عن طريق عقد مسجل بين رجل وامـرأة تضمنه الحكومة بقوانينها ويضمنه المجتمع بأعرافه وتقاليده ، ويـضع هـذا العقد كلا من الطرفين تحت مسئولية المعيشة المـشتركة والعلاقـة الدائمـة بينهما . وفي جميع أنحاء العالم تحـاول المجتمعـات بتقاليـدها وأعرافهـا وإحساساتها تدعيم الزواج بكل الطرق المختلفة حتى تنتج عنه أسرة ناجحـة .. ومن هنا كانت المراحل والخطوات التي تمر بها كل زيجة .

تبدأ العملية بالتعارف ثم الخطبة والشبكة.. وفي هذه المرحلة تعتبـر الوعود التي يقدمها كل طرف لرفيقه ارتباطات هامة وملزمة لدرجة أنه من

الممكن أن يقع الطلاق بعد الزواج لعدم وفاء أحد الطرفين بما وعد به في هذه المرحلة ، وتنتهي هذه المرحلة بكتب الكتاب (الزواج الرسمي) ثم الدخلة (الزواج الفعلي) بعد إعداد بيت الزوجية.

ويتزوج الناس لأغراض مختلفة منها الأمان الاقتصادي العاطفي والرغبة في الإنجاب والحاجة إلي الصحبة، كما قد يتزوج الناس في بعض الأحيان لأغراض أخري مثل تحسين المركز الأدبي، أو الحاجة إلي الرعاية الصحية.. الخ. ولقد نظم المجتمع نفسه بطريقة تجعل الزواج أمرا ضروريا وحتميا ويكاد يكون إجباريا في المجتمع المصري حيث يعتبر عدم زواج البنت في أغلب المجتمعات المصرية وصمة .

ويضع القانون في مصر بعض الحدود للزواج مثل "الحد الأدنى للسن عند الزواج" فحدد للفتي ١٨ عاما وللفتاة ١٦ عاما كما نص علي ضرورة تسجيل العقد.

ولا يعترف القانون كذلك بالعقد العرفي بالنسبة للزوج أو الزوجة وإن كان يعترف ببنوة الأطفال الناتجين عن مثل هذا الزواج (نسبهم إلي الأب).

ويتم الزواج في أنحاء مختلفة من العالم بطرق مختلفة، ففي بعض الجهات لابد للمجتمع من قصة حب قبل الزواج، بينما تحرم مجتمعات أخري الزوجات عن مثل هذا الشعور ويعتبر ذلك خارجا عن الآداب والتقاليد في هذه المجتمعات الأخيرة يعتقد الناس أن الزواج يكون ناجحا إذا كانت لدي الزوج القدرة علي الإنفاق علي زوجته، وإذا كانت الزوجة قادرة علي رعاية البيت، وإذا كان الاثنان قادرين علي إنجاب الأطفال ورعايتهم. وبين هذا وذاك (وجود علاقة حب قبل الزواج أو تحريم وجودها) متصل تتوزع عليه

طرق الزواج في المجتمعات المختلفة، فبعضها يعترف بالحب فـــي حـــدود، وبعضها يقبل الحب غير المعلن، بينما لا تزال كثير من المجتمعات تري أن في ذلك مساسا بكرامة الأسرة بل وبشرفها في بعض الأحيـــان. ولا يخـــرج المجتمع المصري عن هذا الإطار العام وان كانت العلاقة بين الفتي والفتـــاة مازالت غير مباحة إلا في حدود في أغلب المجتمعات المـــصرية ، وعلـــي الأخص في الطبقات المتوسطة في المدن وذات الدخل المرتفع في الريف.

وتمارس المجتمعات المختلفة ألوانا متنوعة من الـــزواج، فتمـــارس أغلب المجتمعات الزواج الفردي أو الأحادي Monogamy بينمـــا تـــسمح مجتمعات أخري بشكل من أشكال التعدد Polygamy فإذا تزوج رجل بأكثر من زوجة أطلق علي هذا التعددي الذكري Polygany أما إذا تزوجت امرأة بأكثر من رجل سمي هذا الزواج التعـــددي الأنثـــوي Polyandry (غيـــر موجود في مصر) وينتشر في مصر الزواج الأحادي مع بقاء ظاهرة الزواج التعددي الذكري بنسبة محدودة.

قلنا أن القانون – حماية للأسرة – أوجب ألا يقل سن الزواج عنـــد العقد عن ١٨ عاما بالنسبة للرجل وعن ١٦ عاما بالنسبة للمرأة.. ولو تابعنا الوضع في مصر نجد أن هناك ارتفاعا مستمرا في سن الزواج لكـــل مـــن الذكور والإناث، وقد يرجع هذا إلي انتشار التعليم وتأخر النضج الاقتصادي بالنسبة لكل من الذكر والأنثى، وقد يرجع أيضا إلي ارتفاع تكاليف المعيـــشة وتفشي أزمة الإسكان وإصرار الزوجين علي المعيشة المستقلة.

وبنظرة عامة، يمكن القول بأن الزواج المبكر بالنسبة للرجل (قبـــل الثلاثين) هو الأمر الشائع في مصر، وأن الزواج المبكر للفتاة مازال شـــائعا وخاصة في الريف، ففي عام ١٩٥٢ كان متوسط سن الزواج للفتي حـــوالي

٢٥ سنة وللفتاة حوالي ٢٠ سنة وفي عام ١٩٨٠ أصبح المتوسط حوالي ٢٩ سنة للفتي و٢٢ سنة للفتاة كما يمكن القول بأن زواج الرجل بأكثر من واحدة أخذ في النقصان بين المتعلمين حتى أنه يكاد يختفي في الزواج بـــأكثر مـــن زوجتين. (٢)

أما الآن فأصبح سن الزواج يتجاوز في المتوسط ٣٥ سنة للفتي و٣٠ سنة للفتاة .

١ – لماذا يتزوج الناس : الأسباب والتطلعات

لا يحدث الزواج بصورة طبيعية تلقائية، كما أنه ليس نتاجا لأنمـــاط سلوكية وراثية وهي التي تسمي أحياناً بالغرائز Instincts، بل إنـــه نظـــام Institution، أي أنه يشمل مجموعة متناســـقة مـــن العـــادات والتقاليـــد ، والاتجاهات والأفكار فضلا عن التعريفات الاجتماعية والقانونية . وهكذا فإن الغريزة الجنسية ليست سوي واحدة من العوامل الجوهرية التي تقوم عليها ، ومعني ذلك أن الزواج يعني أكثر من الاستجابة النظامية لدوافع الجنس، لأنه إذا كان الزواج والتزاوج يعنيان شيئا واحد فإنه لا مجال لمعني الـــشرعية، فالناس يتزاوجون وهم أيضاً يتزوجون، إلا أنه في حالـــة الـــزواج تلعـــب الغريزة دوراً ثانوياً نسبياً. إذن إذا كان الناس لا يتزوجون بسب الغرائـــز ، فلماذا يتزوجون؟.

يتزوج الناس لأسباب عديدة، منها: تبادل الحب مع شـــخص آخـــر، والبحث عن الأمن الاقتصادي والمنزل المستقل، وإنجاب الأطفال، وتحقيـــق الأمن العاطفي، والاستجابة لرغبات الوالدين، والهروب من الوحدة أو مـــن منزل الوالدين أو من موقف غير مرغوب فيه أو الحـــصول علـــي المـــال والرفقة، أو الجاذبية الجنسية، أو طلباً للحماية والشهرة، أو الوصـــول إلـــي

وضع اجتماعي معين، أو الوفاء بالجميل أو الشفقة أو النكاية أو المغـــامرة ، واهتمامات أخري عديدة لا نهاية لها . وفي بعض الحالات عندما يفشل مـــا في الحب ، أو يفسخ خطبته أو يعاني من تجربة مؤلمة مشابهة لذلك ، فإنـــه يحول عاطفته من الحب الأول إلي حب ثان ، ويشعر نحو هذا الثاني نفـــس شعوره نحو الأول حتى لو كان الثاني مختلفاً عنه تماما ، وحتى لو كـــان لا يعرفه فترة كافية يبادله أثناءها الحب فهو في هذه الحالة يختار قبل أن يكون قد استعاد توازنه العاطفي ، ويمكن اعتبار مثل هذا الزواج رد فعل مباشـــر وتلقائي للتعثر أو الأزمة التي مر بها .

ويلاحظ أن بعض الزيجات تحدث نتيجة لـــضغوط مختلفـــة تبعـــا للظروف ، إلا أن هذه الضغوط لم تعد بالصورة التـــي كانـــت عليهـــا فـــي الماضي ، فلم يعد مقبولا الآن الضغط علي الشباب لكي يتزوجوا . بالإضافة إلي أنه في بعض الحالات يتزوج الناس لأن معظم أصـــدقائهم تزوجـــوا ولا يرغبون في البقاء بمفردهم دون زواج .

وعموما فإن الناس يتزوجون لان الزواج هو النمط الاجتماعي الذي يجد قبولا واسعا ومشروعية لإقامة علاقة بين الجنسين . فاقتصار ممارســـة الجنس مع شخص واحد كنوع من العفة والنقاء ، والتعاون من أجل الإبقـــاء علي الحياة ، والوالدية ، والحياة المنزلية والقيم المتشابهة ، كل هذا يجـــذب الأفراد نحو الزواج . ولهذا يبحث كل فرد عن الزواج الذي يلائمه ويرضيه ، كما يفشل الكثيرون في الحصول علي الزواج الذي يستطيعون الاســـتمرار في احتماله ، ولكن بين هذين الطرفين المتناقضين يوجد ملايين الأشـــخاص يحصلون علي نمط من الزواج يعتبر بالنسبة لهم أفضل من أي بديل حتـــى وإن لم يصل إلي النموذج المثالي.[٣]

ومع أن الزواج ليس محدداً بمواعيد إلا أن الدراسات الإحصائية في مصر تشير إلي إقبال الناس علي الزواج في أوقات معينة من السنة مثل الأعياد والمناسبات الدينية والعطلات الصيفية ، كما أنها ترتبط بمواسم جني المحاصيل في الريف .. ويحجم المسلمون عن الزواج في شهر رمضان علي سبيل المثال ، كما يحجم المسيحيون عن الزواج في أيام الصوم ، ويبدو أن الأمر ليس قاصرا علي مواسم معينة في السنة وإنما يفضل الناس الزواج في أيام معينة في الأسبوع تختلف بين الريف والحضر فيتزوج الناس في المدن أيام الخميس والأحد بينما يتزوجون في الريف أيام الجمعة أو الخميس أو السبت.

(بهذا الترتيب) ومن ناحية اختيار الزوج لزوجته يختلف الوضع من الريف إلي الحضر، فالثقافة الريفية توفر الالتقاء بين الذكور الإناث، ولم تكن هناك في يوم ما صعوبة لشباب الريف في اختيار الزوجة – وللوالدين دور كبير في هذا الاختيار في العادة – أما في الثقافة الحضرية فالأمر مختلف كل الاختلاف فقد اتجه الشباب في هذا المجتمع إلي الاعتماد علي نفسه في الاختيار دون الرجوع إلي الوالدين إلا للمشورة أو مجرد التعريف في بعض الأحيان، ويحدث التعارف في المصنع أو في الجامعة أو في النادي ، والواقع المصري يقول بأن الاختيار الحر يكاد يكون هو الأسلوب السائد الآن في القرية والمدينة وأن عمليات الفرض والإجبار قد انحسرت بشكل يكاد يكون تاما – خاصة في ظل ثورة الاتصالات – وأن الزواج المرتب لأسباب اقتصادية أو اجتماعية في طريقه للاختفاء أما من ناحية القرابة فلا يزال كثير من الرجال والنساء (حوالي النصف) يتزوجون من أقاربهم.[٤]

ويفضل الزوج في زوجته صفات معينة فعند سؤال بعض الآباء الحضريين (بحث ميداني) رتب هؤلاء أسس الاختيار علي النحو التالي: [٥]

١ – الأصل ٢ – الأخلاق والسمعة

٣ – الشطارة في عمل المنزل ٤ – الجمال

٥ – التعليم ٦ – الغني

أما الأبناء الحضريون من طلاب الجامعة فيرونها كالآتي :

١ – الأخلاق والسمعة ٢ – الأصل

٣ – الجمال ٤ – التعليم

٥ – الشطارة في شغل المنزل ٦ – الغني

أما الآباء الريفيون فقد رتبوا أسس اختيار الزوجة كما يلي :

١ – الأصل ٢ – الأخلاق والسمعة

٣ – الشطارة في شغل المنزل ٤ – الغني

٥ – الجمال ٦ – التعليم

أما الأبناء الريفيون فيرتبون أسس الاختيار كما يلي:

١ – الأصل ٢ – الأخلاق والسمعة

٣ – الشطارة في شغل المنزل ٤ – الغني

٥ – الجمال ٦ – التعليم

إلا أن هناك استثناءات عديدة فقد يتأثر عامل تكافؤ المكانة الاجتماعية الاقتصادية بعدد من المتغيرات الأخرى التي تقلل من أهميتة لدي كثير من الأسر ، من ذلك عامل السن علي سبيل المثال . فالرجل عندما يتقدم في السن ويرغب في الاقتران بزوجة شابة ، عادة ما يتغاضى عن

ضرورة أن تكون من أسرة تتكافأ إجتماعياواقتصاديا مع أسـرته . وكـذلك الحال بالنسبة للمرأة المتقدمة في السن إذا ما صادفت شاباً يوافق علي الزواج منها. ويميل كثير من الرجال إلي الزواج بمن هم أقل منهم تعليمـا ودخـلاً وذكاء فهذا يحقق لهم تمام الهيمنة علي زوجاتهم ويضمن لهم تبعية الزوجـة وعدم تمردها.

والرجل عادة ، يخشى المرأة التي تكافئة تماماً أو التي تعلو عليه في مكانتها الاجتماعية والاقتصادية لما يرتبط بهذا الوضع من نديه ومشاركة في الحياة الزوجية . ولهذا السبب كلما ارتقت المرأة في السلم الاجتماعي كلمـا قلت فرصة زواجها ، فالمرأة التي تحصل علي شهادة الـدكتوراة ، يتـردد الرجل الذي يحصل علي مؤهل دراسي أقل منها في التقدم للـزواج بهـا ، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة التي تنتسب إلي عائلة من الطبقة الراقية المتشددة في قبول أشخاص أدني منهم مرتبة كأعضاء جدد في العائلة . بعبارة أخري ، إن الفتاة التي تنتمي للطبقة العليا تجد منافسة من بنات طبقتها ومن فتيـات الطبقات الأدنى اللاتي يطمحن إلي الحراك الاجتماعي لأعلي ممـا يـضيق فرصتها في الزواج.(٦)

ويري بعض علماء علم الاجتماع. أن العوامل العقلية المحددة لعملية "الاختيار الزواجي" Mate - Selection لم تحظ بالدراسة الكافية، كمـا أن دراسة مدي التماثل والتجانس في الاختيار الزواجـي مـن وجهـة النظـر السوسيولوجية لا تعني إلا بعرض المشكلة، دون أن تضع لها الحلول، أمـا التشابه أو الانتماء فإنه يقوم علي أساسين:

أ – إمكـان اعتبـار الاختيـار الزواجـي وظيفـة للفـرص Oppoetunities ومعني ذلك إمكان تفسير التماثل بين الزوجين علي أساس

إقامتهما في مناطق محددة ، ويعزز ذلك أن الاختلافات في أنماط الأنـــشطة بين الفئات الاجتماعية المختلفة يؤدي إلي تحديد نوعية ومدي اتصالات الفرد إلي حد كبير ، الأمر الذي تسنح معه الفرصة لمقابلة أفراد متـــشابهين فـــي جوانب عديدة مما يزيد من احتمالات التقارب والألفة ، ويشكل ذلك ما يمكن أن يسمي بالتفسير التفاعلي .

ب – إمكان اعتبار أنماط التشابه نتيجة لمفاضلات شخصية نابعة من الشخص ذاته الذي يفضل الاتصال بأشخاص يتشابهون معه ، ويشكل ذلك ما يمكن أن يسمي بالتفسير المعياري . وقد حاول عالمان من علماء الاجتمـــاع في دراسة حديثة نسبيا صياغة القضيتين السابقتين في نظرية معيارية تفاعلية واحدة ، تقوم علي فرضين : الأول يري أن الزواج معياري والثاني يري أنه من خلال المجالات المعيارية للمرشحين أو المؤهلين للزواج ، فإن إمكانيـــة الزواج تختلف بصورة مباشرة مع إمكانية التفاعل.[٧]

وهناك صورة أخري للتفسير المعياري يمكن أن توضـــع موضـــع الاعتبار إذا إفترضنا وجود معيار أو قاعدة للتـــشابه أو التجـــانس تتحقـــق بدرجات متفاوتة عن طريق الأشخاص في المجتمع. فإذا أمكن التحقق مـــن وجود هذا المعيار بالفعل، جاز لنا أن نفترض وجود قاعدة عامة تؤدي إلـــي القول بأن "الشبيه يتزوج الشبيه" أو أنه يوجد نسق شامل من المعايير المقررة مثل "المسلم يتزوج المسلمة" و "الزنجي يتزوج الزنجية" و "الجامعي يتـــزوج الجامعية" وواضح أن هذه المعايير ترتكز أساسا علي الجنس Race والعقيدة Religion والطبقة الاجتماعية Social Clase الخ . أي أن القاعـــدة فـــي الاختيار تؤكد الميل بصورة عامة إلي البحث عن الشخص القريب أو الشبيه.

إلا أن الفرص والمعايير تختلف باختلاف قطاعات السكان، ومثـــال ذلك أن أفراد الطبقة المتوسطة يتميزون بحلقـــة واســـعة مـــن الاتـــصالات بمقارنتهم بأفراد الطبقة العاملة. كما أن درجـــة " التجـــانس، تختلـــف فـــي الطبقتين، لان تجارب الحياة المختلفة يمكن أن تؤدي إلي اختلاف درجـــات التجانس، ولهذا يكون الشخص كثير التنقل والاتصالات قادرا علـــي إنـــشاء علاقات متعددة أكثر من أمثاله في نفس الطبقة.

وعموما فإن البيانات المتاحة لمعرفة عناصر التجانس تركـــز علـــي درجه التشابه بين الزوجين، لأنها تهتم بنتيجة الاختيـــار الزواجـــي ولـــيس بالعملية ذاته. وهناك مجموعة من المتغيرات التي يقوم عليها التجانس وهي: الجنس والعقيدة والطبقة الاجتماعية، والتجمعات المهنية الواســـعة، ومكـــان السكن والدخل، والسن، ومستوي أو درجة التعليم ، والذكاء.. الخ. ووظيفـــة هذه المتغيرات أن "ترشد" أو توجه كل فرد إلي "نوع" الناس الذين يـــستطيع التفاعل معهم.

وينتج عن هذا أن الناس الذين نعمل أو نلعب معهم أو نـــرتبط بهـــم بصورة أو بأخرى يشبهوننا في كثير أو قليل تبعـــاً لهـــذه المجموعـــة مـــن المتغيرات، وكذلك تبعاً للاهتمامات الثقافية والقـــيم. وإذن طالمـــا أن هـــذه المتغيرات تحدد "مجال الارتباط" للأفراد والجماعات، فمن المعتقد أنها تحدد أيضاً "مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه" والذي من خلاله نختار شركاء الحياة.(٨)

٢ - التأكيد على أهمية الزواج:

يلاحظ بعض الكتاب أن ذلك التأكيد غير العادي لأهمية دور الزواج في عملية تكوين الأسرة (بل واتخاذ هذا التأكيد طابعا أيديولوجيا في أحيـــان

كثيرة) ليس ظاهرة إنسانية عامة عبر الزمان والمكـــان. ولكـــن الاحتمـــال الأقرب في رأي أولئك الكتاب أن هذا الاهتمام قد نما وتطور في ظل ظروف معينة وتحت تأثير عوامل محددة يمكن أن نضع أيدينا عليها. ذلك أننا نجــد مثلا أن أبسط الثقافات الإنسانية وأكثرهـــا تخلفـــا كمجتمعـــات الـــصيادين ومجتمعات الالتقاط تعرف نظام الأسرة النووية فعلا ، إلا أننا نجد في نفـــس الوقت أن نظام الزواج عندهم لم يتطور بعد بشكل واضح . بل أنه قد يصعب علي الملاحظ أن يتعرف علي ملامحه الدقيقة في بعـــض الأحيـــان ولكـــن الظاهرة الأكثر غرابة حقا أن بعض تلك الشعوب المعاصــــرة ذات الثقافـــة البسيطة كشعب الأوجيبوا Ojibwa في أونتاريو وشعب البابـاجو في أريزونا لا تعرف سوي نوع "غير رسمي من الزواج"، أي أن العلاقة الزوجية تبـــدأ بين طرفيها دون التزام شكليات وطقوس معينة ينبغي تكرارها والالتزام بها كشرط لصحة هذه العلاقة الزوجية. والنتيجة الطبيعية لهذا أن الطلاق عندهم من النوع غير الرسمي، الذي ينطبق عليه نفس الإيضاح السابق.

والحقيقة أن نظام الزواج لا يبدأ في التبلور واتخـــاذ شـــكل محـــدد وواضح إلا في المستويات الاقتصادية والثقافية الأرقي، ومع ازدياد عمليات تبادل الهدايا بين الجماعتين القرابيتين للزوج والزوجة. ولم تكن تلك الهـــدايا في البداية مهرا (أو ثمنا للعروس، كما يقول البعض)، ولكنهـــا كانـــت فـــي حقيقتها تعبيرا رمزيا عن تأسيس علاقات الارتباط والائتلاف بـــين هـــاتين الجماعتين وانطلاقا من هذه العملية الأولي، وأعني عملية تبادل الهدايا بـــين الجماعتين القرابيتين للزوج والزوجة، ظهرت وتبلورت شعائر الزواج التي أخذت بمرور الزمن تزداد تنوعا وثراء، وبدأ نظام المهر يظهر مـــرة عنـــد شعوب الحضارات القديمة: كالعرب والهندوس والصينيين واليابانيين وعنـــد

غيرهم من الشعوب المعاصرة. وقد أساء بعض الكتاب الأوربيين فهم هـذه العادة، حتى أن بعضهم سماها "ثمن العروس" أي أنهم فهموا الزواج علي أنه عملية شراء للعروس. وهذا خطأ تماما، ذلك أن هنـاك إمـاء ومحظيـات وغيرهن كن يشترين بالمال. أما الزوجة فلا تشتري بالمهر. وإنمـا يـؤدي المهر في تلك الحضارات – سواء القديمة منها أو المعاصرة – دور تحقيـق مشروعية العلاقة الزوجية، وبصفة خاصة مشروعية الأولاد الـذين سـوف تثمرهم هذه العلاقة الجديدة.(٩)

ومازال هذا الدور الهام الذي يلعبه المهر قائما ويتصاعد أحيانا فـي شتي بقاع العالم. ولكننا نصادفه بشكل واضح في أفريقيا وآسيا بوجه خاص، ولدي بعض قبائل الهنود الحمر الأمريكي. ويعد تعديل هذا النظام وتقليمه من أهم أهداف الحركة النسائية والحركات الإصلاحية في كافة بلاد العالم الثالث، حيث يرتبط هذا الأسلوب في الزواج بتحقيق صفقات معينة تهدف في النهاية إلي تحقيق صالح الأسرتين المتصاهرتين أو أحداهما علي الأقل، حتـى أن البعض سماه زواج الشراء.

ولما كان هذا النوع من الزواج يقترن في العادة بمعـاملات عائليـة واقتصادية وأحيانا ينطوي علي اعتبارات سياسية أيضا، لـذلك كـان مـن البديهي ألا تهتم الجماعتان القرابيتان المتصاهرتان برأي العروسين، خاصة الفتاة، فلا يعد ترحيبها أو رفضها لشخص العريس أمراً ذابال بالنسبة للكبار في الأسرتين.

أما "زواج الاتفاق" أو "زواج الرضا" فيختلف عن هذا اختلافا بعيدا، وهو لم يتطور علي نطاق واسع إلا بعد أن قطعت الاتجاهات الفرديـة فـي الحياة الاجتماعية شوطا بعيدا في النمو والتطور، وأصبح الفرد هـو وحـدة

التعامل الاجتماعي منفصلا إلي حد بعيـد – عـن جماعتـه الاجتماعيـة. وأصبحت علاقة الحب بين العروسين ركنا أساسيا في قيام هذا النـوع مـن الزواج حتى أنها أصبحت القاعدة العاملة في كثير من المجتمعات المتقدمة.

علي أنه يجب ألا يغيب عن بالنا في الوقت نفسه أن زواج الرضا أو الاتفاق هذا كان ومازال موجودا في تلك القطاعات الاجتماعية التي لا ترتبط فيها علاقة الزواج بمصالح اقتصادية أو مالية، أعني في الطبقات الدنيا. ففي كافة المجتمعات الإنسانية كان هذا الأسلوب في الزواج هو الأسلوب السائد للاعتبارات التي أوضحناها، وسيظل الأمر كـذلك طالمـا أن الاعتبـارات الاجتماعية أو الاقتصادية لا تلعب دورا في قيام الأسر الجديـدة (أي لـيس الزواج فيها صفقة لتحقيق مصلحة مادية أو رفع المكانة الاجتماعيـة لأحـد طرفي العلاقة الزوجية).

ولاشك أن هذه الحقائق تهدم النظرية القديمة التي لعبت في الماضي دورا هاما عند علماء تاريخ القانون ودارسي تاريخ الأسرة والزواج، الخاصة بتطور الزواج. إذ تري النظرية المذكورة (التي كان بوست A.H. Post من أول الداعين إليها) أن الزواج قد تطور عبر أشكال ثلاثة هي: زواج الخطف ، ثم زواج الشراء، ثم أخيرا زواج الرضا أو الاتفاق.[١٠]

٣ – السن عند الزواج:

يبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثيـر أو قليـل تبعـا لظروف الشخص المقبل علي الزواج. وفي استطاعة الشخص أن يختار من يتزوجه سواء كان مماثلا له في السن أو أكبر أو أصغر (في حدود الشرعية) وسن الزواج المسموح به قانونا في المجتمع المصري هو ١٨ سـنة للفتـي و١٦ سنة للفتاة. ولكن يلاحظ أنه كثيرا ما يحدث انتهـاك لهـذه القـوانين

وخاصة في المناطق الريفية، حيث يتم زواج فتيان وفتيات دون سن الزواج بكثير عن طريق استخراج شهادة "تسنين" والادعاء بفقد شهادة الميلاد الأصلية. إلا أنه نتيجة للتغيرات الاجتماعية والثقافية العالمية والمحلية، ارتفع سن الزواج وخاصة في المناطق الحضرية. لأن أعداداً كبيرة من الشباب يلتحقون بالتعليم بمراحله المختلفة، وتستغرق بعض أنواع التعليم سنوات عديدة، لابد أن تتلوها فترة من الاستقرار المادي والاستعداد للزوج مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يتراوح بين ٢٣ – ٢٨ سنة للفتيات، و٢٧ – ٣٤ سنة للشباب.(١١)

ثانيا: تعريف الأسرة وتطورها

لقد انتهت الدراسات المعينة بتتبع أصل الإنسان إلي ترجيح فرضية جديدة حول أصل الأسرة، وبخاصة فيما يتعلق بتطورها إلي تلك الصورة التي تقوم علي وحدانية الزوج والزوجة Monogamy ولقد كانت هناك اتجاهات مختلفة في تفسير هذا التطور.. فقد رأي العلماء أن ظهور الأسرة التي يتزوج فيها رجل واحد من امرأة واحدة في الغالبية العظمي من الشعوب في الوقت الحاضر إنما يعزي إلي عوامل من أنواع مختلفة اقتصادية واجتماعية – كما يتمثل في كتابات لويس مورجان وانجلز وبريفولت Briffeult – كما يعزي إلي عوامل سيكولوجية وثقافية وعوامل بيولوجية.. مثل ضرورة امتداد فترة العناية بالصغار أو بقول آخر امتداد فترة الطفولة، وهو ما يتبين في كتابات مالينوفسكي. وكانت هناك أيضاً تفسيرات تقوم علي تأصل دوافع جنسية لايمكن البرهنة عليها.

ودون أن ننكر أن هناك بالتأكيد جانباً من الحقيقة في بعض تلك التفسيرات فان هناك اجتهادات أخري حديثة لا بد من الإشارة إليها هنا.

ومثال ذلك إن هناك دراسات جادة في الوقت الحاضر ترجح أن نمو الأسرة التي تضم "رجلا" زوجاً واحداً وامرأة "زوجة" واحدة يقوم بصفة جوهرية علي عوامل مختلفة تماماً لم تتح الفرصة لملاحظتها بدرجة كافية حتى الآن. وهي تتمثل في تلك النزعة الغيرية التي تتيح أفضل ظروف ممكنة للتثبت الوراثي Genetic Fixation.. وهي نزعة ذات أهمية قصوى في التطور البشري، حيث يعتمد عليها في الحقيقة التعاون داخل الجماعة الواحدة وبين الجماعات المتمايزة.

والواقع أن الافتراض يقوم علي حقيقة يندر إبرازها في الكتابات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، وهي حقيقة لم يسبق أن رؤى الارتباط بينها وبين مسألة السلوك الغيري.. وهي تتمثل بإيجاز في أن التماسك بين الأبناء في الأسرة الأحادية يبلغ درجة قصوى بالمقارنة بمدي التماسك بين الأبناء في الجماعات الزوجية الأخرى.. حيث تبلغ درجة هذا التماسك بين الأبناء في الجماعات التي يسودها ما يسمي بالإباحية الجنسية Promiscuous Groups درجة الصفر. وهي تبلغ هذا المستوي في تلك الحالة المتطرفة التي يأتي فيها الأبناء في الجماعة دون تمييز تام بين آبائهم وأمهاتهم، كما إنها تبلغ درجة النصف في تلك الحالات الخاصة أيضاً التي يأتي فيها الأبناء من رجل وامرأة واحدة.

وتتفاوت تلك الدرجة في الجماعات الزوجية التعددية Polygamous بين درجة الربع ودرجة النصف. وهي تبلغ درجة الربع في تلك الحالات القصوي في التطرف التي لا يكون فيها هناك أشقاء من نفس الأب ونفس الأم علي الإطلاق، وتبلغ درجة النصف في الحالة تماماً حيث يكون كل الأبناء في الجماعة الزوجية المتمايزة إخوة أشقاء Siblings . وعلي العكس

من هذا تماماً فأننا نجد في أسرة الأحادية أن تلك الدرجة تبلغ النصف حيث يكون الأبناء جميعاً هم كلهم أشقاء من نفس الأب والأم.(١٢)

وهذا بالطبع مع وعينا بأن هناك بعض العوامل التي توجد في ثقافات معينة والتي تتمثل في العلاقات الجنسية غير المشروعة للمرأة، كما أن هناك عوامل أخري مثل ترمل أحد الزوجين – أو الطلاق الذي يتبعه زواج بشخص آخر غير الزوج الأول – تؤدي إلي تدني تلك الدرجة.. نتيجة دخول أبناء جدد إلي الأسرة يولدون من أحد الأبوين الأصليين.

ولعل تلك المقارنة بين معامل التماسك في تلك الأنماط الزوجية المختلفة تكفي لبيان المزايا الواضحة للزوج التعددي في مقارنته بما يعرف بالإباحية الجنسية، كما تبين مزايا الزوج الأحادي في مقارنته بالزواج التعددي فيما يتعلق بتطور النزعة الغيرية.

والواقع إننا نجد الإنسان في الوقت الحاضر يعتبر هو الكائن الأرضي Terreestrial الوحيد بين الرئيسيات علي الأقل المتكيف بصورة جزئية مع الزوج الأحادي. ولعل البشريات الوحيدة المتكيفة مع الحياة الزوجية التي تنحصر فيها العلاقات الجنسية بين ذكر واحد وأنثي واحدة هي قردة الجيبون Gibbons وقردة سومطرة السوداء Siamangs.. وهما نوعان تؤثر خصائصهما الشجرية في دلالتهما في تطور الحياة البشرية بصورة جوهرية.

ونجد في جانب آخر أن هناك بينات طبية علي أن الإنسان كان يميل إلي الحياة الزوجية التعددية في الماضي أكثر مما هو عليه الحال في الوقت الحاضر.

ومن المحتمل أن تكيف الإنسان مع ما يسمي بمرحلة الإباحية الجنسية قد حدث علي الأقل في مرحلة متقدمة جداً من تطوره. ولهذا كله فمن المعقول أن نفترض انه كان هناك اتجاه عام في تطور الإنسان من مرحلة الإباحية الجنسية إلي الزواج التعددي إلي الزواج الأحادي.[١٣]

وإذا كانت الأسرة الإنسانية تختلف علي هذا النحو عن بقية أنواع الأسر البيولوجية، فما هو تعريف الأسرة ؟

يشير المعني الواسع للأسرة إلي مجموعة الأفراد الذين يعتقدون فيما بينهم أنهم ينتمون إلي جماعة مستقلة داخل المجتمع، ويرتبطون الواحد بالآخر عن طريق روابط الدم Blood أو الزواج Marriage ويدركها بقية أفراد المجتمع، ويرون أن هؤلاء يرتبطون ببعضهم البعض عن طريق علاقات خاصة تجمعهم. وطبقا لبروم L. Broom وسيليزنيك P. Selznick أن الأسرة Family تتوسط بين الفرد والمجتمع وتساعد الفرد علي أخذ مكانته في العالم الواسع.

علي أية حال يشتمل مصطلح "الأسرة" في استعماله العام علي "الأسرة النواة" Nuclear Family التي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد فقط ولا تضم أفراد آخرين، وكذلك علي بعض الجماعات مثل الزوجين اللذين لم ينجبا، والأب الذي يعيش مع ابن واحد، غير متزوج أو أكثر من إبن، وكذلك علي "الأسرة الممتدة" Extended Family التي تتكون ليس فقط من الآباء والأطفال وإنما تمتد لتشمل أيضا الأقارب الآخرين الأجداد والأعمام والعمات، وكذلك أيضا علي رجل كبير وزوجته (أو عدة زوجات) وأطفالهم المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم، غير المتزوجين ويشكلون حياة اقتصادية اجتماعية تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة.

ولقد أصبح من الشائع في الولايات المتحدة الإشـــارة إلـــي الأســـرة بمصطلح "الأسرة النواة". التي تتكون من الزوج والزوجة وأطفالهما.(١٤)

ويري سمنران أن هناك جاذبية في الرجال والنـــساء زودتهـــم بهـــا الطبيعة وهي السبب في دوام وبقاء الجنس البشري، وأدت هـــذه الجاذبيـــة الطبيعية إلي الزواج الذي يعتبر إلي جانب ذلك مظهرا للتعاون والإبقاء علي وجود الذات وحفظ الكيان الاجتماعي.

ويعرف وليم اجبرن الأسرة بأنها منظمة دائمة نسبيا مكونة من زوج وزوجة وأطفال أو بدونهم، ويري أن العلاقات الجنسية والوالدية هي المبرر الأساسي لوجود الأسرة وأنها من مميزات الأســـرة فـــي كافـــة المـــستويات الثقافية.

إما "بل" وفوجل فيعرفا الأسرة بأنها الوحدة البنائية المكونة من رجل وامرأة يرتبطان مع أطفالها بطريقة منظمة اجتماعيا ســـواء كـــان هـــؤلاء الأطفال من صلبهما أو بطريق التبني.

ويعرف ماكيفر الأسرة بأنها "جماعة دائمة مرتبطـــة عـــن طريـــق علاقات جنسية بصورة تمكن من إنجاب الأطفال ورعايتهم".وقد تكون فـــي الأسرة علاقات أو أخري، وتقوم علي معيشة الزوجين معا ويكونـــان مـــع أطفالهما وحدة مميزة.

ويعرف نيمكوف الأسرة بأنها "ارتباط يدوم قليلا أو كثيـــرا للـــزوج وللزوجة بأطفال أو بلا أطفال أو هو ارتباط رجل وامرأة فقط بالأطفال.

أما لندبرج فيعرف الأسرة بأنها النظام الإنساني الأول، ومـــن أهـــم وظائفهما إنجاب الأطفال والمحافظة علي النوع الإنـــساني، كمـــا أن الـــنظم الأخرى عند أصولها في الحياة الأسرية إلا أن أنماط الـــسلوك الاجتمـــاعي

والاقتصادي والضبط الاجتماعي والتربية والترفيه والدين نمت أول الأمـــر داخل الأسرة.

والملاحظ علي التعاريف الـسابقة أنهـا أعطـت الأسـرة بعـض الخصائص التي تميزها عن غيرها من النظم الاجتماعية وهي:

أ- وجود علاقة جنسية زواجية بين رجل وامرأة.

ب- صورة من صور الزواج أو أي ترتيب نظامي تقوم علي أساسـه هـذه الرابطة الزوجية وتستمر علي مر الزمن.

ج- طريقة لتحديد سلسلة النسب.

د- مسكن مشترك قد تختص به الأسرة وحدها أو يشاركها فيـه عـدد مـن الأسر الأخرى.

خلاصة القول أن الأسرة تعني من الناحية الـسوسيولوجية معيـشة رجل وامرأة أو أكثرها معا، علي أساس الدخول في علاقات جنسية يقرهـا المجتمع، وما يترتب علي ذلك من حقـوق وواجبـات، كرعايـة الأطفـال وتربيتهم، أولئك الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقات، أو أنها جماعة تقوم علـي العلاقة الجنسية بشرط أن تكون محدودة ودائمة بـصورة تكفـي لا لإعالـة الأطفال وتربيتهم.(١٥)

١ - العلاقة بين الزوجين:

الملاحظ في الوقت الذي ضعفت فيه العلاقات، بين الوالدين وأبنائهما وأصبحت ذات طابع ذاتي وشخصي واضح، ازدادت فيه قوة العلاقـة بـين الزوجين، فازداد اقترابهما وتركزت علاقتهما وطالت مـدة حياتهمـا التـي يقضيانها مع بعضهما. وذلك بالطبع بافتراض سـيطرة الـزواج الواحـدي،

واستمرار العلاقة الزوجية مدي الحياة، أما الأسرة التي ينهي فيهـا الطـلاق الحياة الزوجية فهذه لا نعنيها في حديثنا هنا.

ويشير بعض الملفين إلي شواهد واضحة تؤكد هذه الظاهرة الجديـدة حيث نجد أغلب التشريعات الحديثة في أكثر البلاد الغربية الصناعية تـضع قانون الزواج أسبق من قانون الأسرة. ولا يرجع ذلك فقط إلي أن الأسرة تبدأ حتما بالزواج، ولكنه يرجع كذلك إلي أن الزوجين في الأسرة الحديثـة قـد أصبحا يحتلان أهمية كبري من الناحية البنائية.

وهكذا أصبح الزواج كما أصبح الزوجان يمثلان البؤرة الأساسية لهذا النمط الجديد الذي عرفناه عن الأسرة الحديثة، والذي يتمتع الأطفال منذ سن مبكرة نسبيا بقدر من الاستقلال والتباعد عن الوالدين. وحتى بلوغ أولئـك الأولاد السن القانونية أو اكتمال تأهيلهم للحياة العملية فإنهم يتركـون بيـت الأسرة، ويبقي الزوجان وحدهما من جديد. ومن ذلك يتضح أن الزوجين ليسا هما البؤرة الأساسية للأسرة فحسب، ولكنهما كذلك الوحدة الوحيدة المستمرة باستمرار الأسرة، منذ عقد الزواج وحتى الموت.

وتؤكد لنا تلك الحقيقة الملاحظة، وهي أن الزواج أصبح يأتي اليـوم في مقدمة الاهتمام في حياة الأسرة، وفي دراسات الأسرة علي السواء. كمـا أن النظم والقواعد التي تتجاوز حدود علاقات التعامل الأسري المختارة آخذة في الضعف والتقلص يوما بعد آخر.

وتؤكد لنا كافة الملاحظات التي أوردناها في سياق هذا الفـصل أن مكانة الفرد في مجتمع اليوم لم تعد تتحدد في ضوء انتمائه العائلي بالدرجـة الأولي، وإنما هي تتحدد علي أساس إنجازه الفردي الخاص. وهذا هو ما دفع علم الاجتماع المعاصر إلي أن يقابل بين نمطين مختلفين مـن المجتمعـات،

نمط تتحدد فيه مكانة الفرد في ضوء وضعة العائلي (وهو ما يعرف باسم" المكانة الموروثة"). ونمط تتحدد فيه مكانة الفرد في ضوء إنجازه الشخصي(الاقتصادي أساسا) وهو ما يعرف باسم "المكانة المكتسبة".(١٦)

وظهرت نظرية التكامل بين الزوجين في مجال الاختيار الزواجي كبديل لنظرية التوافق التي صادفت انتقادات كثيرة نتيجة ظهور افتراضات أخري تقوم علي أساس أن الزوج قد لا يفتش عن الزوجة التي تماثلة تماما وإنما عن الزوجة التي لها شخصية تختلف عن شخصيته. وهذه الفكرة هي جوهر النظرية التكاملية بين الزوجين، بمعني أن كل طرف منهما يكمل الطرف الآخر، بحيث إذا كان أحدهما طموحا يكون الآخر متواضع الطموح وإذا كان الأول متسرعا يكون الثاني أكثر روية... وهكذا.

وقد صيغت نظرية شاملة عن الاختيار الزواجي وذلك في ضوء الاحتياجات التكاملية للشخصية، وقام باختيار هذه النظرية" روبرت وينش" R. Winch وعدد آخر من الباحثين في علم الاجتماع. وتنطلق النظرية التكاملية من افتراض مؤداه أن كل السلوك الإنساني يوجه إلي إشباع الحاجات، وهناك حاجات مهمة تؤثر في الشخصية الإنسانية وتكسبها نمطا معينا من السلوك. وكثير من حاجات الإنسان تكمن في اللاشعور. ولما كان قدر كبير من حاجات الإنسان مكتسب عن طريق عملية تكوين الشخصية ونموها، وهي في جوهرها عملية ثقافية، فإنها تصبح خاضعة لتنظيم معياري، أي أن المرء لا يستطيع أن يعبر عنها إلا في إطار من المعايير التي تحظي بقبول الجماعة التي هو عضو فيها والتي تتفق مع معايير الجماعات الأخرى المحيطة بها. وهذه المعايير داخل الجماعة أو خارجها

تحدد لكل فرد مجال الأشياء المسموح بها والمتاحة له وتعين له الأشـخاص الذين يمكنه أن يختار من بينهم شريك أو شريكة حياه.

وفي هذا الإطار يذهب "وينش" إلي أن الحب كخطـوة أولـي نحـو اختيار الزوجة ما هو إلا تعبير عن عاطفة إيجابية لشخص معين يتوجه بها إلي شخص آخر يري فيه أنه يتمتع بصفات شخصية تحظي باحترامه وترفع مقداره وقيمته عنده ويشعر أن هذه الصفات تكمل حاجات أساسية لديه. ولعل هذا المنظور التكاملي هو الذي جعل بعض الناس يطلقون علي المرأة النصف الآخر أو النصف الحلو المكمل للرجل. وهكذا يختـار الرجـل زوجتـه إذا توافرت فيها السمات التي تحقق له ارضاءات معينة وتكمل مـا لديـه مـن نقص. أي أن الاختيار يتم علي أساس التكامل وليس التكافؤ.(١٧)

ولكن إذا كان الرجل يري أن المرأة التي وقع عليها اختياره للزواج بها تتمتع بصفات مكملة لصفاته، فهل سيكون للمرأة بالضرورة وجهة النظر ذاتها، أي أنها ستشعر بأن هذا الرجل له سمات مكملة لـديها مـن سـمات شخصية ؟. والواقع أن المرأة قد لا تشعر بمـسألة التكامـل بـين صـفاتها وصفات الرجل وربما يحدث العكس. ولكن بوجه عام، يستطيع كل شـريك إدراكه الصفات الظاهرة في شريكه ليقرر ما إذا كانت تلك الصفات مكملة له أم لا، وعندما يتيسر له ذلك، تصبح عملية الاختيار الزواجي علـي درجـة كبيرة من السهولة. ولكن إذا كانت الصفات كامنة ولن يتنسي لأحد الزوجين معرفتها إلا في مسار الحياة الزوجية فإن آثارها الايجابية أو السلبية وما قـد تولده من تكامل أو صراع بين الزوجين تتأخر في الظهور إلي حد ما.

علي كل حال، لقد أشارت نظرية التكامل بين الزوجين إلي زاويـة مهمة كانت خافية عن الباحثين الذين تركز اهتمامهم علي فكرة التكافؤ بـين

الزوجين. فقيام الزواج علي أساس التكافؤ لا يعني ضمنا أنه سيكون زواجـا ناجحا ومستقرا، هذا فضلا عن أن الصفات السلبية التي قد تكون لدي أحـد الزوجين يستحب ألا تتوافر لدي الزوج الآخر. فالرجل الـذي يميـل إلـي السيطرة إذا ما تزوج من امرأة تنزع إلي السيطرة سيكون هذا التوافق فـي الميول بعثا للصراع وليس للتكامل. ولذلك ينبغي علي كل من يقبـل علـي الحياة الزوجية أن يختار شريكا لحياته يتكافأ معه في ميول معينة كالميل إلي البحث العلمي ومحبة الموسيقى ويتكامل معه في ميول أخري كالميـل إلـي السيطرة والميل إلي الإنفاق واقتناء الأشياء. (١٨).

٢- توقعات الدور والتوافق فى الزواج:

إن تكوين أسرة جديدة يتضمن تغيرا أساسيا فـي الأدوار المـشّكله لأنماط السلوك لكل من الفتيان والفتيات. فمعظم هؤلاء يكون جديدا علي هذه الأدوار وليس لهم خبرة في تكييف أنفسهم لمتطلبات التفاعل مـع شخـصية أخري. ومفهوم الدور نستخدمه هنا للإشـارة إلـي التوقعـات الاجتماعيـة المرتبطة بموقف معين. والموقف هنا هو الزواج، وأجزائـه هـي مكانـات الزوج والزوجة، فالشخص الذي يعرف ماذا يتوقع في موقف معين ويستطيع الاستجابة بصورة ملائمة يكون "متوافقا" للدور الذي يلعبه ومن المناسب هنا أن نعرض العوامل الرئيسية التي تشكل أهمية كبيرة في التوافق الزواجي من منظور تحليل الدور كمحور أساسي.

أ – التوجيه المعياري:

إن الطريقة التي يمارس بها الفرد دوره في أي موقـف اجتمـاعي تعتمد أساسا علي فهمه للمعايير الثقافية، أو مستويات السلوك التـي توجـه تفكيره نحو الموقف. وكل زوج جديد أو زوجة جديدة لـديهما مـا يـشكل

الاتجاهات الأساسية عن الأسرة من خلال تجربتهما في أسريتهما ومن قراءاتهما ومشاهداتهما وما يسمعانه عن الأسر الأخرى. ونتيجة لذلك يؤكد الزوجان عادة علي وحدانية الزواج وضرورة إتمام مراسم الزواج التقليدية وغير ذلك من الطقوس المتعارف عليها في الثقافة الخاصة بالمجتمع الذي ينتميان إليه. إلا أن انتماء الزوجين إلي أنساق اجتماعية مختلفة. وبالتالي تعرضهما لعمليات تنشئة اجتماعية مختلفة يمكن أن يوجههما إلي أنساق معيارية قد تكون متعارضة أو علي الأقل غريبة بالنسبة لكل منهما.

ويري كل من نايNye وماكدوجال Macdougal أنه بالرغم من أن كل أسرة جديدة تتبني ثقافة فرعية خاصة بها، ناتجة عن ظهور وضع جديد وهو قيام الأسرة. نجد أن الزوجين الجديدين يحافظان علي جزء رئيسي من نسق أسريتهما (السابقتين) حيث يتعرضان لبعض الضغوط الخارجية والداخلية من أجل التطابق مع معايير أسرتي التوجيه لكل منهما، فإذا كان الزوجان ينتميان إلي أنساق اجتماعية مختلفة من حيث العقيدة الدينية أو الاجتماعية أو السكنية أو السياسية أو الثقافات الفرعية، فهناك احتمال كبير لنشوء الصراعات وعدم التفاهم، لأن سلوك كل منهما يعبر في المحل الأول عن المعايير الخاصة التي ينتمي إليها أحدهما والتي تختلف عن معايير شريكه.

<u>ب – وضع الدور:</u>

يتحدد وضع الدور Role Position بناء علي المعايير التي يعتنقها الأفراد فكل من الزوجين يدخلان في العلاقة الجديدة بأفكار مسبقة عن، كيف يجب أن يكون هو أو تكون هي كزوج أو زوجة. وهذا يشتمل علي مظهرين أو اتجاهين:

١- اتجاه معين عن وضع الشريك النسبي أو مركزه في التنظيم الجديد.

٢-اتجاه نحو تحديد "الفعل" أو دور للفرد وماذا يجب أن يفعــل باعتباره عضوا في أسرة.

ويستخدم مفهوم الدور هنا بطريقتين: الأولي، لتــصوير المجمــوع الكلي للسلوك المقبول معياريا في أي وضع معــين. والثانيــة، للدلالــة أو الإشارة إلي المتطلبات السلوكية المختلفة للوضع أو المركز، ذلــك أن كــل سلوك متوقع يصبح دورا وترجع أهمية هذين التصورين للدور إلي أن الزوج والزوجة في وضعيهما الجديدين يكون عليهما حلقة واسعة مــن الواجبــات المحددة معياريا بالنسبة لهما. وللمشكلة الرئيسية في القيام بهذه الأدوار ترجع إلي أن الزوجين يكونان في المادة بدون خبرة تقريباً بهذه الأدوار الجديدة.

وجدير بالذكر أن الوضع أو المكانة لا ينفصل عن الــدور (لأنهمــا وجهان لشئ واحد) ولهذا فإن المشاكل الرئيسية لاختلافات الوضع تنشأ عندما يؤدي شخص ما دوره بناء علي تصوره لوضعه الخاص. فإذا كان الــزوج يشعر بأن وضعه له مكانة أعلي في الأسرة، فإنه يظهر هذا الــشعور عــادة عند أدائه لدوره. وإذا حدث وكانت له المكانة الأعلى بالفعل، فإن ذلك يعطيه الحق في بلورة القرار الأخير، وإصدار الأوامر، ويصبح مــن المــألوف أن يتوقع في كل موقف التأييد والامتياز.[١٩]

<u>جـ - توقعات الدور:</u>

تشير توقعات الدور Role Expectations إلي الطرق التي يتوقــع بها الفرد كيفية(أسلوب) سلوك الآخرين. وبناء علي ذلك وبــالتطبيق علــي الأسرة، فإن الشريكين إلي جانب الأفكار المعينة عن كيف يجــب أن يكــون

الزوج أو الزوجة في الوضع الجديد، فان كلا منهما يأتي ولديه توقعات معينة عن دور الشخص الآخر ومثال ذلك أن الزوج في العلاقة الزوجية الجديـــدة، تكون لديه بعض الأفكار عن كيفية سلوكه (دوره) كــزوج وكـــذلك بعــض الأفكار عن كيفية سلوك الزوجة (توقعاته لدور الزوجة) وفى المقابل يكـــون عند الزوجة بعض التحديد لدورها وتوقعات معينة لدور زوجها.

وتتمثل إحدى المشاكل الهامة في موضـــوع ســـلوك الـــدور Role Behavior في التحديد العلمي (المجرد) لتعريفات الدور ثم مقارنتهـــا بـــأداة الدور بالفعل. لأن هناك اختلافا بين ما يجب أن يكون وبين مـــا هـــو قـــائم بالفعل. فمن المعروف أن الزوجين يوافقان علي أن الاهتمام بـــالابن الـــذكر وتخطيط مستقبله يشكل جزءا من دور الزوج في الأسرة، ولكن في الواقع لا يقوم الزوج بشئ من هذا.

ومن المحتمل في مطلع الزواج أن يبدأ كل شريك بتوقعات معينـــة من الآخر ومن ثم تطبق التوقعات في كل مناسبة علي سلوك الشريك، ولكن بمرور الوقت، يمكن أن يتغير مضمون هذه التوقعات، لتـــشمل مـــضمونات أخري تتصل بعناصر الدور الخاصة المستقاة من تجربتها معاً. ويجـــب أن يوضع في الاعتبار أن كل شريك لا تكون توقعاته فقط عن "ماذا يجـــب أن يفعل الآخر بل أيضاً عن"كيفية للأداء" فالزوجة قد لا تتوقع من زوجهـــا أن يشارك في الأعمال المنزلية فقط، بل تتوقع أيضا أن يقوم بها بطريقة تعاونية وسعيدة. ولكن توقعاتنا قد تخيب إذا لم يؤد الزوج عمله هذا كما يجب، أو إذا قلم به بطريقة لأرضي عنها الزوجة ونتيجة للتعارض بين التوقعـــات ومـــا يحدث في الواقع فإنه من المحتمل أن تحدث الصراعات، فالزوج قد يتصور

أنه علي كفاءة عالية، وأنه مقبل علي التعاون ويسلك سلوك الصديق المحب، بينما تراه الزوجة غير ذلك تماماً.

د- الجزاءات

الجزاءات Sanctions هي المكافآت، أو العقوبات التـــي يفرضـــها فرد علي الآخر تبعا لدرجة نجاحه أو فشله في القيام بتوقعات الدور. وفـــي حالة الأسرة، إذا كان أداء الزوج لدوره يلتقي مع توقعات دور الزوجة فإنها سوف تطبق عليه جزاءات إيجابية مثل الإطراء، وإظهار العواطف، والشعور الودي.. الخ أما إذا كان أداءه للدور يتعارض مع توقعاتها فإنها في الغالـــب سوف تطبق عليه جزاءات سلبية مثل: نزف الدموع، والشجار أو الارتـــداد بالعواطف(سلوك النكد).[٢٠]

٣ - علاقة الأب بالأبناء

من الدراسات التي اهتمت اهتماما ملحوظـــا بعلاقـــة الأب بالأبنـــاء دراسة "أوني ويكان" التي عالجت في مواقع متفرقة منها تلك العلاقة من عدة جوانب. فمن حيث ممارسة السلطة رأت أن الأب أكثر سيطرة علي الأطفال من الأم حيث يتحكم في كثير من سلوكياتهم. كما أشارت إلي غياب الآبـــاء لفترات طويلة عن بيوتهم، وترك التربية إلي الأمهات،وتصبح الفترة القصيرة التي يقضيها الآباء كافية فقط لأداء أدوار محدودة مع الأطفال.

وأشار جوزيف تامني إلي أن علاقة الوالدين بالأبناء تختلف باختلاف أعمار الأبناء، لذا عقد مقارنة بين تلك العلاقات في أعمار مختلفة وأيضا في جماعات مختلفة هي جماعات السود والبيض.

وفي مجتمع الدراسة، فمن الجدير بالذكر أن علاقة الآبـاء بالأبنـاء الأطفال من الجنسين – لا يتعدى دقائق أو ساعات من اليوم. ويرجع ذلك في المقام الأول إلي طبيعة العمل ومواقيته. فالأبناء من الحرفيين – في مواسـم العمل – يستيقظون من نومهم في ساعة مبكرة من اليوم، وتـستمر رؤيـتهم لأبنائهم الأطفال لدقائق يخرجون بعدها للعمل وكسب الرزق. وبعد العودة من العمل، لا تتعدي العلاقة دقائق أيضا، بل أنه في كثير من الأحيـان يكـون الطفل قد ذهب إلي فراشه للنوم ولا يري والده.

أما في المواسم التي يقل فيها العمل الحرفي، فان فرصة لقاء الأبناء تزداد بعض الشئ، وان كان الآباء يفضلون في تلك الفترات قضاء الغالبيـة العظمي من ساعات اليوم علي المقهى للترفيه، وانتظار فرص عمل.

والأمثلة التي تشير إلي ذلك كثيرة، أذكر منها الأب الذي يخرج إلي عمله يوميا، ولا يعود إلا في المساء متعبا حتى أنه لا يجد الوقـت الكـافي للجلوس مع أبنائه، وبناته من صغار السن وقد زاد الأمر سوءا زواجه مـن أخري أصبحت تأخذ من وقته الكثير، ولا تترك لأسرته سـوي أيـام قليلـة معدودة كل أسبوع.

والجدير بالذكر، أنه إذا اعتبرنا العطلات الأسبوعية فرصـة للقـاء الأبناء إلا أن الحرفيين ليست لديهم أيام محددة للعطلات، حيث يعملون طوال أيام الأسبوع طالما هناك فرصة عمل: كالنقاشين والمبلطـين. أمـا الـذين يعملون في ورش خاصة بهم أو بغيرهم: نجارة، نجف، فإنهم يغلقـون تلـك الورش يوما واحدا في الأسبوع. ومع ذلك لا تصبح الفرصة مواتيـة للقـاء الأبناء، فالعطلة غالبا في يوم الأحد، بينما تعطل المدارس في الحي في يـوم الجمعة من كل أسبوع.[٢١]

٤ – مهام الزواج

للزواج وظائف عديدة يفاد فيها الفرد والمجتمع. وتختلف وظائف الزواج باختلاف بنائه، فعندما يكون الزوج من داخل النسق القرابي أو الأسر الممتدة يصبح الإنجاب والمحافظة علي اسم الأسرة وملكيتها من وظائفه الأساسية.

وفي المجتمعات الآن نجد أن الزواج تكون له وظائف عديدة منها: الاستقلال والاستقرار وتأسيس أسرة خاصة والإنجاب وتحقيق السعادة والحب والاعتماد علي النفس والأمن الاقتصادي والعلاقة الجنسية المشروعة وتبادل العواطف واستبعاد مشاعر الوحدة...الخ.

وللأسرة وظائف عديدة سنتحدث عنها فيما بعد ولكننا نستطيع أن نجمل هذه الوظائف في.

أ – تنظيم السلوك الجنسي والإنجاب:حيث إن الزواج يعتبر اتفاقا تعاقديا يعطي العلاقات الجنسية والاجتماعية التي تكون الأسرة طابعا رسميا وثابتا. فالمجتمع لا يسمح بالعلاقات الجنسية بغير زواج، وان كان ذلك قد يسمح في بعض المجتمعات الاخري.

ب – العناية بالأطفال وتربيتهم: فمن أهم وظائف الأسرة إنجاب الأطفال والإشراف علي رعايتهم وتربيتهم ولذلك تكون للأسرة مسئولية تامة عن عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها من صورة تؤهله وتمكنه من المشاركة مع غيره من أعضاء المجتمع.

جـ – التعاون وتقسيم العمل: يكون داخل الأسرة بين الرجل والمراة في المسائل المتعلقة براحة الأطفال وطمأنينة النفسية، وتربيته وتوجيهه،

وتختلف المجتمعات في مبلغ مشاركة الرجل والمرأة في النهوض بهذه المستويات، ويلاحظ أن الإشراف علي المنزل ورعايته من الأعمال التي تتحملها المرأة.

د – الإشباع: تعتبر الأسرة الجماعة الأولية التي توفر للطفل أكبر قدر من الحنان والعطف ولذلك يتوقف قدر كبير من التكامل الانفعالي والعاطفي عند أعضاء الأسرة علي مبلغ ما يتوفر لهم من إشباع لرغباتهم المتعددة، ويلاحظ إن هذا الإشباع لا يقتصر علي الأطفال فقط، ذلك إن الكبار يجدون مسرة كبيرة في مداعبة الأطفال واللعب معهم.

هـ – تهيئه أسلوب الحياة في المجتمع: تعتبر الأسرة مدرسة لأفرادها فهي التي تقوم بدور التنشئة الاجتماعية كما أنها تعمل علي نقل التراث الاجتماعي من جيل إلي جيل وتعودهم علي التقاليد المرعية في المجتمع وخاصة ما يتعلق منها بالسلوك والآداب العامة والدين– ومن ثم فهي نواة المجتمع وأساس تكوينه، فإذا كان النظام الأسري في مجتمع ما منحلا وفاسدا فان هذا الفساد يتردد صداه في المجتمع بأكمله، وإما إذا كان النظام سليما وقويا فان هذا ينعكس في حياة المجتمع ويساعد علي تدعيمه وتقويته ومن ثم يتبين إن وظائف الأسرة تعدت من ناحية الإشباع الجنسي والإنجابي إلي وظيفة التنشئة الاجتماعية وإعداد المواطنين.[٢٢]

فالأسرة هي رابطة طبيعية تكونت للعناية بالصغار في فترة عدم قدرتهم علي العناية بأنفسهم، وبمقارنة أطفال الجنس البشري بغيرهم من الأنواع الأخرى نجد أنهم يولدون بإعداد قليلة وبطريقة غير مستمرة، ويظلون عاجزين لفترة طويلة، لذلك فان العناية المستمرة ضرورية حتى يتسنى بقاء عدد كاف يضمن استمرار الجنس البشري. قد يكون ذلك

صحيحا، ولكن الأسرة الإنسانية تتميز بوجود الدساتير التي هي بـــلا شـــك اجتماعية، ووجود هذه الدساتير الاجتماعية، وماتمثله من المعـــايير الثقافيـــة التي تنقل عبر الأجيال المتلاحقة مع غيرها من الخصائص الادراكية يميـــز الأسرة الإنسانية عن غيرها مما يعرف باسم" الأسر البيولوجيـــة" الأخـــرى . Families of other species

وعلي الرغم من أن الأسرة الإنسانية ترتبط بشبكة من المؤسسات في المجتمع، فان رباطها الأقوى يكون بالزواج Marriage الذي ينظم العلاقات بين أفراد الأسرة ويعطيها طابعا رسميا، ومن ثم يكون للزواج أهمية بالغـــة لفكرة الأسرة في كل المجتمعات. حيث يري وستر مارك Wester Marck أن الزواج هو علاقة رجل أو أكثر مع امرأة أو أكثـــر تقرهـــا القـــوانين أو العادات وتشتمل علي حقوق وواجبات في حالة الطرفين المشتركين وكـــذلك في حالة اطفالهما. ويصور لنا تعريف "وستر مـــارك" الـــزواج علـــي أنـــه اجتماعي بحت ومميز تماما عن مجرد الزواج البيولـــوجي، ويؤكـــد علـــي الخصائص التي تشكل جوهر الزواج في كل المجتمعات، وبخاصة يجب أن يقره المجتمع أولا، وأن هناك حقوق وواجبات ترتبط به ثانيا. لـــذلك فإنـــه يستبعد العلاقات الجنسية العارضة. وكذلك العلاقات الثابتة غير المنتظمة، أي التي لا يقرها المجتمع، وذلك علي الرغم من أن بعض هذه العلاقات الأخيرة يمكن إن تسمي" أسرا" ولكن لا يمكن أن نسميها زواج.[٢٣]

٥ – أشكال الـزواج:

أما عن أشكال الزواج فإننا نستطيع أن نميز هنا بين هذه الأنواع:

أ – الزواج الاجتماعي: من المعتقد أن هذا الشكل من الزواج كـــان سائدا في المجتمعات البدائية في العصور القديمة، إلا إن هذا الرأي لم يتأكـــد

بصورة علمية دقيقة حتى الآن. وهو يعني زواج عدد من الذكور مع عـــدد مساولهم من الإناث. إلا أن هذا الشكل من الزواج نادر الحدوث في الوقـــت الحالي إلا في حالات فردية تعتبر شاذة إلي حد كبير.

ب – تعدد الأزواج: وهو أن تتزوج امرأة واحدة بعدد من الرجـــال وهذا الشكل من الزواج محدود الحدوث، ولا يوجد إلا فـــي بعـــض القبائـــل الأفريقية ذات التقاليد الصارمة. وقد تبين من عينة عالمية أخذت مـــن ٥٥٤ مجتمعا وأن تعدد الزوجات يلقي قبولا وتأثيرا ثقافيا مـــن ٤١٥ مجتمعـــا أي بنسبة ٧٧ % بينما لم يجد زواج امرأة واحدة من عدة رجال قبول سوي في أربع مجتمعات فقط أي بنسبة أقل من(١%) وهذه النسب خير دليل علـــي إن هذا النوع من الزواج نادر جدا.

جـ – تعدد الزوجات: وهو من أكثر الأشـــكال الزوجيـــة انتـــشارا ويوجد في المجتمعات البدائية والنامية – ويدل من ناحية منه علي المكانـــة العالية والثراء – أما لماذا يتخذ الرجل أكثر من زوجـــة، فهنـــاك ظـــروف ودوافع عديدة تؤدي إلي ذلك، فإلي جانب إظهار المكانة العالية والهيبة، توجد في بعض الحالات الحاجة أو الرغبة في الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور. هذا وعادة يراعي في الأسرة التي تتعدد فيها الزوجات عدة اعتبارات مثل:

١ – أن يكون للزوجات حقوقا متساوية.

٢ – أن تقيم كل زوجة في مكان مستقل.

٣ – أن يكون للزوجة الأولي (الأكبر سنا في العادة) مميزات ونفوذ معروف.

د – وحدانية الزواج: ويعتبر هذا الشكل من الزواج مـــن الأشـــكال المفضلة في كثير من المجتمعات. ومعناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة.

وهذا الشكل منتشر علي أوسع نطاق عالميا، بل أن هناك مجتمعات تـــرفض كل أشكال الزواج عدا الوحدانية. إلا أن هذا لا يعني أن الزواج لا بـــد وأن يحدث مرة واحدة طوال العمر فقط، بل يمكن السماح بالزواج مرة أخري في حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين.(٢٤)

أ – الأسرة النووية:

مع اعترافنا التام بعمومية الأسرة النووية كمؤسسة اجتماعية(في كل المجتمعات تقريبا). إلا أن ذلك لا يعني أن هذا النمط الأسري ظل علي حال واحد ولم يتعرض لتغيرات داخلية علي امتداد التاريخ الإنساني وعلي اتساع رقعة المعمورة. إذ من البديهي أن هذا النموذج قد مر بمراحل وأطوار عديدة وشهد تحولات كثيرة سواء في العمليات المؤدية إليه(كالزوج وشـــعائره) أو نطاق ونوعية الوظائف التي يؤديها. أو حجم الأفراد الذين يضمهم... الـــخ. ولعل أبرز مظاهر التغير التي تمر بها الأسرة النووية في المجتمع المعاصر سيطرة الطابع الفردي علي كل عملياتها وفي كل وظائفها بشكل يفوق ما كان معروفا في عصر مضي وأهم ميدان ظهر فيه هذا الطابع الفردي هو ميدان العلاقة بين الزوجين في الأسرة النووية. وكان من نتيجة ذلك أن أصـــبحت العلاقة بين الزوجين محور الارتكاز ومناط الاهتمام في الأســـرة النوويـــة الحديثة وهذا هو السبب في أن البعض يفـــضل إن يطلـــق علـــي النمـــوذج المعاصر من الأسرة النووية اسم"الأسرة الزواجيـــة" Conjugal Family ويدل اسم الأسرة الزواجية هذا علي أن الزوجين هما مركز الأسرة النوويـــة المعاصرة. ولكن الدلالة الأهم لهذه التسمية أنهما طرفي العلاقة الدائمين فـــي تلك الأسرة. فالعلاقة بينهما تسبق علاقتهما بأطفالهما" ثم هي تـــستمر بعـــد خروج أولئك الأطفال (بعد أن يكبروا) من الأسرة النووية وتكـــوين أســـرة

نووية خاصة بهم. (وتفترض هذه الملاحظة استبعاد مسألة الطلاق من الحسبان. علي أساس أنه استثناء من الوضع العادي، أو هو وضع عرضي، ولم يحسب حسابه، أي لم يكن معتمدا عن بدء العلاقة الزوجية).

ويرجع الفضل إلي أميل دور كايم في إدخال مصطلح "الأسرة الزواجية" إلي التراث السوسيولوجي المعاصر وإن كان قد تعرض بالطبع فيما بعد لمزيد من الدقة والإحكام علي يد علماء الاجتماع العائلي المحدثين. ولعل أبرز الإسهامات في تعريف هذا المفهوم ملاحظة ويليام جود التي نبه فيها إلي أن "الأسرة الزوجية" هي عبارة عن نمط مثالي، ولكنه ليس نمطا مثاليا بمفهوم ماكس فيبر (أي ليس أداة تصنيفية) فقط، ولكنه كذلك مثل أعلي تعتبره قطاعات متزايده من الناس النموذج الصحيح المشروع للأسرة الإنسانية بعض النظر عما إذا كان الواقع يسير في اتجاه آخر غير ذلك ولكن المهم في هذا الصدد أن التحول إلي الطابع الفردي في الأسرة النووية وفي شئون حياتها المختلفة مرتبط بسيطرة الطابع الفردي علي المجتمعات الإنسانية الحديثة بصفة عامة. وإن كانت هذه السيطرة أكثر بروزا واتضاحا في المجتمعات الصناعية، علي حين تقل تدريجا بسيطرة التقاليد والتراث علي حياة المجتمع. حيث تختفي بشكل شبه كامل، ونجد الفرد مقيداً في فكره وسلوكه بالجماعة التي يعيش داخلها وينتمي إليها ماديا وروحيا.[٢٥]

ب – الأسرة والزواج:

من الواضح أن السيطرة المتزايدة للطابع الفردي علي الثقافة الإنسانية الحديثة قد أدت إلي ظهور مشكلة من نوع خاص لم تعرفها من قبل المجتمعات القديمة والتقليدية، وأعني مشكلة وجود نوع من التقابل أو التميز بين الزواج والأسرة فالزواج بالنسبة لنا هو في جوهره عبارة عن علاقة

شخصية جدا بين فردين مستقلين لكل منهما فرديته المتميزة. همـا الرجـل والمرأة (الزوج والزوجة) أما الأسرة فهي عبارة عن جماعة اجتماعية تضم في جميع الأحوال تقريبا أشخاصا آخرين عدا الـزوج والزوجـة. ولـذلك فالواجب ألا نطلق علي الزوجين اللذين لم ينجا أطفالا اسم أسرة. ولو أننـا ندرك أن مجرد إبرام عقد الزواج بين الرجل والمرأة يفتح أمامهما الطريـق لتكوين الأسرة بكل ما يترتب علي الزواج من نتائج (الأطفـال) وعلاقـات المصاهرة.. الخ حقيقة أنهما لم يستفيدا من كل الإمكانيات التي إتاحتها لهمـا علاقة الزواج، ولكن ذلك لا ينفي إطلاقا وجود تلك الإمكانيات.

وهناك عدة عوامل واعتبارات تفرض علينا أن نعالج دائما موضوع الزواج مستقلا عن موضوع الأسرة، ذلك أن عمليات الاختيار

(اختبار الزوجين) واتخاذ القرارات الخاصة بعدد ونوعية الأقـارب الذين ستقيم معهم الأسرة الجديدة علاقات، وكذلك القرارات الخاصـة بعـدد الأطفال الذين ستنجبهم الأسرة ومواعيد ولادتهم.. الخ. إن الغالبية العظمـي من دارسي الاجتماع العائلي مازالوا يتجاهلون هذه النقطـة تجـاهلا تامـا، (أحيانا عن وعي وغالبا دون قصد) علي أساس أنهم يعتبرون "ثمار" الزواج أمرا بديهيا سوف يتبع تلقائيا إبرام عقد الزواج ولكـن الحقيقـة أن تحـرر الزواج من الأسرة قد أدي إلي بعض النتائج الحتمية. نذكر منها أولا، تحول الزواج إلي مسألة شخصية خاصة بالفرد الذي سيدخل طرفا فيهـا، وثانيـا: بروز عمليات الاختيار واتخاذ القرارات،وهي العمليات التي أصـبحت تـتم بإرادة الفرد.

جـ - الزواج تحت وصاية الأسرة والجماعات القرابية:

إذا قلنا أن مكانة الفرد في الثقافات القديمة والتقليدية كانت تتحدد في ضوء انتمائه العائلي (أي أنها كانت مكانة موروثة). فمعني ذلك أن الأسـرة أو الجماعة القرابية التي ينتمي إليها الفرد هي التي ترسم الزيجات لأفرادها وهي التي تحدد – إلي مدي بعيد – طبيعة العلاقة بين زوجين من أعضائها. بمعني آخر أن الأسرة كانت فوق الزواج.[٢٦]

أسئلة على الفصل الثالث

١ - لماذا يتزوج الناس : الأسباب والتطلعات ؟

٢ - اعرض لنشأة الأسرة وأهميتها .

٣ - ما هى توقعات الدور والتوافق فى الزواج ومهام كل من الزوجين ؟

٤ - ما أشكال الزواج المختلفة ؟

المراجع

١ – عبد الباسط عبد المعطي، العولمة والتعليم والتنمية البشرية، جامعة الدول العربية، ٢٠٠١ ، ص ص ٦١ – ٦٣.

٢ – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري ١٩٥٢ – ١٩٨٠، القاهرة،١٩٨٥، ص ص ١٤٦ – ١٤٧ .

٣ – سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية،ب. ت، ص ص ١٣١ – ١٣٢.

– انظر أيضا: أمل سالم العواودة، العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني، مكتبة الفجر، الأردن، ط١، ٢٠٠٢،ص ص ٢١ – ٣٦.

٤ – سامية الساعاتي، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٠٨.

٥ – المرجع السابق،ص ص ٢٤٤ – ٢٤٦.

٦ – السيد عبد العاطي وآخرون، الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص ٣٦.

٧ – سناء الخولي، مرجع سابق، ص ١٣٣.

انظر أيضا محمد أحمد بيومي، المشكلات الاجتماعية: دراسات نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣، ص ص ١١٣ – ٢٠٠.

٨ – المرجع السابق،ص ص ١٣٤ – ١٣٥.

٩ – علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨١، ص ص ١٤٩ – ١٥٠.

١٠ – المرجع السابق، ص ١٥١.

١١ – سناء الخولي، مرجع سابق،ص ١٣٥.

١٢ – محمد عبده محجوب، أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة، السلسلة السوسيو أنثروبولوجيه، الكتاب الأول، دار المعرفة الجامعيـة، ب. ت، ص ص ١١٧ – ١١٨.

١٣ – المرجع السابق، ص ١١٩.

١٤ – غريب سيد أحمد وآخرون،دراسات في علم الاجتمـاع العـائلي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥،ص ١٧.

١٥ – السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٨ –٩.

١٦ – علياء شكري وآخرون، مرجع سابق، ص ص ١٧٤ – ١٧٥.

راجع أيضا سامية الساعاتي، علم اجتماع المرأة: رؤيـة معاصـره لأهـم قضاياها، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ص ص ٤٥ – ٧٤.

١٧ – السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٧.

راجع أيضا: هادي مختار رضا، عدم الاستقرار الأسري، دراسة ميدانيـة، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٩٨، ص ص ١٤ –٣١.

١٨ – المرجع السابق، ص ٣٨.

١٩ – سناء الخولي، مرجع سابق، ص ص ١٩٦ – ١٩٨.

راجع أيضا: بسامة خالد المسلم، أنماط التزاور الأسري وعلاقتـه بالتنـشئة الاجتماعية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عـدد ١٠١، ابريـل– يونيو، ٢٠٠١، ص ص ٤٧ – ٧٧.

٢٠ – المرجع السابق، ص ص ١٩٩ ،٢٠٠.

٢١ – علياء شكري(اشراف)، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١،ص ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

راجع أيضا: فاطمة نذر، التنشئة الديموقراطية كما يدركها الوالدان والأبناء في الأسرة الكويتية: دراسة ميدانية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد٤، شتاء،٢٠٠١، ص ص ٨٧ – ١١٤ .

٢٢ – السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق،ص ص ١٢ – ١٣.

٢٣ – السيد رشاد غنيم، في غريب سيد أحمد (وآخرون)، مرجع سابق، ص ١٦.

٢٤ – السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق،ص ١١.

٢٥ – علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، مرجع سابق،ص ص ١٣٥ – ١٣٦.

– راجع أيضا: سامية الساعاتي، علم اجتماع المرآة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها، مرجع سابق، ص ص ١٩ –٣٥ .

٢٦ – المرجع السابق، ص ص ١٣٧.



الفصل الرابع
العائلة : بعض القضايا والأدوار

أولاً : أدوار الأسرة ووظائفها

ثانياً : التنشئة الاجتماعية وشروطها

ثالثا : اهتمام الإسلام بالأسرة

رابعاً : الأسرة والتغيرات التكنولوجية

١ – دور الأسرة: الايجابيات والسلبيات

٢ – مشكلات في الأسرة والجهود المبذولة لمواجهتها.

٣ – أهم وسائل العلاج.

تقوم العائلة بمجموعة من الوظائف الجوهرية، وهي في معظمها وظائف اجتماعية حيث أن هناك تداخلا وتفاعلا مع أبنية المجتمع فالأسرة دورها أساسي وفعال داخل المجتمع، وهذا ما سنعرض له خلال هذا الفصل.

أولا: أدوار الأسرة ووظائفها

تختلف وظائف الأسرة Family functions، كما اختلف بناؤها أيضا، اختلافا كبير. حيث يؤكد بعض الباحثين أن العديد من المجتمعات القديمة- التي توصف بأنها مجتمعات لا تقوم علي نظام السوق أو النظام القانوني أو حتى النظام السياسي – كانت تعرف البناءات الأسرية [1]، تلك البناءات كانت تقوم بمجموعة من الوظائف الأساسية.

ولقد أكدت العديد من الدراسات التي تناولت ثقافات مختلفة، كمحاولة للتعرف علي العوامل التي لها طبيعة عالمية، أن الأسرة علي الرغم من اختلاف إشكالها ودرجة تطورها تؤدي بعض الوظائف للفرد والمجتمع، وترتبط كل هذه الوظائف مع بعضها البعض. حتى أننا نستطيع القول أن استمرار تأثير الأسرة كمؤسسة اجتماعية يرجع إلي الوظائف التي تؤديها للمجتمع والتي تساعد علي بقائه. ووفقا لهذا الرأي فان أنماط السلوك في الأسرة ترتبط بمعايير المجتمع الذي تشكل الأسرة جزءا منه، وعلاوة علي ذلك فهي تميل إلي اعتناق الأنماط المعيارية في ذلك المجتمع. فهناك تفاعل متبادل وعلاقة تعاونية بين الأسرة والمجتمع، حتى أننا نلاحظ أن الفترات التي تضطرب فيها معايير المجتمع أو تتغير بسرعة، فان الأسرة ايضا تتغير، لأنها أهم عناصر البناء العام للمجتمع. ومن ثم فإن دراسة الأسرة كمؤسسة تميل إلي تحليل العلاقات القائمة والمتغيرة بين الأسرة والمجتمع، بدلا من تحليل الأسرة النووية Nuclear family باعتبارها نظام اجتماعي

Social system قائم بذاتـه وهـو اتجـاه كثيـر مـن علمـاء الأسـرة المعاصرين(٢).

وهناك العديد من الوظائف البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية التي تقوم بها الأسرة من أهمها:

١ – الإشباع الجنسي لكل من الزوج والزوجة بطريقة يعترف بهـا الدين والمجتمع.

٢ – إنجاب الأطفال وبذا يستمر الجنس الإنساني.

٣ – حماية الأطفال وتنشئتهم، فالطفل الإنساني – مقارنة بالحيوانات الأخرى – يكاد يكون أكثر المخلوقات اعتماداً علي أبوية، فلا بـد أن يقـوم شخص بتغذيته وتنظيفه وتغطيته بالملابس وهو لا يمكنه الحركة من مكـان إلي مكان بنفسه إلا بعد مرور فترة من الزمن، كما أنه يحتاج إلـي رعايـة لفترة طويلة نسبياً لكي يصبح عضواً نافعاً في المجتمع.

٤ – تقوم الأسرة بتوزيع العمل علي أعـضائها فيقـوم الأب مـثلاً بالإصلاحات المنزلية البسيطة بينما تقوم الأم بالغـسل والطهـي ويـشترك الجانبان في رعاية الأطفال.

وتكاد تكون وظيفة التنشئة الاجتماعية هي الوظيفة الأساسية للأسرة فهي – كعملية اجتماعية شاملة تستهدف نقل ثقافة المجتمع إلي الفرد، وطبعه بطابع الجماعة التي يولد فيها ويتعامل معها، وتستحوذ الأسرة علـي جـزء أساسي من هذه العملية الهامة، فعن طريق التنشئة الاجتماعية يتعلم الطفـل آداب السلوك مع الكبار ومع الزوار، وآداب المائدة، والأصول المتبعة فـي الملبس، والمفاهيم الأساسية للدين وشعائره، كما تتعلم الطفلة البنت أن عليها سلوكاً خاصاً لأنها بنت، ويتعلم الطفل الذكر أن واجباته تختلف لأنه ذكـر،

ويعتاد الطفل أنواعاً معينة من اللعب ويردد أنواعاً معينـــة مـــن القـــصص والأغاني.. الخ فيصبح بذلك طفلاً مصرياً ينطبع بالطابع الريفي إذا نما فـــي القرية وبالطابع الحضري إذا نما في المدينة. علي أن البحوث الميدانية لـــم تتناول كل هذا بالبحث وإنما اهتمت بجوانب معينة مثل الرضاعة والفطـــام والتغذية وضبط الإخراج والتربية الاستقلالية.(٣)

لقد اهتم عدد من الباحثين(*) بعملية التنشئة فكانت أهم نتـــائج هـــذه البحوث هي ما يلي:

١ – أن الاعتماد علي الرضاعة الطبيعية في تغذية الرضيع ظاهرة عامة في مجتمع القرية ولا يزال هذا هو الأسلوب الأساسي في المدينة حيث تلجأ فئة محدودة من الأمهات إلي الرضاعة الصناعية أو الجمع بـــين هـــذا وذاك في وقت واحد. وتميل كثير من الأمهات العـــاملات إلـــي الرضـــاعة الصناعية خاصة بعد الشهر السادس.

٢ – إن أغلب الأمهات لا يضعن أي قيود علي رضاعة الطفل فالأم تقدم ثدييها للطفل كلما بكي، وفي حالات محددة – بارتفاع مستوي تعليم الأم والأب – تنظم الأم مواعيداً لرضاعة الطفل.

٣ – أن الأمهات يقمن بفطام الطفل.. إذا لم يبتعد هو من نفسه، أمـــا فجأة أو بالتدريج. وتستعين أغلب الأمهات وخاصة الريفيـــات بالـــصبار أو المواد الحريفة في عملية الفطام. هذا، وقد بدأ بعض الأمهات الحضريات في تحويل الطفل إلي أطعمة بديلة عن ثدي الأم في المراضع الزجاجية

* – محمود عبد القادر وإلهام عفيفي، الأساليب الشائعة الاجتماعية في الريف المصري، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، يناير ١٩٧٥.

– محمد سعيد فرج، دراسات في المجتمع المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فـــرع الإســـكندرية، ١٩٧٦.

٤ – أن الفطام التدريجي يشيع في المدينة أكثر منه في الريف.

٥ – أنه يتم فطام الطفل في الريف في سن أكبر منه في المدينة حيث تستمر التغذية الطبيعية في المدينة من حوالي سنة ونصف بينما تصل في القرية إلي ثلاث سنوات.

٦ – أن طفل القرية – بعد عملية الفطام – ينتقل من لبن الأم إلي غذاء الأسرة العادي بدون مرحلة وسيطة، أما طفل المدينة فتعد له الأم وجبات خاصة مثل اللبن الزبادي والفاكهة المطبوخة والخضار المسلوق قبل أن ينتقل إلي غذاء الأسرة العادي.

٧ – أن الأسرة الريفية تلجأ عادة إلي العقاب البدني والتهديد به حتى يتم تدريب الطفل علي ضبط عملية الإخراج أما في المدينة فإن غالبية الطبقة الوسطي تلجأ إلي النصح وإلي التوبيخ في بعض الأحيان.

٨ – أن عملية التدريب علي الإخراج هذه تتم في الريف في سن أكبر مما يحدث للطفل في المدينة.

- محمد سعيد فرج، الطفولة والثقافة والشخصية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٧.
- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، بالتعاون مع الأمم المتحدة للأطفال، بحث احتياجات الطفولة في ج.م.ع الأمم المتحدة للأطفال، القاهرة، ١٩٧٤.
- محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية، القاهرة، ١٩٦٧.
- إنعام عبد الجواد، أساليب التنشئة الاجتماعية لدي مجموعة من الأمهات المتعلمات وغير المتعلمات في أسر قاهرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٤.
- جامعة الإسكندرية،أبحاث إعادة بناء الإنسان المصري، التقرير الرابع، الطفل المصري في إطار الرعاية الصحية والنفسية، الإسكندرية، بدون تاريخ نشر.
- عايدة هانم عبد اللطيف يوسف، التنشئة الاجتماعية، دراسة في المجتمعات الريفية والحضرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنيا، المنيا، ١٩٧٧.
- نجيب اسكندر وعماد إسماعيل، الاتجاهات الوالدية– في تنشئة الطفل، دار المعرفة، القاهرة،١٩٥٩.
في تنشئة الطفل، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٥٩.

٩ – أن تعويد الأبناء الاعتماد علي النفس من موقف لآخر في الأسر أمر غير وارد بمعناه الكامل بين الأسر المصرية بوجه عـــام، وإن اختلفــت درجات الاعتماد علي النفس من موقف لأخر في الأسر الريفية والحضرية، فالطفل في الريف والفئات محدودة الدخل في المدينة يخرج للعب في الشارع أكثر من طفل المدينة والطفل في الريف يستقل اقتصادياً ويقف فـــي ســـوق العمل في سن مبكر مقارنة بطفل المدينة.

١٠ – أن الطفل الذكر لا زالت له مكانة في الأسرة وإن كـــان هـــذا واضحاً في القرية أكثر منه في المدينة.

١١ – إن هناك تفضيل للابن الأكبر في القرية عنه في المدينة(٤).

وسنركز علي التنشئة الاجتماعية باعتبارها أهم وظائف الأسرة.

ثـانـيـا : الـتـنـشـئـة الاجـتـمـاعـيـة وشـروطـهـا

يعد نسق الأسرة هو المحيط المباشر الذي يحدث فيه التفاعـــل بـــين الآباء والأبناء ويطلق علي المفهوم الرئيسي لهذا المدخل بين الآباء والأبنـــاء ويطلق علي المفهوم الرئيسي لهذا المدخل مـــصطلح التنـــشئة الاجتماعيـــة Socialization ويؤكد كل من الكينElkin وهاندل Handel علي ضرورة وجود ثلاثة شروط أساسية للتوصـــل إلـــي تنـــشئة اجتماعيـــة ملائمـــة أو صحيحة(١).

وينطوي الشرط الأول، علي أن الطفل حديث الولادة يدخل مجتمعـــا موجودا بالفعل Existing Society له قواعده ومعاييره وقيمه واتجاهاتـــه، وبه بناءات اجتماعية عديدة منتظمة ومنمطة، ومع ذلـــك تتعـــرض للتغيـــر باستمرار، ولا يكون للطفل الوليد غير المهيئ اجتماعيا أي علم بهذه العمليات

- Hamed Ammar , Growing up in an Egyptian Village, Silwa province of Aswan, routladg and Kegan- Paul London, 195

أو البناءات أو التغيرات، وتكون وظيفة أنماط التفكير والشعور والعمل في مثل هذا المجتمع تحديد الوسائل والطرق التي يجب أن يمر فيها "القادم الجديد" New comer ومن المعروف أن هذه الوسائل والطرق هي التي تشكل عملية (أو عمل) التنشئة الاجتماعية.

أما الشرط الثاني للتنشئة الاجتماعية الملائمة، فهو الميراث البيولوجي Biological Inheritance الذى يسمح لعمليات التعليم بالحدوث. ذلك أن العقل والجهاز الهضمى، والقلب النابض كلها متطلبات أساسية وضرورية من أجل التنشئة الاجتماعية. وبالرغم من أهمية هذه المتطلبات وحيويتها إلا أنها غير كافية، لأن هناك عوامل معينة مثل إصابة العقل أو المخ أو الصمم، وكذلك الطول الشديد أو القصر الشديد، أو شكل الأنف والذقن، ومجموعة كبيرة من الشروط الجسمانية قد تعوق أو تؤثر في عمليات التفاعل والتنشئة الاجتماعية.ويجب أن يكون واضحا أنه علي الرغم من أهمية الميراث البيولوجي في عمليات التعلم وضرورته، إلا أنه لا يشكل جانباً جوهريا في عملية التنشئة الاجتماعية المتكاملة ذلك لأنه من المعروف أن هناك احتياجات معينة مثل الشراب والنوم تكون أساسية من أجل البقاء، ويمكن إشباعها بطرق مختلفة، كما أن المزاج والذكاء بيولوجي في أساسه، إلا أن نموهما وتطورهما واتجاهها يتأثران إلي حد كبير بالمجتمع الذي يولد فيه الطفل.

ويتمثل الشرط الثالث للتنشئة فيما يسمي "الطبيعة الإنسانية" Human nature. وهي هنا تشير إلي عوامل معينة وعالمية بين البشر. أي أنها تميز البشر في حالة مقارنتهم بالحيوانات الأخرى. ويري مدخل التفاعل الرمزي كما سبق أن أشرنا أن الطبيعة الإنسانية تتضمن المقدرة علي القيام بدور

الآخرين وكذلك المقدرة علي الشعور مثلهم أو عموما المقدرة علي التعامــل بالرموز Symbolic وهذا يعني إعطاء المعني للأفكار المجــردة، ومعرفــة الكلمات، والأصوات، والإيمــاءات، فــالغمز بــالعين مــثلا، والمــصاحفة باليد،والإيماء بالرأس، كل هذه أشياء يكون لها معني تبعاً لمقدرة الفرد علــي فهم ما ترمز إليه. وبصفة عامة نستطيع أن نقول أن هذه الأشياء طبيعيــة، وينفرد بها البشر دون غيرهم من المخلوقات.(٥)

وتم عملية تكوين وإعداد الشخصية الإنسانية للحياة في المجتمع علي مرحلتين أساسيتين هما:

(أ) مرحلة التهيئة أو تنسيق القوي والاستعدادات البيولوجية والنفسية وغيرها بحيث يصبح الفرد مهيئا لعملية التنشئة الاجتماعية.

(ب) عملية التنشئة الاجتماعية ذاتها.

ومن العناصر الأساسية التي تقوم علي تحقيقها مرحلة الهيئة للتنشئة الاجتماعية تنمية القدرات الأساسية – التي تكون في حالة كمون أو قــصور عند الولادة – وكذلك بذر البذور الأولي لثقة الإنسان فــي نفــسه وتكــوين إيقاعات الحياة الأساسية التي يختلف شكلها اختلافا بعيدا من ثقافة لأخــرى (كالجوع، والعمل، والاسترخاء. والنوم والعطش، والأمن الجسمي والنفسي.. الخ). وكذلك تدريب الفرد علي النظافة بمفهومها الواســع. وتعــد العمليــة الأخيرة من أصعب عمليات التهيئة لما تنطوي عليه من تنظيم عمليات اخرج البول والبراز، وتضطلع بالدور الأكبر، وربما الوحيد – في انجاز مرحلــة التهيئة هذه والإشراف عليها الأم.

وتمثل المرحلة الثانية صلب عملية التنشئة الاجتماعية الحقيقية والتي تعد إيذانا بدخول الفرد عالم العلاقات الاجتماعية المنظمة. وهنا يبدو بأقصى

درجة من الوضوح مدي ضخامة وتنوع تأثير الأسرة علي الفرد.ويمكــن أن نلخص هذه العملية بقولنا: أن أعماق طباع الفرد وشخصيته تتكون من خلال هذه المرحلة في الفترة من السنة الأولي حتى السنة الرابعة من العمر، وذلك في نطاق الأسرة الضيق، أي في مجال العلاقات بين الطفل ووالديه واخوته وأقاربه المقربين الذين يشاركون الأسرة معيشتها داخل نفس البيت.

ولا يصح أن نفسر ذلك الحكم العام تفسيرا خاطئا بأن نــذهب فــي تأويلة إلي الاعتقاد بأن المراحل التالية من حياة الفرد لا تضيف إلي شخصيته وإلي طباعة شيئا حاسما، بل العكس هو الصحيح: فكــل خطــوة يخطوهــا الصغير خارج نطاق الأسرة الصغيرة تفتح أمامه آفاقاً جديدة للحياة، وتدفعه إلي عمليات جديدة مستمرة للتنشئة الاجتماعيــة وإعــادة التنــشئة. فــالتعلم واكتساب خبرات جديدة لا يتوقف حتى مراحل الشيخوخة المتأخرة، ولكنــه يظل صحيحا مع تأكيدنا أن أيا من تلك الخبرات، أو عمليات التنشئة التي يمر الفرد بها يمكن أن يصيبه بنفس العمق الذي أصابته بــه خبــرات الطفولــة الأولي التي اكتسبها داخل دائرة الأسرة الصغيرة في سنوات العمر الأولي[٦].

ثـالـثـا : اهـتـمـام الإسلام بـالأسرة

استعبد الإسلام طرق التناسل أو تكوين الأسرة بغير طريقة الزواج، وذلك لتكوين الأواصر القوية بين كل أفراد الأسرة، قريبها وبعيدها، وقاصيها ودانيها، وبعض إلي المؤمن أن يسلك في تكوين الأسرة طريقا غير الزواج.

وبهذا المعني السامي في الزواج حث الإسلام عليه ودعا إليه. فقــد روي أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: رسول الله صلي الله عليه وسلم، "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنــه أغــض وأحــصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"

وقد حث الإسلام علي تكوين الأسرة، ودعا إلي أن يعيش الناس في ظلالها. فهي الصورة الطبيعية للحياة المستقيمة التي تلبي رغائب الإنسان وتفي بحاجاته. وهي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله لحياه الناس منذ فجر الخليقة وفضله لهم. واتخذ من الأنبياء والرسل مثلا فقال سبحانه "**لقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية**".

قال تعالي:"**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا،وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات. أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله وهو يكفرون**". حيث خلق الله حواء من ضلع آدم، وسائر البشر من نطف الرجال والنساء،وبهذا يحدد الإسلام الوظيفة الأولي بحفظ النوع البشري، بقصد استمرار الحياة الاجتماعية.كذلك يقول تعالي في محكم آياته: "**خلقكم من نفس واحدة. ثم جعل منها زوجها، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج، يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث. ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني تصرفون**" (٧).

وفي إطار الأسرة يتم تنظيم الطاقة الجنسية التي خلقت في الإنسان الذكر والأنثى. فقد شرع الزواج والأسرة ليكون الزواج أداة وتكون الأسرة وعاء شرعيا نظيفا ودائما ومستقرا لاستقبال هذه الطاقة وتوظيفها في المحل الصحيح وتوجيهها الوجهة السليمة. لتحقيق استمرار الجنس البشري، فقد قال تعالي: "**وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**". هذه الحقيقة التي يقررها القرآن الكريم هي حكمة مقررة منذ الأزل، وهي مطلب موجود في أصل فلسفة الإنسان.ولذلك وصف القرآن الكريم البنين بأنهم أحد عنصرين هما زينة الحياة الدنيا وبهجتها(المال والبنون). وقال النبي صلي الله عليه وسلم:"تناكحوا تكاثروا فإنني مباه بكم الأمم يوم القيامة". والمفهوم أن المباهاة

ليست بالكثرة في ذاتها ولكن بكثرة العمل الصالح والالتزام بأوامر الله والانتهاء عما نهي عنه. وهي أيضا وظيفة تربوية، فعلي الأسرة يقع قسط كبير من واجبات التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة، بل في المراحل التالية كذلك. وبفضل الحياة في الأسرة يتكون لدي الفرد الروح العائلي والعواطف الأسرية المختلفة، وتنشأ الاتجاهات الأولي للحياة الاجتماعية المنتظمة. فالأسرة هي التي تجعل من الطفل حيوانا مدنيا، وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع وفي البيت.

وتقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية وما تتضمنه هذه العملية من تعلم الطفل لغته وعادات مجتمعه ودينه وكيفية الامتثال لنظم المجتمع والمحافظة علي تراثه. ومن المعروف أن الأسرة في المجتمعات الصناعية الحديثة قد فقدت الكثير من أسس ترابطها وعوامل تماسكها منذ بداية النهضة الصناعية في القرن التاسع عشر نتيجة لازدياد عدد السكان وتدفق المهاجرين من الريف إلي المدن طعما في مستوي أعلي من الدخل، وعدم توافر المساكن الصحية المناسبة، وارتفاع تكاليف المعيشة بما لا يسمح بإعالة الأصول والفروع، وقلة فرص التعاون والتكافل، والاعتماد المطلق في سد الاحتياجات المعيشية علي المتخصصين. كل هذا كان من نتيجة أن قامت المؤسسات بجزء كبير من الأعباء الأصلية التي كانت منوطة بالأسرة القديمة والتي مازالت من أهم أعبائها في المجتمعات الريفية والبدوية، ومن هنا نشأت دور الحضانة ومنظمات التربية الرياضية والاجتماعية، والنوادي والمؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تعني بتربية الأطفال وعلاج ما قد يصيب بعضهم من انحراف أو جنوح[٨].

رابعا: الأسرة والتغيرات التكنولوجية

هناك العديد من التغيرات التي حدثت علي مستوي العالم حيث أثرت التغيرات والاجتماعية في المجتمع علي وظائف الأسرة فانكمشت..ولعل أهم هذه التغيرات هي ما يلي:

١ – انكماش دور الأسرة الاقتصادي فالأسرة في المجتمعات الزراعية وحدة اقتصادية واجتماعية في نفس الوقت، تنتج كل ما تحتاج في استقلال يكاد يكون تاما. هذا النوع من الأسرة الذي يعتمد علي نفسه في كل شئ يختفي بالتدريج في مجتمعنا كما حدث في المجتمعات المصنعة وانتقلت بذلك المسئولية الاقتصادية من الأسرة إلي المجتمع الأكبر.

٢ – انكماش دور الأسرة التكافلي ومسئوليتها في رعاية الفئات المنتجة مثل الأطفال والمسنين والعاطلين والمرضي بقيام الدولة بجزء كبير من المسئولية عن طريق التأمينات الاجتماعية والمساعدات وإنشاء دور رعاية المسنين والمستشفيات...إلخ.

٣ – انكماش دور الأسرة التعليمي بقيام الدولة بإنشاء دور الحضانة والمدارس.

٤ – انكماش دور الأسرة الترويحي والثقافي بقيام الدولة بإنشاء مراكز الشباب وتنظيم المعسكرات وتدعيم الأندية وكذا تنظيم البرامج الثقافية في الإذاعة والتليفزيون والمتاحف والمعارض ودور الثقافة.

٥ – انكماش دور الأسرة في الإنجاب والاستمتاع بهذه العملية كأساس لقيام أسرة ناجحة فقد أدت الدعوة إلي تحديد النسل إلي شعور الآباء بالخطأ والذنب عند إنجاب أكثر من طفلين مما ينعكس علي الطفل الثالث والرابع.

٦ – انتقال كثير من مسئوليات الأسرة إلي هيئات عامة، فقد كانــت الأسرة مسئولة – علي سبيل المثال – عن الإنارة والمياة وتخــزين الطعــام وتفصيل الملابس بل ونسجها في بعض الأحيان.. كل هذا انتقل إلي جهــات مركزية للإنارة بالكهرباء وتوصيل المياه للمنازل وخزن المأكولات (محلات البقالة بأنواعها) وإلي مصانع الملابس الجاهزة[٩].

وقد عكست هذه التغيرات وغيرها تأثيراً ملحوظا في أدوار الأســرة واهتماماتها مما أدي إلي تقلص وظائفها إذ تقــوم الأســرة بمجموعــة مــن الوظائف الجوهرية وهي كلها وظائف اجتماعية بمعني أن هنــاك تــداخلا وتفاعلا مع أبنية المجتمع. ويقسم البعض هذه الوظائف كما سبق أن أشــرنا إلي مجموعتين متميزتين، الأولي هي الوظائف الفيزيقية(أو المادية) وهــي سبيل المثال: التكاثر، والوظيفــة الاقتــصادية، ووظيفــة الحمايــة...الــخ. والمجموعة الثانية هي الوظائف الثقافية والعاطفية والاجتماعية، مثل: تكوين الفرد عن طريق الثقافة والتربية والتنشئة الاجتماعية، وازدهار ورفاهية كل عضو من أعضاء الأسرة.

وكانت الأسرة الممتدة فيما مضي، وخاصة في النظام القــائم علــي الاقتصاد الريفي، تقوم بمجموعة الوظائف الفيزيقية. وكذلك وظائف التكوين والتنشئة الاجتماعية، وأصبح هناك من الآن فصاعدا أطراف أخري تتــدخل لتمارس هذه الوظائف المختلفة بدلا من الأسرة، أو بالتعاون معها.

وتحولت الوظيفة الاقتصادية من وظيفة إنتاج إلي وظيفة اســتهلاك، حتى أن المنتجات الخام في البيئات الريفية لم يعد تحويلها في المنــزل إلــي سلع صالحة للاستعمال، فقد أصبحت الصناعة تتولي هــذه المهمــة بــشكل مطرد. ونلمس بوضوح أن الاتجاه العام لتطور عمليــات تجهيــز وإعــداد

المنتجات الغذائية والملابس والمعدات المنزلية يسير نحو جعل تلك المنتجات جاهزة للاستهلاك مباشرة. ويتحدد شكل المنتجات المعروضة للاستهلاك عن طريق دراسات السوق وعن طريق البحوث الاجتماعية التي تحاول تحقيــق الاستجابة لرغبات الجمهور. ومن هذه الزاوية يمكن القول بوضوح بأن تأثير الأسرة علي توجيه الصناعة أصبح تأثيرا كبيرا(١٠).

أما الوظيفة التي تحتكرها الأسرة دون أي مؤسسة أو نظام آخر فهي وظيفة الإنجاب. فالنسبة الغالبة من المواليد يولدون داخل أسر، ولا تزيد نسبة المواليد خارج نطاق الأسرة(أي من ١٨٠ علاقات جنسية غير مشروعة) عن ٦% في المتوسط في المجتمعات الغربية ولكنها تقل عن ذلــك كثيــرا فــي المجتمعات التقليدية.

ولكن حتى في هذا المجال الذي يبدو لأول وهلة فرديا تماما نجد أن هناك طرفا ثالثا يملك اليوم تأثيرا حاسما ممثلا في الدولة، فالدولة تــستطيع عن طريق سياستها الأسرية(والسكانية) وحسب احتياجاتها واتجاهات سياستها العامة أن تشجع المواليد وان تساعد الأسرة الكبيرة العدد(وذلك مــن خــلال تقديم إعانات عائلية، وإعانات للسكن، ومنح تخفيضات ضريبية، وتخفيضات في وسائل المواصلات، وميداليات للأسر الخ). أو علي العكــس مــن ذلــك تستطيع الدولة أن تضع برامج لتخفيض عدد المواليد(عن طريــق تــشجيع تحديد النسل، وإباحة الإجهاض، وحملات التعقيم..الخ) وذلك إذا كانت زيادة أعداد السكان تحتم ذلك في بعض البلاد النامية مثلا. أمــا وظيفــة الحمايــة (كالدفاع عن الحريات، والحماية الجسدية، والوظيفة الوقائية والصحية) والتي تتم ممارستها بالتضامن بين الجماعة الأسرية الممتدة، فإن هناك مؤســسات متعددة تقوم بها ويتيسر للجميع الاستفادة من التقدم العلمــي وخاصــة فــي

المجال الصحي. وحتى في مجال العناية التي تتم في المنزل، فـإن الدولـة تتدخل لكي تشجعها وتيسرها وذلك عن طريق وضـع أنظمـة للتأمينـات الاجتماعية، فتتحمل الجزء الأكبر من مصاريف المرض أو الوقاية الصحية، ويحل تضامن الأمة – لصالح الأسرة – محل التضامن القرابي الذي كـان موجودا في الماضي، وذلك عن طريق القيام بإعادة وزيادة متوسط العمـر، وتحسين مقاييس النمو الفيزيقي(الوزن وطول القامة) إنما تدل علي فعالية هذه الإجراءات جميعا.

وقد أصبحت وظيفة التعليم هي الأخرى وظيفة تمارسها الدولة. فقـد جعلتها إجبارية بالنسبة للجميع. وهي تنشئ المباني المدرسية وتعد المعلمين وتعينهم، وتقدم المنح والمكافآت الدراسية لكي تخفف من آثار عدم المـساواة في الدخول وتحقق تكافؤ الفرص في التعليم علي قدر الإمكان. ولكن الأسرة لا يمكن أنها تلقي بعبئها كاملا علي الدولة في هذه الوظيفة فقد أتـضح مـن الخبرة ضرورة قيام التعاون الوثيق بين الآباء والمؤسسات التعليمية سواء في وضع البرامج والمناهج وفي التوجيه أو في علاج المشكلات النفسية ومـن هنا تتضح الأهمية المتزايدة لجمعيات الآباء التي تقوم في المدارس لتحقيـق التعاون بين هيئة المعلمين وبين آباء التلاميذ[١١].

ولكن الأسرة تمثل بيئة لا تعوض بالنسبة للتربية بمعناهـا الـدقيق، ولتكييف الطفل ليصبح عضوا فعالا في المجتمع، وتنمية شخصيته وقدراتـه الخاصة. وقد تكلفت بتوضيح تلك الحقيقة.الهامة عشرات الدراسات الحديثـة في علم نفس الطفل[١]. وهكذا نري الأسرة قد أصبحت أخيـرا فـي شـكلها الحديث المكان الذي يجد فيه الرجل والمرأة – بعد تحررهما مـن عوامـل

القهر الاجتماعي – ملاذا من وحدة المجتمع. ويتجهان عن طريق الاتـــصال والتعاون نحو الرخاء بمفهومه الحديث(٢).

ويشير التراث العلمي في الاجتماع العـــائلي إلــي تلــك الظـــاهرة باسم"تقلص وظائف الأسرة".

وواضح من ظاهرة التسمية أن المؤلفين الكلاسيكيين الذين ســجلوا هذه الظاهرة قد اتخذوا منها موقفا سلبيا. أو علي الأقل اعتبروا فيها تهديــدا يمثل خطورة علي مكانة الأسرة وعلي مستقبلها.إذ أننا يمكن أن نجــد مــن يخلط بسهولة بين"تقلص الوظائف" "وتقلص الأسرة". ومن هنا نطرح علــي أنفسنا نفس السؤال:- هل يمكن القول بأن تقلص وظائف الأسرة في المجتمع المعاصر يمكن أن يؤدي إلي نوع من التفكك الأسري(٣).

إذ جاز القول بأن التخصص وتقسيم العمل يؤدى إلى تفكك المجتمع الحديث، فأنه يمكن القول بنفس القدر وظائف الأسرة يمكن أن يــؤدى إلـــى تفكك الأسرة ولكننا رأينا كيف أن التخصص وتقسيم العمل في المجتمع قــد أدي إلي تدعيم التضامن الاجتماعي علي نحو لم يشهده المجتمع الإنساني من قبل، كذلك نقول أن تقلص وظائف الأسرة قد حول أعضاءها إلي مجموعــة من الشخصيات المستقلة التي لا سبيل أمامها للوجود والحياة داخــل إطـــار واحد سوي تكوين شبكة جديدة من علاقات التآلف الحميمة التي تنهض علي أساس من الاقتناع والعاطفة لم يكن له نظير في الأسرة من قبل، لأنه وليــد إرادة مستقلة وليس وليد حاجات مادية أو اجتماعية ملحة. وسنعود إلي هــذه النقطة في كلامنا عن مزايا التقلص الوظيفي وعيوبه ولكننا نكتفي بأن نجيب عن السؤال السابق بتأكيد أن هذا التقلص لا يعني بالضرورة حدوث نوع من التفكك الأسري(١٢).ونتيجة التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يعتبرها البعض

شديدة الوطأة علي نظام الأسرة في ظل هذه التغيرات المتلاحقة العكس ذلـك علي تفكك الأسرة متمثلا بأعلى صورة في الانفصال بين الـزوجين وهـدم للأسرة.

إذ يلاحظ إن زيادة نسب الطلاق في مجتمعات اليوم يرجع أهم أسبابه إلي اختلاف المستوي الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بين الزوج والزوجة ومنها الحب الرومانتيكي الذي يسبق الزواج والذي يصطدم بواقـع الحيـاة ومشتقاتها ومنها أيضا الخيانة الزوجية والمرض والعقم وغير ذلك.

وأما عن أثر هذا الطلاق علي الأطفال فلا شك إن ذلك لـه تـأثيره الضار عليهم. فهؤلاء الأطفال يتعرضون لكثير من المآسي والضياع نتيجـة لتخلف أساليب رعاية الطفولة وكذلك نتيجة لعدم كفاية المؤسسات والتنظيمات التي يكون من مهامها الاساسية رعاية هؤلاء. وحتى إذا كان أحد الأبوين هم الذين يرعون الأطفال فلا شك إن الطفل في حاجة لرعاية أبويه معا. فـالام وما تضفيه من حنان ورعاية علي الطفل والأب ورعايته الدائمة له وتوجيهه أمر هام بالنسبة للنشئ(١٣).

١ – دور الأسرة: الايجابيات والسلبيات

تشير نتائج كل من الدراسات التقليدية والحديثة للأسرة أن المؤسسات المتخصصة الحديثة تستطيع أداء كل(أو علي الأقل أغلب). الوظائف التـي كانت تؤديها الأسرة في الماضي بنفس الكفاءة، إن لم يكن بشكل أكفأ ومـن هنا يصبح من المنطقي أن نتساءل هل بعد ذلك يمكن أن نعتبر تخلي الأسرة الحديثة عن بعض وظائفها تدهورا للأسرة ؟

لا شك أن هذه النتيجة الواضحة تؤكد لنا أن هذه الظاهرة لا يمكن أن تعد تقلصا حقيقيا للأسرة ولا تدهورا لمكانتها. خاصة إذا أضفنا إلي بـروز

الوظيفة الحقيقية للأسرة واتضاحها أكثر فأكثر مع الوقت وأعني وظيفة بناء الشخصية الاجتماعية الثقافية للفرد. أي وظيفة التنشئة الاجتماعيـــة وكـــذلك التربية العاطفية للفرد وتغذيته بالأحاسيس والمشاعر التي تكفل لـــه مغالبـــة التوترات ومواجهة الأزمات، ولا توجد أي مؤسسة اجتماعية أخري يمكن أن تؤدي هذه الوظيفة بمثل هذه الكفاءة أو حتى بكفاءة قريبة منها.

وهكذا توصل روبرت ماكيفر إلي هذه النتيجة الهامة التي يؤكد فيها بوضوح:" لما فقدت الأسرة وظيفة بعد أخري عثرت في النهاية علي وظيفتها الحقيقية. فقد أصبحت رابطة أولية أصبح فيها الزوج والزوجة أبا وأما، تربط بينهما رابطة بسيطة. تذكيها عاطفة خالصة نقية تبدأ فـــي حـــب الوالـــدين والأطفال. ولا يمكن أن تجد تلك العواطف تعبيرا حرا عنها إلا في ظل هذه الأسرة الموحدة.. كلما نما المجتمع المحلي، كلما اتجهت الأسرة إلي اتخـــاذ هذا الشكل الموحد". وهكذا يحتم علينا أن نقوم هذه الظاهرة تقيما جديدا فـــي ضوء هذه الاعتبارات والمفاهيم الحديثة. يضاف إلي هذا بعد آخر وهـــو أن كل التغيرات والتعديلات التي طرأت علي ظروف الأسرة الممتدة لا تصدق إلا علي الفئات العليا المتميزة سياسيا واقتصاديا، فهي أساســـا التـــي كانـــت تعرف هذا النظام. أما الطبقات الدنيا فهي في الغائب الأعم لم تعـــرف منـــذ الأزل سوي نظام الأسرة النووية. ومن الطبيعي أنه إذا كانت تلـــك الأســـرة النووية الضعيفة لا تملك شيئا. فأنها لا يمكن بالتالي أن تفقد شيئا، وهي لهذا ظلت بعيدة عن تيارات التغير العنيف. ولذلك فإن تقلص الوظائف لم يـــصب في الحقيقة سوي الأسر الكبيرة. ومن هذا لا يمكن أن نعتبره قانونـــا عامـــا أبدا[١٤].

أوضحنا من قبل أن الوظيفة الحقيقية للأسرة تتمثل في بناء وتكوين الشخصية الثقافية الاجتماعية للإنسان في إطار جماعة صغيرة تتميز علاوة علي هذا بأن أفرادها تجمع بينهم مشاعر وأحاسيس شديدة الألفـة والقـوة. ولكي نفهم أثر تلك الجماعة حق فهمه يجب علينا أن نرجـع إلـي تـراث الأنثروبولوجيا الثقافية الحديث وإلي المعارف الغزيرة التي كشف عنها هـذا العلم الحديث.

فهي توضح لنا بكل جلاء أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بعد مولده أكثر من ساعات قليلة دون مساعدة الغير. وذلك علي خلاف أغلب الفقريات العليا، التي تولد شبه "جاهزة" أو مستعدة للحياة معتمـدة علـي نفـسها دون مساعدة كبيرة من ذويها.

ويدلنا ذلك علي أن البقاء البيولوجي للإنسان يخضع فـي جـوهره للظروف والاعتبارات الاجتماعية التي تصيغه وتكفيه. وهنا تبـدأ الوظيفـة الحقيقية لجماعة الأسرة والتي لم يكن هناك أي مؤسسة أو نظام آخر يستطيع أن يحققها ولا حتى بشكل جزئي. خاصة في فجر الإنسانية.

ولهذا السبب ينهي عالم مثل رينيه كونيج إلي القـول بـأن المـيلاد البيولوجي للفرد ليس هو الأمر الحاسم في وجوده واستمرار وإنمـا العامـل الحاسم هو"الميلاد الثاني" أي تكونه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمـي إلـي مجتمع بعينه وتدين بثقافة بذاتها. والأسرة هي صاحبة الفضل فـي تحقيـق هذا"الميلاد الثاني" (١٥).

٢ – مشكلات الأسرة والجهود المبذولة لمواجهتها

أدت التغيرات التي حدثت في مصر إلي تغيرات كثيرة ومتباينة فـــي الأسرة المصرية نفسها ولا يمكن الحسم بأن هذه التغيرات كانـــت ســـلبية أو ايجابية أي ضارة أو نافعة.. فتراخي العلاقات الأسرية الذي تفرضه هجـــرة الأسر من الريف للحضر قد ينظر إليه البعض علي أنه تفكك فـــي الأســـرة الحضرية مقارنة بالأسرة الريفية المتماسكة.. كما قد ينظر إليه بعض آخـــر علي أنه تحرر لأفراد الأسرة الحضرية. أي أن التغير الذي يحدث يؤدي في العادة إلي تدعيم كفاءة الأسرة، ومن فاعلية أفرادها كمواطنين في المجتمـــع وأن صحبته بعض المشكلات، وبوجه عام يمكن القول بأن التغير الذي حدث في المجتمع المصري في مرحلة المسح قد دعم الأسر المصرية في كثير من النواحي، فقد زاد دخلها درجة، وأصبحت علاقة الزوج بالزوجة أكثر تكافؤا، وحصلت المرأة علي حريات كثيرة، كما توفرت للأبنـــاء فـــرص التعامـــل بديمقراطية أكثر مع آبائهم.. أي أن ما يسمي تراخيا في العلاقات الداخليـــة للأسرة المصرية قد أدي إلي مزيد من الحريات لأفرادها ومزيد من التكـــافؤ والديمقراطية في علاقاتها، ومن ثم صار أفراد الأسرة أكثر إسهاما في حيـــاة الأسرة والمجتمع.. ونظرة واحدة إلي المرأة والشباب في بدايات هذا القـــرن توضح الانطلاقة الكبيرة للفئتين بعد أن كان الرجال ينفردون بفرصة التوجيه في الأسرة والمجتمع.

علي أن تغير لا بد أن تصحبه مشكلات، وتزداد حدة هذه المشكلات بزيادة سرعة التغير في المجتمع والأسرة بالتالي، وما حدث فـــي المجتمـــع المصري والأسرة المصرية في مرحلة المسح كثير ولا شك فـــلا يمكـــن أن تقوم ثورة كثورة ٢٣ يوليو دون أن تكون لها انعكاســـات واضـــحة علـــي المجتمع عامة والأسرة خاصة: إعادة توزيع الأرض، دفعة كبيرة للتـــصنيع،

إصدار كثير من القوانين الاشـــتراكية، الـــتخلص مـــن التبعيـــة الـــسياسية والاقتصادية، خروج البنت للتعليم والمرأة للعمل، الانتقال إلي مرحلة الانفتاح الاقتصادي الاستهلاكي، الاشتراك في عديد من الحروب، الهجــرة للبلـــدان العربية البترولية..إلخ، ومع كل هذه التغيرات أخذت المـــشكلات الأســـرية التقليدية في الانحسار – علي غير المنتظر – فقلت معدلات الطـــلاق وكـــذا معدلات الزواج بأكثر من واحدة. من المشكلات الجديدة التي تحتـــاج إلـــي بحوث ميدانية للتأكد من أبعادها مايلي: (١٦).

١ – المشكلات المصاحبة لخروج المرأة للعمل

أدي خروج المرأة للعمل إلي عديد من المشكلات مثل عـــدم تـــوفر الوقت الكافي لرعاية الأبناء والزوج والبيت وقلق الزوجة والزوج نتيجة لهذا ومحاولة إقناع زوجها بإعادة النظر في توزيع الأدوار في الأسرة واشـــتراك الزوج في مسئوليات لم يعتد عليها مثل رعاية الأبناء دراسيا ونظافة البيـــت وما يصاحب هذا التغير من خلافات.

٢ – صراع الأجيال

أدي التسارع في عمليات التغير إلي اتساع الفجوة بين الآباء وأبنائهم وإلي اتساع أكبر لها بين الأجداد والأحفاد مما حـــول الخلافـــات الطبيعيـــة المحدودة بين أجيال الأسرة إلي مشاحنات ومشكلات تعاني منها أسر كثيـــرة في مصر. علي أن تكيف الآباء والأمهات مع التغير الجديد ومحاولتهم تقبـــل ثقافة الشباب المتحرر قلل كثيرا من حدة المشكلة، ويبدو أن الآبـــاء أســـرع تقبلا لثقافة الأبناء من الأمهات.

٣ – المشكلات المصاحبة لا رتفاع سن الزواج

أدي الارتفاع الملحوظ في سن الزواج إلي امتداد في الفترة الحرجة أي النضوج الجنسي لكل من الفتي والفتاة ونضوجهما الاقتصادي والاجتماعي والنفسي الذي يسمح بقيام أسر ناجحة، ومن هنا ظهر التعارض بين قيم الدين والمجتمع وممارسات بعض الشباب التي قد تصل إلي حد الانحراف.

<u>٤ – التضحية بالاستقرار الأسري في سبيل تحسين الدخل[١٧].</u>

زاد في السنوات الأخيرة من مرحلة المسح إقبال كثير من النساء المصريات علي العمل بمفردهن في البلدان العربية (بعيدا عن الزوج والأبناء) مما أدي إلي تغير مفاجئ في الأدوار الطبيعية لأفراد الأسرة وإلي عدم استقرار في حياة الأسرة كجماعة.

(أ) أصبح الزوج يقوم بدوري الأم والأب في آن واحد.

(ب) أصبح الأطفال الصغار يتحملون مسئولية رعاية أنفسهم في سن مبكرة.

<u>٥ – انقسام الأسرة نتيجة للهجرة:</u>

أدي ارتفاع معدلات الهجرة الداخلية والخارجية إلي تباعد مادي ونفسي بالتالي بين أفراد كثير من الأسر، فليس من الغريب أن نسمع الآن عن أسر عائلها في الكويت والأم مع الأطفال في احدي القرى بينما يدرس أحد الأبناء في احدي الجامعات في المدن.. هذا الشكل الجديد في الأسرة المصرية يصاحبه في الغالب تراخ في العلاقات يصل إلي درجة التباعد والجفوة والفتور الأسري بل إلي التفكك في كثير من الأحيان.. أي أن زيادة الدخل التي تأتي للأسرة مع الهجرة – سواء كانت داخلية أو خارجية – تصاحبها دائما خسارة مقابلة في انتظام الأبناء دراسيا وفي شعور الأفراد

بالدفء العاطفي والأمن النفسي الذي لا يمكن أن يأتي إلا من أسر بها حد أدني من التماسك

٦ – الزيادة المفاجئة في الدخل:

أدي تفجر البترول في البلدان العربية إلي اجتذاب أعداد ضخمة من المصريين أملا في التمتع بالدخل الكبير الذي توفره البلدان العربية الغنية. ونجح كثير من المصريين في تكوين ثروات لا بأس بها.. علي أن زيادة دخل هذه الأسر بطريقة مفاجئة وسهلة أدي إلي مشكلات عديدة لعل أهمها انغماس الأسرة انغماسا مرضيا في الإنفاق الاستهلاكي الكمالي والتفاخري، وإلي ظهور فئة من الأبناء لا يعرفون معني الكد وبذل الجهد والعرق والادخار لبناء الأمان الاقتصادي لأسرهم.

٧ – المشكلة الإسكانية:

أدي التزايد السكاني وارتفاع معدلات الهجرة الداخلية إلي ظهور مشكلة جديدة في فترة المسح لم تكن موجودة من قبل هي مشكلة الإسكان، ولو أن هذه المشكلة قد ذكرت في الفصل الخاص بالإسكان إلا أن ارتباطها الشديد بتكوين أسر جديدة حتم الإشارة إليها ضمن مشكلات الأسرة المصرية حيث أنها أدت إلي:

(أ) تأجيل كثير من الزيجات لمجرد عدم وجود مكان سكني للأسرة الجديدة.

(ب) اضطرار الأسر الجديدة إلي السكني مع الآباء ولو بصفة مؤقتة وهو أمر مقلق لكلتا الأسرتين.

(جـ) اضطرار الأسر الجديدة إلي قبول السكن في أي مكان حتى لو لم يلائم الأسرة، أي أن الأسرة قد حرمت من فرصة المقارنة لاختيار السكن

المناسب بل أن إعداد من تلك الأسر لجأ إلي أمكنة لا تصلح للمعيشة أطلاقا مثل سكني المساجد والقبور والمعيشة مع أسرة أخري في مسكن واحد مشترك، مع عدم وجود قرابة أو معرفة سابقة بين الأسر المتشاركة في كثير من الأحيان[١٨].

٣ - وأهم وسائل العلاج ما يلي:

أ – العلاج النفسي:

وينصب علي تنمية الثقة في النفس واستعادة الثقة والتوازن والتوافق وتعديل أنماط السلوك الزواجي المنحرف باستخدام الطرق المناسبة مثل العلاج السلوكي وغيرها. والقضاء علي أنواع المخاوف والقلق والصراع والحرمان والإحباط والشك في الحياة الزوجية، وحل المشكلات الحالية وإعادة التفاهم، وتيسير الحقائق الصحية نفسياً، والعلاج النفسي لحالات العقم الوظيفي(النفسي المنشأ) والعلاج الديني وتنمية الضمير الحي وخشية الله تجاه السلوك والتصرف الخاطئ في الحياة الزوجية، تقديم خدمات الإرشاد الزواجي لتناول المشكلات قبله وأثناءه وبعد إنهائه والمشكلات العامة.

ب – العلاج البيئي:

ويشمل علاج الأسباب الاجتماعية لمشكلات الزواج، وتصحيح كل ما يتعلق بشخصيتي الخطيبين والزوجين من الناحية الاجتماعية وأسرتيهما والعلاقات الاجتماعية وحل المشكلات الاجتماعية والحث علي إبراز أهمية الصدق والصراحة والإخلاص والحب والاحترام والثقة المتبادلة وحسن الصحبة والعشرة ومراعاة الحقوق والقيام بالواجبات والمشاركة في السراء والضراء والمحافظة علي الأسرار والمشاعر والكرامة والمعاملة الحسنة الساندة في حالات الانفصال والطلاق والترمل بحيث يمنع الانفصال أو

الطلاق، والعمل علي تحقيق التوافق في الزوج الجديد في حالة حدوثه، وتحويل خبرة الانفصال أو الطلاق من خبرة مؤلمة إلى خبرة معلمة بالاستفادة من الأخطاء الماضية، ومساعدة الأرمل على تعلم المهارات الاجتماعية الجديدة التي تناسب حالة العزوبة الإجبارية ويجب الاهتمام بالتربية الجنسية والتزويد بالمعلومات الصحية عن ماهية النشاط الجنسي واكتساب التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية الخاصة بالسلوك الجنسي، وتنمية الضوابط للدافع الجنسي والشعور بالمسئولية الفردية والاجتماعية كذلك يجب الاهتمام بالتربية الزواجية ضمن عملية التربية والتنشئة الاجتماعية حيث يعرف الأطفال والشباب ما يجب معرفته من حقائق الحياة الزوجية ومطالبها وأصول عملية.

ج – العلاج الطبي:

ويشمل تقديم المعلومات الطبية السليمة وتصحيح المعلومات عن الوراثة والتناسل وتنظيم النسل والعلاج الطبي لحالات العقم...الخ[١٩].

كما أن هناك أربعة أنواع من الجهود المبذولة لمقابلة مشكلات الأسرة: جهود حكومية – جهود أهلية – جهود حكومية أهلية، جهود شعبية، والمقصود بالجهود الحكومية هي كل ما تقوم به حكومة مصر بأموالها ورجالها لمقابلة احتياجات الأسرة المصرية، على أن الحكومة لجأت في السنوات الأخيرة إلى منهج جديد فأسندت بعض مشروعاتها إلى جمعيات أهلية وهذا النوع من الجهد هو ما نشير إليه هنا تحت اسم "الجهود الحكومية الأهلية" أما الجهود الأهلية الصرفة فهي تلك العمليات التي يقوم بها الموطنون في جماعة طوعا ودون أي تدخل خارجي عن طريق تشكيل جمعيات يسجلونها بوازرة الشئون الاجتماعية،وتخلف الجهود الشعبية عن

الجهود الحكومية والأهلية في كونها تحدث باستمرار دون توجيه أو أشراف أو تسجيل في وزارة الشئون الاجتماعية فالتكامل الاجتماعي بين أفراد الأسرة أو العائلة عامة علي سبيل المثال يحدث منذ قديم الأزل قبل قيام وزارة الشئون الاجتماعية سنة ١٩٣٩ وقبل بدء النشاط الأهلي في مصر في نهايات القرن التاسع عشر(٢٠).

١ – الخدمات الحكومية:

مثل الضمان الاجتماعي والمساعدات العامة بهدف حماية الأسر محدودة الدخل والتي تقابل هزات اقتصادية مفاجئة:

– عدلت وزارة الشئون الاجتماعية قانون الضمان الاجتماعي عام ١٩٥٣ بغرض تحديد مسئولية الدولة في تمويل الضمان والمساعدات ثم عدل القانون مرتين عامي ١٩٦٤، ١٩٧٧ من أجل رفع قيمة المعاش.

– أصبح عدد المستفيدين من مشروع الأسر المنتجة ٤٥٠٥٥ أسرة في عام ١٩٨٠ بعد أن كان ٧٦٣٩ أسرة عام ١٩٦٧.

– أصدرت الدولة عدة قوانين في مجال التأمينات

(انظر الجزء الخاص بتشريعات الأسرة).

– زاد عدد مدارس الحضانة التابعة للتربية والتعليم فأصبح ٤٣٣ داراً في عام ١٩٨٠ بعد أن كان ٩٣ داراً في عام ١٩٥٥ هذا بالإضافة إلي دور الحضانة الأهلية (انظر الخدمات الأهلية).

– زاد اهتمام أجهزة الإذاعة والتليفزيون بقضايا الأسرة سواء عن طريق الإرشاد المباشر أو عن طريق مناقشة هذه القضايا في المسرحيات والمسلسلات.

- أصبح عدد مراكز الأمومة والطفولة بوزارة الصحة ٢٢٠ مركزاً عام ١٩٨٠ بعد أن كانت ١٤٠ مركزاً عام ١٩٥٢، وأصبح عـدد وحـدات تنظيم الأسرة التابعة لوزارة الصحة ٤٥٦ مركزاً عام ١٩٨٠ بعد أن كانـت في حدود ٢٤ مركزاً عام ٦٤.

٢ – الخدمات الحكومية الأهلية:

- أسندت وزارة الشئون الاجتماعية مكاتب التوجيه والاستـشارات الأسرية إلي جمعيات أهلية فأصبح عددها ٥٣ مكتبا في عام ١٩٨٠ بعـد أن كان صفراً في عام ١٩٥٢.

٣ – الخدمات الأهلية:

- أصبح عدد دور الحضانة التابعة لجمعيات وهيئات أهليـة تحـت إشراف وزارة الشئون الاجتماعية ١٦٤٩ داراً في عام ١٩٧٩ بعد أن كانت ٢١ داراً في عام ١٩٥٢. هذا بالإضافة إلي فصول الحضانة بمدارس اللغات وكان عددها ٢٤ مدرسة عام ١٩٨٠.

- أصبح عدد جمعيات تنظيم الأسرة ٤٥٦ جمعية في عـام ١٩٨٠ بعد أن كان في حدود ثلاث جمعيات عام ١٩٥٢. لقد بدأت حركـة تنظـيم الأسرة تصل مداها في عام ١٩٦٦ حين أعيد شـهر الجمعيـة المـصرية للدراسات السكانية تحت اسم "الجمعية العامة لتنظيم الأسرة".

٤ – الخدمات الشعبية:

- تبدو مظاهر التكافل الاجتماعي في المجتمعـات الريفيـة أكثـر وضوحاً عنها في المجتمعات الحضرية، كما تبـدو مظـاهر التكافـل فـي

المجتمعات الحضرية بين ذوي الدخل المحدود أكثر منها بين ذوي الدخل المرتفع.

ومن صور التكافل الاجتماعي العناية بكبار السن والأطفال في العائلة، ويبدو أن اهتمام الدولة بتوفير معاشات للجميع قد أدي إلي تلكؤ كثير من الأسر الريفية والحضرية في الاستمرار بالقيام بدورها في التكافل الاجتماعي بنفس القدر من الهمة.

- تنظم كثير من الأسر الريفية والحضرية دخلها وإنفاقها علي أساس الاشتراك مع أسر أخري في جمعيات شهرية يمكن أن نسميها جمعيات التعاون المالي(تساهم كل أسرة في الجمعية شهرياً بمبلغ محدود من المال ثم تحصل علي مساهمتها هذه مجمعة كل فترة تزيد أو تقل حسب رغبة أعضاء الجمعية) [٢١].

أسئلة على الفصل الرابع

١ – ما أدوار الأسرة ووظائفها بالنسبة للفرد والمجتمع ؟

٢ – تعد التنشئة الاجتماعية من أهم الأدوات التى تقوم بها الأسرة ! وضح ذلك ؟

٣ – ما أهم الوسائل لعلاج المشكلات الأسرية ؟

المراجع

١ – غريب سيد أحمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص ٢٦.

٢ – المرجع السابق، ص ص ٢٨ – ٢٩.

٣ – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري ٥٢ – ١٩٨٠، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٥٥

٤ – المرجع السابق، ص ص ١٥٦ – ١٥٧.

٥ – سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، ب.ت،ص ص ٢٢٢، ٢٢٣.

٦ – علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف،ط٢، ١٩٨١، ص ص ١٨٤ – ١٨٦.

٧ – غريب سيد أحمد وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٩١ – ٩٢.

٨ – المرجع السابق، ص ٩٣.

٩ – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مرجع سابق، ص ص ١٥٧– ١٥٨.

١٠ – علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة...، مرجع سابق، ص ١٧٩.

– راجع: عبد الباسط عبد المعطي ومحمود الكردي(تحرير)، الأسرة المعيشية والانفاق الاجتماعي: الواقع والتطلعات، دراسة مسحية بالعينة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة،٢٠٠٠.

١١ – المرجع السابق، ص ١٨٠.

١٢ – المرجع السابق،ص ص ١٨١ – ١٨٢.

١٣ – السيد عبد العـــاطي وآخـــرون، الأســـرة والمجتمـــع، دار المعرفـــة الجامعية،١٩٩٨، ص ص ١٥– ١٦.

١٤ – علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، مرجع سابق، ص ص ١٨٣ – ١٨٤.

– راجع: فاتن محمد شريف، علم الاجتماع العائلي، ب ت، الفــصل الأول: مفهوم العائلة وأنماط التنظيم العائلي والوظائف الأساسية، ص ص ٧ – ٥٠.

١٥ – المرجع السابق، ص ص ١٨٤ – ١٨٥.

– راجع علياء شكري(اشراف)، دراسات في علم الاجتمـــاع العـــائلي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١.

١٦ – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائيـــة، المـــسح الاجتمـــاعي الشامل، مرجع سابق،ص ١٦٤.

١٧ – المرجع السابق،ص ١٦٥.

– راجع محمد أحمد بيومي، المشكلات الاجتماعية دراسات نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣.

١٨ – المرجع السابق،ص ١٦٦.

١٩ – سامية محمد فهمي، المشكلات الاجتماعية: منظـــور الممارســـة فـــي الرعاية والخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٠، ص ص١١٨ – ١١٩

٢٠ – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائيـــة، مرجـــع ســـابق، ص ١٦٧.

٢١ – المرجع السابق،ص ١٦٨.

الفصل الخامس
المرأة والحياة العائلية

أولاً : تعليم المرأة وعملية الإنجاب

ثانياً : المرأة وأدوارها المتعددة

ثالثا : دور المرأة كربة منزل



مقدمة :

تلعب المرأة دوراً أساسياً وجوهرياً فى الحياة الأسرية فهى تعد رأس المال البشرى الذى يفوق فى أهمية أى شئ آخر . وهى المنظم لحركة الأسرة وفى حالة غيابها لأى سبب لا تستطيع الأسرة أن تعيش بنفس الكفاءة ، فأدوار المرأة متعددة فى إشباع حاجات الأسرة المادية والنفسية وإنجاب الأطفال وتربيتهم وكذلك العمل داخل المنزل وخارجه .

أولاً : تعليم المرأة وعملية الإنجاب

كانت نسبة الإناث فى تعداد ١٩٤٧ فى مصر ٥١,٥% من مجموع السكان وأصبحت هذه النسبة ٤٩,٨% فى عام ١٩٨٠ .

١ – المرأة والتعليم :

ارتفعت نسبة المتعلمات في السنوات الأخيرة فقد كانت نسبة الأميات تمثل ٨٤% من مجموع الإناث فى عام ١٩٥٢ فانخفضت هذه النسبة إلى ٧١% عام ١٩٨٠ ، وكانت نسبتهن من بين تلاميذ المرحلة الثانوية ١٤,٤% من مجموع الطلاب عام ١٩٥٥/١٩٥٤ فأصبحت ٣٦,٧% عام ١٩٨١/١٩٨٠ ، كما كانت نسبة الإناث فى المرحلة الجامعية ٨,٢% من مجموع الطلاب عام ١٩٥٣/١٩٥٢ فأصبحت ٣٢,٦% عام ١٩٨١/١٩٨٠ .

هذا ويلاحظ فى التوزيع النسبى للسكان حسب الحالة التعليمية (فى التعداد) أن الإناث لم يظهرهن ضمن إحصاءات التعليم الفنى أو بين الحاصلين على درجات الدكتوراه .

٢ – المرأة والعمل :

زادت نسبة العاملات فى المجتمع المصرى من حوالى ٥٢% من مجموع الإناث عام ١٩٦٠ إلى حوالى ٥٣% من مجموعهم عام ١٩٨٠ ، وتدعيما لعمل المرأة أكد الدستور المصرى على ضرورة قيام الدولة بالتيسير

للمرأة حتى يمكنها التوفيق بين عملها فى المجتمع وواجباتها فى الأسرة وفى تعداد ١٩٦٠ وضع اشتغال المرأة. بشئ من التحديد فأشار إلى أن اشتراكها فى الأعمال المختلفة أخذ فى الزيادة الطفيفة فيما عدا النشاط الزراعى الـذى استمر فى الانخفاض بعد أن كان يشكل المهنة الرئيسية للمرأة حتـى عـام ١٩٦٤ فقد كانت نسبة المشتغلات بالزراعة ٤٣% من جملة الإناث العاملات فى هذه السنة ثم انخفضت هذه النسبة إلى ٢٥,١% سـنة ١٩٧١ ، وربمـا يرجع هذا لاتجاه المرأة إلى الاشتغال بمهن تتطلب قدرات واستعدادات عملية ومهارات فنية خاصة تيسر لها فرصة الحصول على أجور مرتفعة كـالتى يحصل عليها الرجل . وترتب على ذلك أن ارتفعت نسبة العاملات بـالمهن العلمية والفنية من ٨,٣% من جملة العاملات عام ١٩٦١ إلى ١٩,٣% مـن جملتهن عام ١٩٧١. ومن أهمها مهنتى التدريس والتمريض [١] .

حيث يتوقع كثير من علماء الديموجرافيا أنه كلمـا زادت مـشاركة المرأة المتزوجة في قوة العمل ، قل ميلها إلى الإنجاب . ولكن يتعين علينـا أن نأخذ هذا التوقع المتفائل بشئ من الحرص والحـذر الـشديدين حيـث تستطيع نسبة كبيرة من الزوجات العاملات تجاوز التناقض القائم بين الدور الاقتصادي من جانب والدور الأسرى من الجانب الآخر ، وترجع قـدراتهن علي ذلك إلي عدة عوامل من بينها أنه مازالت المرأة العاملة المصرية لديها الفرصة في أن تحصل علي الخدمة المنزلية بثمن ملائم أو أن تستعين ببعض أفراد أسرتها أو أقاربها من الاناث لمعاونتها علي تربية الابناء أو العناية بهم أثناء انشغالها في العمل خارج المنزل مما يمكن معظم الزوجات العـاملات في مصر من الجمع بين كلا النوعين من النشاط دون الاحساس بالضغط أو الذنب .

وهناك عدد غير ضئيل من النساء يوفقن في اختيار نماذج للاعمـــال والمهن التي تتميز بظروفها المرنة : كالتدريس مثلا أو العمل فـــي ميـــدان الخدمة الاجتماعية ، وما الي ذلك من المهن التي توفر للمراة فرصة لتخطيط مواعيد ولاداتها أثناء فترة العطلة الصيفية ، ولذلك فان العمل لا يؤدي فـــي حدا ذاته الي انخفاض الانجاب عند الزوجات العاملات ، بل ان هناك متغيرا اخر أكثر أهمية ودلالة هو الذي يؤثر حقيقة في السلوك الانجابي للمرأة وهو التعليم . فقد كشفت الدراسات التجريبية عن وجود علاقة عكسية بين التعليم وسلوك الإنجاب عند النساء ، حيث بلغ عدد الأطفال بالنسبة لكل مائة مـــن الزوجات المصريات اللائي تلقين تعليما جامعيا (٣٩٤طفل) ، بينما ارتفع هذا العدد حتى بلغ (٥٨٣ طفل) لمن تلقين تعليما ثانويا ، ووصـــل إلـــي (٧٠٣) بالنسبة لمن استكملن التعليم الابتدائي ، أما غير المتعلمات فقـــد بلـــغ عـــدد أطفالهن (٧٠٨) . وإذا أردنا أن نضع المسألة علي نحو آخـــر ، يمكننـــا أن نقول انه في مقابل كل (١٠٠) مائة طفل تلده إناث مصريات أميات ، يولـــد (٨٧ طفل) من أمهات ملمات بالقراءة والكتابة ، و (٦٣) طفل مـــن أمهـــات حصلن علي التعليم الثانوي ، و (٥٣) مـــن أمهـــات مـــن ذوات الـــدرجات الجامعية (٢) .

واذن فان درجة الخصوبة تتناقص علي نحو منـــتظم كلمـــا ارتفـــع المستوي التعليمي للإناث ، وهناك مجموعة اعتبارات يمكن طرحها لتـــسير العلاقة العكسية بين التعليم وسلوك الإنجاب عند المرأة من أهمها :

أ – إن استكمال مرحلة التعليم العالي يؤخر سن الزواج عند المـــرأة وبالتالي فانه يؤجل من بداية فترة الحمل .

ب – إن التعليم يوسع أفق المرأة فضلا عن أنه يطـور مـستويات تطلعها وآمالها ، وفي بعض الاحيان يعمل علي تعديل هذه التطلعات خاصة وأن المرأة بعد أن تنل تعليما عاليا تتطلع إلي العمل والاستقلال الاقتصادي ، وعلي الرغم من أن المرأة المصرية المتعلمة ليست مستعدة لأن تتنازل عن الزواج من أجل المستقبل المهني ، إلا أن محاولتهـا للجمـع بـين الأدوار الأسرية التقليدية وبين اشتغالها خارج المنزل ، تدفعها إلي الإقلال من عـدد الأبناء .

جـ – إن المرأة المتعلمة تعي تماما أن التكـاليف المترتبـة علـي إنجاب مزيد من الأطفال تفوق بكثير إمكانيات وطاقات الأسـرة المتوسـطة التي لها متطلباتها بل وتريد أن تحقق مستوي معيشي أعلي باستمرار .

د – أن المرأة المتعلمة لا تعلق أهمية كبري علي الأطفال كمـصدر أساسي لأمنها النفسي ومكانتها في المجتمع .كما هو الحال بالنسبة للمرأة غير المتعلمة التي تحقق ذاتها من خلال إنجاب مزيد من الأطفال .

هـ – إن التعليم يزيد من وعي المرأة ومن ثم يدعم قـدرتها علـي استخدام نماذج معينة وناجحة لتنظيم واختيار أكثر الوسائل ملاءمة لتحقيـق هذا الهدف .

ومن أجل ذلك كله نستطيع أن نقول إن السياسة المثلي لتنظيم حيـاة الأسرة في المجتمع المصري لابد وأن تتمثل في نـشر التعلـيم ومـضاعفة فرصة الاناث في الحصول عليه لما له من اثر بعيد المدي علي التقليل منس معدل النمو السكاني في مصر ، فضلا عما يقوم به من العمل علـي رفـع مستوي الأسرة المصرية اجتماعيا . وثقافيا ، واقتصاديا (٣)

ثانيا : المرأة وأدوارها المتعددة

تقوم المرأة بأدوار متعددة داخل الأسرة وخارجها في كل المجتمعات وفي كل الأوقات فهي المسئولة عن انجاب الأطفال وتنشئتهم والعمل داخل المنزل وخارجه .

١ – المرأة في المجتمعات التقليدية

المرأة تحمل القسط الأكبر من تنشئة الأطفال الاجتماعية منذ سن مبكرة . وهي بالإضافة إلي ذلك ذات دور بارز في اقتصاديات الأسرة ، فهي عاملة ، ومشرفة ومدبرة ومسئولة عن جعل البيت في حالة مستديمة وثابتة من الاكتفاء الذاتي لا ينقصه شئ من المئونة والمطالب التي تحتاجها الأسرة علي مر فصول السنة .

والأسرة في هذا الإطار الاجتماعي التقليدي معمل بدائي ، تجري فيه صناعة الأغذية وفى مقدمتها الخبز ، وصناعة الملابس التي يحتاجها أفراد الأسرة ، وبخاصة الإناث وتنظيف وغسل الملابس ، وعمل مواد زينة النساء والقيام بعمليات تجميل المتزوجات منهن ، ومن هن علي أهبة الزواج من الفتيات . هذا فضلا عن تربية الدواجن ، وبعض الحيوان للإفادة من نتاجها ، ولحومها و صنع مستخرجات الألبان ، وهذه كلها أعمال تضطلع المرأة بها ، وفق ما تمليه التقاليد . وإذا ارتأى رب الأسرة أن يمارس في بيته صناعة من الصناعات التي تعد من اختصاص الرجال أساسا ، فإن زوجته وبناته كن ، في حالات كثيرة ، يساعدونه في العمليات السهلة التي يستطعن القيام بها لأنه لم يتصور في هذا الإطار الاجتماعي المبسط للحياة ، أن تقبع المرأة في بيتها دون عمل أو حركة ، فالمرأة في أية مرحلة من مراحل حياتها ، التي تستطيع فيها العمل بأي شكل ، وعلي أية صورة خادمة البيت سواء كان ذلك في بيت أبيها ، أم بيت زوجها . وحتى في حالة ترملها ، أو طلاقها أو

انفصالها عن زوجها لفترة من الوقت ، فإنها تعود إلي بيت أبيها لتخدم فيه مهما كان سنها ، ومهما كان عدد أطفالها فهي تربي وتنشئ ، متشربة بهذه القيم والأفكار . وهي تكبر فتجد أمها وإخوتها وقريباتها الكبيرات علي هذا الحال فتألف ذلك وتتعود عليه شيئا فشيئا ، حتى إنه ليصبح طبيعة ثانية لها فهي تتزوج لتخدم زوجها وبيتها وتعبر الأمثال الشعبية ، في الثقافة الريفية ، عن أهمية المهارة في الخدمة المنزلية بالنسبة للمرأة ، فيقولون (بنت فلان ، نار وشرار) ، (وقلبها حامي) أي أنها سريعة في العمل .

وتأتي بعد المهارة في قائمة الصفات المرغوب فيها في المرأة الريفية ، الأخلاق الفاضلة مثل الطاعة ، والهدوء ، والوداعة . وهذه الصفات الثلاث الأخيرة ذات قيمة عالية لدي الرجل ، وبالنسبة لتقييم المرأة الريفية ، وهذا أمر منطقي جدا ، لأنه منسجم كل الانسجام مع الأوضاع و والنظم التي تسيطر علي طريقة الحياة وأسلوب المعاملات في الريف .

ومن الصفات ذات الوزن الكبير أيضا في نظر الريفيين أن تكون المرأة صغيرة السن . ويعلل الريفيون تمسكهم بهذه القيمة بالنسبة للمرأة حين يفكرون في اختيارها زوجة ، بأن ذلك يسهل السيطرة عليها ويجعلها أسلس قيادا لزوجها مما لو كانت كبيرة .

ويجد الرجل القروي الأمان والاطمئنان في التمسك بالعصبية ، وهو لا يجب أن يفخر بأصلة وحسبه فقط ، بل يجب أن يفخر أيضا بأصل من يصاهره وبحسبه ومكانته الاجتماعية . ولذلك تفضل الخطيبة في الريف ، إذا كان لها (رجالة بارزون مرموقون) .

ومن العوامل المهمة أيضا ، في اختيار المرأة الريفية كزوجة ، وما تملكه أو ما سوف ترثه ، من أرض ، أو عقار ، وحلي ، حتى تستطيع أن

تساعد زوجها في حياته المعيشية ، فالملاحظ في الريف أن ما تملكه الزوجة يستطيع الزوج أن يتصرف فيه ، وتعتبر الزوجة نفسها ومـــا تملكـــه ملكـــا لزوجها (٤) .

٢ – المرأة فى المجتمعات الحديثة :

على العكس من دور المرأة فى المجتمعات الريفية التقليدية ، نجد أن خروج المرأة للعمل من مشاكل الأسرة الحديثة – ولا يقصد بذلك أن مجـــرد خروج المرأة للعمل هو المشكلة فى حد ذاتها – ولكن المشكلة جاءت نتيجـــة لهذا الخروج . فنجد أن خروج المرأة للعمل أظهر مشاكل لم تكن موجـــودة من قبل ، أهمها :

أ – مشكلة تربية الأطفال : حيث أن خروج المرأة للعمل جعل رعاية الأطفال وتربيتهم والعناية بهم أقل نجاحا عن ذى قبل .

ب – انهيار تقسيم العمل خارج المنزل : حيث أن المـــرأة التحقـــت بأعمال كانت حكرا على الرجال وأصبح من الصعب الآن أن نجـــد مهنـــة تخص الرجال وحدهم . هذه المشاركة بين النساء والرجال فى نفس المهـــن أدى إلى زيادة حدة التنافس والصراع بينهما .

جـــ – انهيار تقسيم العمل فى المنزل : حيث ان الخط التقليدى الذى يميز أعمال الرجال وأعمال النساء فى المنزل أصبح أقل وضوحاً عـــن ذى قبل – حيث أن عمل المرأة فى المنزل أصبح يشارك فيـــه الرجـــل – وإذا تمسك الرجال بالمعايير القديمة لتقسيم العمل فإن ذلك يـــؤدى إلـــى شـــجار ومتاعب مستمرة بينهما (٥) .

٣ – تغير دور الزوجين مع تقدم السن

تكشف الدراسات التى أجريت عن العلاقات الزوجية أن عاطفة الحب بين الزوجين تهدأ أو ربما تخمد بمرور السنين على الزواج ، ويحل محـــل الحب الذى كان متأججا فى بداية الحياة الزوجية ألفة المعاشرة التى تجمـــع الزوجين من أجل تحقيق هدف مشترك هو تربية الأبناء وضمان حياة أفضل لهم .

وينظر عدد قليل من الأزواج والزوجات إلى سنوات ما بعـــد زواج أبنائهم وخروجهم من المنزل على أنها أيام المتعة الحقيقية ، حيث يـــتخلص الزوجان من هموم متابعة الأولاد فى الدراسة ومن تدبير نفقات الدروس ومن تأجيل السفر والترحال للعناية بهم . ومع انتهاء رسالتهما فى تربية أبنائهمـــا تبدأ الحياة بالنسبة لهما .

ولكن الواقع ، فى بعض الأحيان ، قد يفرض حقائق جديدة وخاصـــة فى مجتمع مثل المجتمع المصرى وبعض المجتمعات العربيـــة الأخـــرى . فالأب فى مجتمعنا لا يتوقع أن تنتهى مسئولياته بتربية أولاده وزواجهم ، بل على العكس من ذلك قد تبدأ زوجته مرة أخرى دورة جديدة من تربية أطفال أولادها أو بناتها . وعلى الرغم من العطاء الـــسخى الـــذى يقدمـــه الآبـــاء والأمهات إلا أن الأبناء عادة ما ينكرون عليهم حقهم فى التمتع بحياتهم بعـــد التقدم فى السن بدعوى أنا أيامهم قد ولت وراحت ، ويلقون علـــى عـــاتقهم بمسئولية الاهتمام برعاية أطفالهم . وإذا لم يتفق الزوج مع زوجته على مبدأ رعاية أحفادهما ، فإن الاختلاف بينهما قد يوجد نوعا من الفجوة ويعمقها مع الأيام وخاصة إذا أدت رعاية الزوجة لأحفادها إلى الانصراف عن الإهتمام بالزوج فى وقت هو أحوج ما يكون فيه لحبها وعنايتها . وغالبا مـــا يفـــشل

الزوج فى المنافسة مع أحفاده على نيل قدر من اهتمام زوجته فتكــون لــه حياته المتوازية مع حياة الزوجة ولا يلتقيان على شئ مشترك بينهما [٦] .

وفى بعض الأحيان لا يكون لدى الزوجة أحفاد وتكون متفرغة كربة بيت للعمل المنزلى ، فيؤدى خروج أولادها مــن المنــزل وزواجهــم إلــى شعورها بالفراغ الشديد ، ويزداد شعورها بالوحدة إذا كان الزوج ناجحا فى عمله حيث يكون فى مرحلة جنى ثمار كفاحه التى غرسها فى شبابه والتمتع بالمكانة الاجتماعية والمهنية التى يكون قد بلغها . وتحاول الزوجــة التــى وجدت نفسها وحيدة بالمنزل أن تسترعى انتباه زوجها ، فإذا أعرض الزوج ونأى بجانبه عنها ، يكون ذلك نذير سلسلة من المشكلات الاسرية التى قــد تتفاقم إذا لم تعالج العلاج المناسب . ومن أكثر وســائل العــلاج شــيوعاً ، خروج المرأة من منزلها لممارسة العمل العام فى المجال الاجتماعى وإن لم تتهيأ لها مثل هذه الفرصة ، فإنها تنخرط فيما اصطلح النساء على تــسميته بمجالس النميمة والثرثرة .

ويعد زواج الأبناء حدثا محوريا فى حياة الأسرة ، وخاصة بالنــسبة للزوجة – الأم – إذ يعد زواج الابن أو الابنة إعلاناً عن العمر الحقيقى لهــا وهو السر الذى يقلقها ، ليس فقط أن يعرفه الناس ، ولكن أن تواجه به نفسها أيضا . وبزواج الأبناء يواجه الآباء مشكلة نفسية – اجتماعية تتمثــل فــى شعورهم باقتراب المشيب وزوال النضارة والحيوية . ومع قدوم أول حفيــد يصبح التسليم بالشيخوخة أمرا لا مناص منه . وكثيرا ما نسمع من بعــض النساء قولهن أن زواج أبنائهن جعلهن يكبرن قبل الأوان ، وقد تصر المــرأة منهن علي الإنجاب وقد جاوزت الأربعين عاما لتوهم نفسها ومن حولها أنها لازالت في سن الخصوبة ولم تعد عجوزا عقيما . وتبدو مثل هذه المشكلات

أكثر وضوحا عندما يتزوج الابن ويأتي بزوجته الشابة للعيش مع أمه في مسكن واحد . فتحاول الأم أن تتغلب علي شعورها بفقدان أو تضاؤل دورها الاجتماعي ببسط مزيد من السيطرة علي الإبن وزوجته . وإذا كانت الزوجة الشابة لديها ميول للعيش مستقلة داخل المسكن الذي توجد فيه أم زوجها ، يكون عليها أن تواجه مشكلة إصرار الحماة علي بقاء بناء القوة في صالحها وهكذا [٧] .

ثالثا : دور المرأة كربة بيت

نتناول هنا بالعرض ، والتحليل ، كتاب (سوسيولوجيا العمل المنزلي) لمؤلفته (آن أوكلي) [٨] .

وتأتي أهمية هذا الكتاب من أنه يفرض قراءته علي كل مهتم بقضايا تحرير المرأة ، فهو دراسة تتحدي النظره التقليدية إلي العمل المنزلي التي تحاول دائما التقليل من شأنه ، كما أنها تتحدي إهمال السوسيولوجين ، وبخاصة المتخصصين في علم الاجتماع الأسري وعلم اجتماع العمل ، للعمل المنزلي ، كموضوع علمي جاد .

فقد دأب الباحثون في علم الاجتماع الأسري علي دراسة المرأة إما من خلال دورها الأسري كزوجة وأم ، أو من خلال دورها كعاملة خارج المنزل بدون أجر لم يحظ بدراسة جادة أو منظمة .

ويتناول هذا الكتاب قضية هامة وهي موقف علم الاجتماع التقليدي من المرأة . كما يعرض بين دفتيه موضوعات جديرة بالاهتمام مثل : نظرة النساء للعمل المنزلي ، ونظرتهن لأنفسهن كربات بيوت ، ومشاعرهن المختلفة نحو العمل المنزلي ، واتجاهاتهن نحو الأعمال المنزلية المختلفة من طهي وتنظيف .. الخ ومدة العمل المنزلي الذي تقوم به المرأة محسوبا

بالأسبوع . ومدي أهمية المعايير والروتين كطريقة للتأكـد مـن أن العمـل المنزلي يتم علي وجه أكمل ، وكأسلوب علي مكافأة الذات .

وقد حاولت الباحثة في هذا الكتاب وضع تقييم يكشف عما إذا كانت النساء راضيات أو غير راضيات عن العمل المنزلي ، ومدي الاختلاف في درجات الرضا بينهن . كما يتناول الكتاب أيضا الطبقة الاجتماعية ، وصلتها بالعمل المنزلي والرضا عنه ، كما تناقش الباحثة تأثير التنشئة الاجتماعيـة علي الحياة المنزلية ، وتحلل تقسيم العمل بين ربة البيت وزوجها في المنزل ، وتفحص صعوبات الجمع بين العمل المنزلي ، وواجبات الأمومة .

وعماد هذا الكتاب دراسة قامت بها الباحثة (آن أو كلي) فـي سـنة ١٩٧١ علي أربعين زوجة من ربات البيـوت الإنجليزيـات الحـضريات والباحثة توجه كتابها إلي فئتين مختلفتين من القراء ، الأولـي تتـألف مـن المتخصصين في علم الاجتماع ، والثانية تتضمن هـؤلاء الـذين يهتمـون بموقف ربة البيت اهتماما خاصا دون أن تكون لديهم معرفة بعلم الاجتماع ، لذلك فقد جاء الكتاب في جملته جليا واضحا .

وعلي الرغم من أن العينة التي ينصب عليها هذا الكتـاب ، كانـت عينة إنجليزية ، فإن وضع الزوجة لربة المنزل فيها ، ينطبق في أساسـياته علي الزوجات في مجتمعات صناعية معاصرة أخري .

وإذا ما تناولنا العمل المنزلي علي سبيل المثال ، وهو عمل أساسـي للمرأة ، فسنجد أن إغفال هذا الموضوع من ميداني علم الاجتماع الأسري ، واجتماعيات العمل ، إنما ينقل بوضوح انطباعا محرفا ومشوها عن موقـف المرأة الحقيقي . فليس هناك اهتمام بمدي أهمية العمل المنزلي للمـرأة ، لا من حيث مقدار الوقت الذي تنفقه في الأنشطة المنزلية والعناية بالمنزل مـن

جهة ، ولا من حيث المعني الذاتي للعمل المنزلي بالنسبة للمرأة الذي يمكن أن يختلف باختلاف المواقع الاجتماعية ، والطبقة من جهة أخري .

وفي الفصل الأول تري المؤلفة تناقضا بين وجود المرأة في علم الاجتماع ووجودها الاجتماعي الحقيقي ، كما يعد أيضا دليلا على فشل علم الاجتماع في اخذ خبرات المرأة وواقع حياتها في الاعتبار . ويمكن أن يوحي ذلك بإعادة تصنيف موضوعات علم الاجتماع وميادينه بحيث تمثل كلا المنظورين الذكري والأنثوي علي السواء .

وتمضى المؤلفة إلي الفصل الثاني من الكتاب لتحلل العمل المنزلي بوجه عام ، وتصف البحث الذي قامت به وجه خاص . وتري أنه علي الرغم من أن هناك ميلا ، يتزايد في السنين الحالية ، إلي تقليل حدة الفروق النوعية بين الذكور والإناث في عالم العمل والمهن والوظائف ، فسيظل هناك دائما دور وظيفي أنثوي برمته وهو دور ربه البيت . وعلي الرغم من أنه ليس هناك قانون يمنع الرجال من القيام بهذه الوظيفة إلا أن هناك ضغوطا اقتصادية واجتماعية وسيكولوجية تقف عائقا أمام الرجل ، وتمنعه من الدخول في رحاب هذه المهنة .

وتبدأ المؤلفة هذا الفصل بتعريف ربة البيت ، ويرتكز هذا التعريف علي مفهوم المسئولية ، وعلي ذلك تكون ربة البيت هي الشخص المسئول وحده (دون الخادم المنزلي) عن معظم المهام المنزلية ، أو عن الإشراف علي الخادم المنزلي الذي يقوم بهذه المهام وقد تكون ربة البيت متزوجة كما قد لا تكون ، كما قد تكون عاملة خارج المنزل وقد لا تكون ، وقد أفصح ذلك المسح الذي قام به (هنت) (Hunt) عن أن تسعة أعشار النساء من غير العاملات خارج منازلهن كن ربات بيوت متزوجات . كما كانت سبعة أعشار

العاملات خارج منازلهن من ربات البيوت . وعلي هذا لايكـــون دور ربـــة البيت دورا أنثويا فقط ، بل إنه يعد الدور الوظيفي الرئيـــسي للمـــرأة فـــي عصرنا الحالي . ذلك أذن هو التبرير الأساسي لدراسة العمل المنزلي ويمثل الخبرة اليوميه المتكررة في حياه معظم النساء .

ثم تناولت الفصول التالية مايلى :

صور العمل المنزلي ، العلاقة بين الطبقـــة الاجتماعيـــة والاعمـــال المنزلية ومدي الرضا وعدم الرضا عنها ، ظروف العمل المنزلي والمعايير المتعلقة بالعمل المنزلي ، العلاقة بين التنشئة الاجتماعية لربة البيت وبـــين صورتها عن ذاتها، موضوع الزواج ، تربية الأطفال .

وقد نجح الكتاب في ايضاح النظرة الجديدة الي العمل المنزلي ، وفي تحليلها له كعامل يماثل غيره من الأعمال ، كما أظهر زيف تلك الأســطورة الخاصه بسلبية العمل المنزلي وسهولته وبذلك يضع المرأة التي تعمـــل فـــي بيتها فوق من تعمل خارجه .

أسئلة على الفصل الخامس

١ – ما علاقة تعليم المرأة بعملية الإنجاب ؟

٢ – اعرض للدوار المتعددة للمرأة .

٣ – قارن بين دور المرأة كربة منزل وعاملة .

المراجع

١ – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائيـــة ، المـــسح الاجتمـــاعي الشامل للمجتمع المصري ١٩٥٢ – ١٩٨٠ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ١٦٩ .

٢ – محمد عاطف غيث وآخرون ، مجالات علم الاجتماع المعاصر : أسس نظرية ودراسات واقعية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ٦٠٩ .

٣ – المرجع السابق ، ص ٦١٠ .

٤ – سامية الساعاتى ، علم اجتماع المرأة : رؤية معاصرة لأهم قضاياها ، مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع ، ٢٠٠٣ ، ص ص ٤٦ – ٤٧ .

٥ – السيد عبد العاطى وآخرون ، الأسرة والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨ ، ص ١٦ .

٦ – حسن محمد حسن ، فى السيد عبد العاطى وآخرون ، مرجع ســـابق ، ص ٤٨ .

٧ – المرجع السابق ، ص ٤٩ .

٨ – سامية الساعاتى ، علم اجتماع المرأة ، مرجع سابق ، ص ص ١٣٥ – ١٣٧ .



الفصل السادس
الاقتصاد ومشكلات الأسرة

أولاً : الأسرة ومصادر الدخل

ثانياً : المرأة والاقتصاد والقوى العاملة

ثالثا : تصنيف المشكلات الأسرية



أولا: الأسرة ومصادر الدخل

١ – موارد الأسرة :

تلقى الموارد البشرية اهتماما أقل بكثير من الموارد غير البشرية وقد يرجع هذا إلى عدم تعود الغالبية العظمى من الناس على احتساب مثل هذه العناصر ضمن موارد الأسرة ، ويمكن تقسيم الموارد البشرية إلى ما يلى :

أ – الموارد البشرية الشخصية :

مثل الطاقة أو الجهد ذلك أن قدرة الفرد على العمل الذهنى والجسمانى تختلف من شخص لآخر تبعا للسن والجنس والحالة الصحية ... إلخ .

ب – القدرات الشخصية :

مثل المهارات الخاصة فى مجالات معينة مثل الحياكة والنجارة والسباكة والمهارة فى الطبخ .

ج – الميول والاتجاهات :

مثل ميل ربة الأسرة إلى النظافة والنظام فى المسكن واتجاهات الوالدين نحو التنشئة الاجتماعية للأطفال (ديمقراطية – ديكتاتورية .. إلخ).

د – التعليم :

سواء كان تعليما رسميا أو غير رسمى ، فالأسرة المتعلمة تملك موردا بشريا يفوق الأسرة غير المتعلمة (١) .

لذا فالمورد البشرى أو ما يسمى برأس المال البشرى يمثل أساس أى مورد مادى فكرا وانتاجا واستهلاكا ، إلا أنه فى ظل عدم توفر فرص للعمل

فإن هذا المورد البشرى يصبح عبئا يعانى من البطالة وبالتالى ينعكس علـــى تقليص الوضع الإقتصادى لميزانية الأسرة وآدائها لأدوارها .

ونقول لأولئك الذين يأسفون لتقلص وظائف الأسرة . إذا كان هـــذا التقلص يمثل ظاهرة سلبية فكيف يفسرون هذا الارتفاع الهائل في الإنتاجيـــة الاقتصادية للمجتمعات التي حققت قدرا أكبر من هذا التقلص ، وهي أساســـا المجتمعات الصناعية المتقدمة . ونكمل تلـــك الملاحظـــة بـــأخري نلمـــسها بوضوح شديد ، وهي أن الاعتماد الكبير علي معونة الأسرة ومساندتها للفرد في كل نواحي حياته قد أدي – خاصة في المجتمعات التقليدية (ككثيـــر مـــن البلاد النامية) – إلي قتل أو تعويق المبادرة الفردية .

وتلك حقيقة مؤكدة لايستطيع أن ينكرها أحد أو يشك فيها ، وتـــسمي تلك الظاهرة بالتطفل الأسري Family paraistism حيث يستغل الأعضاء الكسالي والعاجزون في الأسرة التضامن الاسري لتحقيق مصلحتهم والحفاظ علي مكانتهم علي حساب بقية الاعضاء النشطين .. فتحدث في نهاية الأمـــر حالة من التساوي لا تفرق بين العضو النشيط والعضو الخامل من حيث عائد الجهد أو تقدير هذا الجهد .

ولا شك أن ظاهرة ، (التطفل الأسري)تعد في كتابات علم اجتمـــاع التنمية من أخطر العوامل التي تعوق جهود التنمية في العالم الثالث . ومـــن هنا كان حرص كبار المصلحين في الصين (منذ ص يـــات صـــن وحتـــى ماوتسي تونج) علي إضعاف كيان الأسرة الصينية الكبيرة القديمـــة لـــصالح عملية التنمية الاقتصادية ، وقد صاغت تلك الاتجاهات عديدا من الإجراءات والوسائل السياسية والتشريعية لتحقيق هذا الغرض .

ورغم أهمية العمل في إضعاف وتعويق جهود التنميـــة الاجتماعيـــة الشاملة ، فإنه لم يلتفت إليه الباحثون الالتفات الواجب . وقد أنتهت إليه بشكل مكثف أغلب الحركات الثورية في المجتمعات التي يسود فيها نظام الأســـرة الممتدة . حيث حرصت تلك الحركات علي الاستفادة من الطابع الفردي الذي أخذ يسيطر علي الأسرة . وكذلك الاستفادة من كل نتائجه في الانتفاع بجهود النساء والأطفال في عمليات التنمية .. فكان تحرير أفراد الأسرة من سيطرة الكبير عبارة عن تعبئة كاملة لكل القوي العاملة لخدمـــة عمليـــات التنميـــة والتطوير الاقتصادي .

ولذلك يري البعض أن المساواة في الحقوق بـــين الرجـــل والمـــرأة أتاحت فرصا متكافئة لكلا الجنسين للعمل في النشاط الاقتصادي المنتج . وقد حرص الاتحاد السوفييتي ، والمانيا الديمقراطية (الشرقية) والـــصين علـــي السير في هذا الاتجاه مجندين أقصي طاقات الرجال والنساء (بل والصبيان) للعمل المنتج في كافة قطاعات النشاط الاقتصادي والاجتماعي . ولقد مـــرت كل تلك المجتمعات وأمثالها في بادئ أمرها بفترة (التعبئة القصوي) ، مـــن أجل تجنيد كل أبناء المجتمع للعمل الاقتصادي المنتج . وقد جعلت الدولة ذلك الهدف هو واجبها الأول . بل تذهب بعض مراجع التنمية إلي القـــول بـــأن الهدف الأكبر للقانون الأسري الصيني (قانون الأحـــوال الشخـــصية) منـــذ الخمسينيات وحتي الآن – هو خدمة التنمية الاقتصادية وتعقب كل مظـــاهر التطفل الأسري بقصد القضاء عليه تماما [٢] .

٢ – سوسيولوجيا العمل المنزلي

إن الكتابة عن سوسيولوجيا العمل المنزلي ، يتـــضمن موضـــوعات سوسيولوجية متخصصة مـــن بينهـــا : تـــصنيف الخلفيـــات الاقتـــصادية

والاجتماعية التي يجري في إطارها العمل المنزلـــي فـــي ثقافـــات مختلفـــة والمقارنة بوجه خاص بين الدول المتقدمة تكنولوجيا ، وبين الدول الناميـــة والمتخلفة ، من حيث طبيعة العمل المنزلي في كل منها . وتحليل دور ربـــة البيت وما يتضمنه من قوة تتمثل في تأثيرها في نماذج شخـــصيات أطفالهـــا وسلوكهم فهي المنشئة الأساسية لهم ، بل إن مركزها المحوري في الأســـرة يمكن أن يؤثر في صحة أفرادها ومرضهم علي السواء . كما لابد أن يحتوي علي دراسة التفاعل الاجتماعي لربة البيت ، وتحليل عملها المنزلي كعمـــل يجعلها تتفاعل مع زوجها وأبنائها وجيرانها وأقاربها ، وصديقاتها ، ومعارفها ، والبائعين سواء من يذهبون إليها في المنزل ، أو من تـــذهب هـــي إلـــيهم وتفاعلها مع الدولة والأسعار عن طريق وضعها لميزانية الأسرة وتحديدها لمواصفات السلع المتوقفة علي مدي إقبالها أو إحجامها عن شراء سلع معينة ، في اتخاذ القرارات اليومية المتعلقـــة بنمـــاذج الاســـتهلاك والموضـــات ، والشئون العامة ، وأهمية النظر إلي مطالبها التكنولوجية وكل ذلك يدخل في إطار علم الاجتماع الأسري وعلم الاجتماع الاقتصادي .

كما أن سوسيولوجيا العمل المنزلي لابد أن يشمل توضيحا للصلة بين العمل المنزلي ، وبين اختيار الشريكة في الزواج ، فكم مـــن رجـــل فـــضل الزواج بامرأة معينة لأسباب من بينها أنها تجيد الطهي ، أو أنها قدمت إليـــه أكلة مفضلة بطريقة مشوقة ، أو لأنها ممتازة في العمل المنزلـــي أو (شـــغل البيت) كما تشيع الإشارة إليه في لغتنا الدارجة وكم من رجل أعرض عـــن الزواج بامرأة جاهرته بأنها لا تحب العمل المنزلـــي ولا تجيـــده . كمـــا أن مفهوم العمل المنزلي نفسه لابد وأن يدرس في أطره الاقتصادية المختلفـــة ،

فهو في المجتمع الزراعي الريفي غيره في المجتمع الصناعي الحضري ، غيره في مجمع الرعي وهكذا [٣] .

كما أن التأكيد علي إيضاح النظرة الجديدة إلي العمل المنزلي كعمل يماثل غيره من الأعمال ، أظهر زيف تلك الأسطورة السائدة في ثقافات أخري كثيرة ، والخاصة بسلبية العمل المنزلي ، وسهولته وطبيعته بالنسبة للمرأة والتي تتضح من أسئلة توجه إلي النساء في عالمنا المعاصر مثل : هل ستعملين ؟ أم ستبقين في المنزل ؟ وكأن البقاء في المنزل لا يتضمن عملا .

وهناك عبارات تشير إلى ذلك فى الثقافات المختلفة ، ففى الثقافة الأوروبية تجيب المرأة إذا سئلت عن هويتها (مجرد ربة بيت Just a House wife) وفى الثقافة المصرية تجيب (مجرد ست بيت) وتشير عبارات مصرية مثل (فلانة مش بتشتغل ، دى قاعدة فى البيت .. الخ) إلى أن البقاء فى المنزل يتضمن الجلوس وعدم القيام بعمل وعبارة "فلانة بشغل وجوزها قعدها فى البيت " تشير أيضا إلى أن البقاء فى البي راحة ، بعكس العمل الذى لايكون إلا خارجه .

وبتحليل صور ربات البيوت عن أنفسهن ، وعن اتجاهاتهن نحو العمل المنزلي وما يتضمنه من أعمال فرعية مختلفة ، ومدي شعورهن بالرضا أو عدم الرضا عن عملهن ، ونفاذها إلي طبيعة العمل المنزلي نفسه ، بما يستغرقه من وقت وما يتفرغ إليه من أعمال والكشف عن المعايير التي تحكم إنجازها ، كل ذلك كان عملا جديرا بالإعجاب .

ولقد كان هناك اهتماماً كبيرا بالجزاء الذاتي السيكولوجي الذي تحصل عليه ربة البيت من خلال قيامها بعملها وتمسكها بالمعايير التي حددتها ، والروتين الذي وضعته لنفسها . ولكنها نسيت أو تناست أبعادا

اجتماعية غاية في الأهمية ، وتشمل الجزاءات الاجتماعية التي تحصل عليها من خلال تعليقات زوجها ، وابنائها ، وجيرانهـا ، أو صـديقاتها ، أو مـن مقارنة عملها بالأعمال المنزلية التي تصورها وتبرزهـا وسـائل الإعـلام المختلفة من إذاعة وصحافة وتليفزيون وسينما . إن ربة البيت حين تعمـل فإنها لا تعمل في فراغ وإنما تعمل وهي تضع في ذهنها توقعـات الآخـرين منها ، وتتدخل علاقاتها مع هؤلاء الآخرين ابتداء مـن زوجهـا وأولادهـا وانتهاء بمعارفها ، في مدي إقبالها علي العمل المنزلـي وتقبلهـا لـه ، أو إعراضها ونفورها منه ، فالزوجة المحبة لزوجها ، والتي تتميز علاقاتها معه بالتفاهم والود ، تفكر في زوجها أثناء عملها المنزلي ، وتضع نصب عينيها أن تدخل السرور علي قلبه حين يعود وأن تنجز عملها علي وجـه يرضـاه وترتضيه هي لإسعاده ، كما أن ثناءه عليها ، ومكافأته لعملها بالتقدير يجعلها أكثر رضا وإقبالا علي عملها المنزلي ويصدق ذلـك أيـضا علـي أبنائهـا وأصدقائها وجيرانها (٤) .

ويمكن إن نحصر أهم التغيرات الاجتماعية التي حدثت في الأسـرة العربية فيما يلي :

١ – إن الأسرة العربية تغيرت نتيجة لخروج المرأة للعمل وحصولها علي الفرص المادية للرجل في التعليم وهو من أهم آثار التغير الاجتمـاعي المباشرة علي الأسرة كما إن مشاركة الزوجة في تخطيط ميزانيـة الأسـرة وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بتنشئة الأطفال يتناسب طرديا مع عمل الزوجة أو دخلها الخاص ، وليس معني هذا أن الزوجة غير العامل لازالـت تابعـة للرجل وتماثل الزوجة في الأسرة الممتدة التقليدية ، أن التغيـر الاجتمـاعي العام في المجتمع وتأثير وسائل الاتصال وزيـادة الخـصائص الحـضرية

وانتشار التعليم وتناقص حجم الأسرة أدي إلي تغير ملحوظ في دور الزوجة وفي مركزها في الأسرة إلي الدرجة التي تستطيع معها القول بأنها تـشارك ببطء في مسئولية رعاية الأسرة وتخطيط مستقبلها وأن كانت هذه المشاركة مختلفة من منظور سرعة التغير بالقياس إلي ماهو واقع في الأسـرة التـي حظيت فيها الزوجة علي درجة عالية من التعليم .

٢ – يعتبر حجم الأسرة الصغيرة نسبيا من أهم الدعائم التـي تقـوم عليها أسر اليوم . والأسرة المصرية حاليا لها خصائص الأسرة النواة التـي تحدث عنها علماء الاجتماع ومن بين العوامل التي أدت إلي تنـاقص حجـم الأسرة في الوقت الحاضر ذلك الاتجاه نحو التحكم في إنجاب الأطفال علـي الرغم من وجود عدد كبير منهم بالفعل ، وهذا دليل علي أن هناك اقتناعات عامه بضرورة تحديد حجم الأسرة مما يميل إلي الاعتقاد بأن الدعاوى التـي كانت ذات قوة يوما ما مؤكدة مجافأة مثل هـذا الأسـلوب للـدين أو لأيـة اعتبارات أخري تتعلق بالعصبية أو بالحجة إلي عدد كبيـر مـن الأطفـال للمعاونة في الأعمال الإنتاجية أو الزراعية التي تهتم بها الأسرة لم تعد لهـا فعالية في تحديد اتجاهات الأسر . فالأسرة العربية المعاصرة بـدأت تحـس بمسئوليتها المباشرة عن تعليم أطفالها ورعايتهم الـصحية وتهيئـة أفـضل الظروف لهم ليستطيعوا الاشتراك في العمل الاقتصادي من واقـع الخبـرة والمؤهل الأعلى (٥) .

ثانيا : المرأة والاقتصاد والقوي العاملة

يتحدد دور المرأة في اقتصاديات المجتمع بقدر إسهامها في المهـن والأعمال غير الزراعية . وتشير البيانات الإحصائية الخاصة بالعمالة فـي مصر إلي انخفاض مستوي مشاركة المرأة المصرية في الأنشطة الاقتصادية

خارج المنزل . حيث بلغت نسبة النساء العاملات بالقياس إلي المجموع الكلي للإناث في مصر عام ١٩٦٨ (٨%) وارتفعت هذه النسبة بمعدل (٥%) خلال عشرين عاما ومع العلم بأن هذه الإحصائيات لم تأخذ في اعتبارها الإسهامات الرئيسية للنساء الريفيات في مجال الزراعة حيث تعتبر المرأة بمثابة العمود الفقري للاقتصاد الريفي ، الا انه بمقارنة مشاركة المرأة المصرية في القوي العاملة ، مع معدلات المشاركة النسائية في بلدان أخري تمر تقريبا بنفس مرحلة النمو الاقتصادي لمصر ، لوحظ أن اندماج المرأة المصرية في العمل خارج المنزل يعتبر محدودا للغاية ، ويرجع بعض الباحثين انعدام التوازن في البناء الصناعي والمهني للقوي العاملة في مصر (إلي أن الرجال يقومون بأعمال عادة مما تقمن بها النساء في المجتمعات الاخري) . ومن أبرز الأمثلة علي هذا ، انه علي الرغم من إن مصر تعتبر دولة متخصصة في صناعة الغزل والنسيج ، تلك الصناعة التي تجذب في الدول الاخري نسبة عالية من الأيدي العاملة النسائية ، إلا أن هذه النسبة لاتزيد في مصر عن ٢% من عمال المصانع المصريين ، هذا ويعتبر الانخفاض النسبي في مشاركة المرأة المصرية في الحياة الاقتصادية خارج المنزل خاصية تميز المجتمعات الإسلامية بوجه عام وتعكس التحديات الثقافية للتقسيم الثنائي للعمل طبقا للجنسين ، وحيث ينظر الي مجال الأثاث باعتباره مقتصرا علي المنزل ، أما العالم الخارجي للعمل والشئون العامة فهو للرجال ، وإذا كانت المرأة الريفية تشارك في العمل الزراعي فذلك لأن هذا العمل يعد جزءا من واجباتها المنزلية وهناك مجموعة من الحقائق التي تتصل بمشاركة المرأة المصرية في مجال العمل والاقتصاد يمكن الاشارة اليها في النقاط التالية :

أ – تكشف النساء اللائي تعشن في المناطق الحضرية والأصغر سنا، عن ميل أوضح نحو البحث عن العمل من النساء الأكبر سنا واللائي يقمــن في المناطق الريفية .

ب – تشكل النساء المتعلمات نسبة كبيرة من القوي العاملة النــسائية في مصر حيث يبلغ حجم الاناث المتعلمات حوالي نصف الإناث العــاملات علما بأن هؤلاء المتعلمات لا يمثلن إلا قلة ضئيلة من مجموع أفراد الإنــاث في مصر .

ج – يبدي الرجال الذين ينتمون إلي الطبقــات المتوســطة والعليــا اتجاهاتهم الايجابية والمتحررة نحو تشغيل زوجاتهم وأخواتهم [٦] .

<u>١ – تغير الأدوار وإعادة توزيعها .</u>

تحدد ثقافة المجتمع طبيعة الأدوار التي يقوم بها كــل مــن الــزوج والزوجة كما تبين أسلوب تقسيم العمل بينهما منذ بداية الحيــاة الزوجيــة ؛ ولذلك تختلف مشاركة كل زوج لزوجته في الواجبات المتعلقــة بالمحافظــة علي بيت الزوجية بحسب خلفيته الاجتماعية وبقدر ما يؤمن به من ضرورة قيام كل طرف من أطراف الأسرة بالأعمال التي تقسم بينهم علــي أســاس النوع .

وفي هذا الإطار ، لاحظ (بلود وزميله وولف) Blood and Wolf (1960 , أن الزوجين في شهر العسل يتقاسمان الأعباء المنزلية عن تراض وطيب خاطر ، وخاصة إذا كانت الزوجة امرأة عاملة . ويبدأ الــزوج فــي التخلي عن مساعدة زوجته في القيام ببعض الأعمال المنزلية كلمــا مــضت الحياة الزوجية ، وما أن تقترب السنة الأولي مــن نهايتهــا حتــي تتحــول اهتمامات الزوج تماما إلي الأعمال خارج المنــزل . وقــد يعــاود الــزوج

مشاركته في الأعمال المنزلية عندما يرزق بطفل ولكنه يتراجع عن هذه المشاركة بعد مرور الشهور الأولي من ميلاد الطفل ، ويستمر الأمر علي هذا المنوال حتي يقترب الزوج من مرحلة التقاعد فيعود إلي سابق عهده من حيث المشاركة .

وبوجه عام ، يتأثر دور الزوج في الأسرة إلي حد كبير ، بالمتغيرات الخارجية مثل حياته العملية ، وتعدد الأدوار التي يقوم بها خارج محيط الأسرة . وعندما تتقلص تلك الأدوار بإحالة الزوج إلي التقاعد يعاود القيام بدور نشط في نطاق الأسرة ، فيقوم بمساعدة الزوجة في أشياء كثيرة لم تعتد علي مساعدته لها بشأنها إلي حد .

أن كثيرا من الزوجات يشكون من تدخل أزواجهن بعد التقاعد في كل صغيرة وكبيرة مما يسبب قدرا كبيرا من المشكلات (٧) .

<u>٢ – تغير علاقات القوة في محيط الأسرة .</u>

تزداد قوة الرجل في محيط الأسرة مع تقدم العمر نظرا لما يحظي به من رقي وظيفي في حياته العامة ، ويتميز بناء القوة فى كثير من الأسر بميل القوة ناحية الزوجة في السنوات الأولي من الحياة الزوجية ، وخاصة عندما ينشغل الزوج بتوطيد الدعائم الاقتصادية التي تنهض عليها الأسرة ، وبالتالي يعطي جانبا كبيرا من وقته واهتمامه لعمله خارج الأسرة ، وبالتالي يعطي جانبا كبيرا من وقته واهتمامه لعمله خارج المنزل . ويتزايد حظ الرجل من القوة في علاقته بزوجته كلما تأكدت صفاته كرب للأسرة يتحمل مسئولية تأمين حياتها الاقتصادية وتتوافر لديه القدرة علي القيام بواجبات الزوج تجاه زوجته .

وتقاس قوة الرجل في الأسرة بمؤشرات عدة أهمها تمتعـه بـسلطة اتخاذ القرارات النهائية فيما يتعلق بكل جوانب حياة الأسرة . ولكن ينبغـي علي من يهتم بدراسة بناء القوة أن يتأكد من أن من يـصدر القـرار هـو صاحب المصلحة في اصداره ، ذلك لأن إصدار القرار قد يكون بيد شخص ما من الناحية الشكلية بينما المستفيد منه شخص آخر ، هـو مركـز القـوة الحقيقي .

وتتغير علاقات القوة في محيط الأسر كلما تقدم الأبناء فـي العمـر وكلما كان الأب ديمقراطي النزعة في تنشئة أولاده ، فالرجـل الـديمقراطي يشاركه اتخاذ القرارات عدد أكبر من المستفيدين بها وعلي رأسهم الزوجـة والأولاد . بل قد يضطر الأب إلي اتخاذ مالا يوافق عليه من قرارات نزولا علي رأي الأغلبية داخل الأسرة (٨) .

ثالثا : تصنيف المشكلات الأسرية بحسب كونها مشاكل خاصة أو عامة

١ – من حيث المشاكل الخاصة :

فهي ما تتعلق بالزوج أو الزوجة والمشاكل الزوجية المتعلقة بالزوج أهمها الكراهية وسوء المعاملة للزوجة ، والفرق الكبير بينه وبين الزوجة في السن ، والمرض ، والانحراف الخلقي ، ومن جهة الزوجة نجـد مـشكلات الكراهية والنفور ، وسوء الخلق ورعونة التصرف ، وإهمال شئون المنزل والعقم ، والخروج عن طاعة الزوج وغيرها .

٢ – أما من حيث المشاكل العامة :

وهي ترجع إلي المجتمع وما ينتابه من مشاكل اقتـصادية سـيئة أو موروثات ثقافية خاطئة ، أو عادات فاسدة منتشرة في البيئة (٩) .

تصنيف المشكلات الأسرية بحسب العوامل الغالبة في حدوثها :

أ – مشكلات نفسية : مثل سوء التوافق العاطفي والجنسي ، والغيرة والخيانة الزوجية ، والنزاع علي السيادة في الأسر وغيرها .

ب – مشكلات اجتماعية : مثل سوء العلاقة بين الزوجين والأبناء ومشكلات المرأة العاملة وتعدد الزوجات ، والطلاق وغيرها .

ج – مشكلات اقتصادية : قلة الدخل ، انعدام الدخل ، سوء التصرف في الدخل .

د – مشكلات صحية : مثل المرض المزمن ، والعاهات والعقم ،

هـ – مشكلات ثقافية : مثل تنافر الميول الشخصية والقيم بين الزوجين وتباين المستوي التعليمي .

و – مشكلات عقلية : مثل تباين مستوي الذكاء بين الزوجين والضعف العقلي .

ى – مشكلات أخلاقية : مثل ارتكاب الفحشاء ، والقسوة في معاملة الزوجة أو الأبناء والتنكر للقيم الاجتماعية والأخلاقية في معاملتهم والتبرج ، وعدم الصدق والصراحة والإخلاص في العلاقات الزوجية ، ومن جانب الأبناء عدم الاهتمام بنصائح الوالدين وعدم احترامها والاستماع إلي قرناء السوء والانحراف والتشرد ، والتسول والمروق ، وارتكاب الجرائم .

تلك المشاكل الأسرية وأمثالها يجب أن تنال عنايتنا واهتمامنا كما يعنينا في ميدان الأسرة دراسة أسباب تفكك الأسر ، فملاُ ندرس اختلاف الثقافات والأعمال والأمزجة وأثر كل هذا في حياة الأفراد وفي حياة الأسرة ويجب أن يكون هدفنا الكامن وراء هذه الدراسة العمل علي مساعدة الأسر والأفراد علي إيقاظ قواهم الكامنة وتنمية قدراتهم الشخصية ليتمكنوا من القضاء علي الصعاب التي تعترض سعادتهم وليستقلوا بحل المشاكل التي

تؤثر تأثيراً سيئاً علي حياتهم هذا مع ضرورة الاهتمام بتقوية الروابط الأسرية وتدعيمها بشتى الوسائل .

ولقد أوضح (جورج مردوك) في دراسته عن البناء الاجتماعي الكلاسيكي أن للأسرة دورا أساسيا في معظم المجتمعات التقليدية قبل الصناعية ، حث تؤدى أربعة وظائف أساسية :

الوظيفة الأولي : هي تنظيم الأنشطة الجنسية . فلا يوجد مجتمع واحد يترك لأفراده حرة ممارسة السلوك الجنسي في أي وقت ومع من يريدون فبعض المجتمعات تضع حظرا صارما علي الالتقاء الجنسي قبل الزواج ، والبعض الآخر يفرض علي المرأة إظهار قدرتها علي الإنجاب قبل الزواج ، وكل المجتمعات تحرم سفاح القربي ، ولكن تختلف المجتمعات فيما بينهم في تحديد أفراد الأقارب الذين ينطبق عليهم ذلك .

الوظيفة الثانية : تنبع من الأولي وهي وظيفة الإنجاب فالأسرة تتحمل المسئولية الأولى في استبدال أفراد الأسرة الذين وافتهم المنية أو هاجروا ، وبذلك تساعد علي بقاء واستمرار المجتمع من جيل إلي جيل .

والوظيفة الثالثة : تتمثل في تنشئة الطفل علي عادات المجتمع فإنجاب الأطفال ليس كافيا ، ولكن يجب أن نقدم إليهم العناية البدنية وتدريبهم علي ادوار الكبار أيضا . ويقع تعليم اللغة علي عاتق الأسرة وكذلك القيم والعادات والمعتقدات والرموز المعبرة والمهارات السائدة في هذه الثقافة.

الوظيفة الرابعة : والأخيرة للأسرة فتتمثل في الوظيفة الاقتصادية فالأسرة مسئولة عن توفير الحاجات المادية للكبار والصغار من أفرادها (١١).

٦ – الدراسة النفسية الاجتماعية للأسرة :

الدراسة النفسية الاجتماعية للأسرة في أساسها دراسة نفسية لإحدى الجماعات الصغيرة الهامة وهنا تبدو السمة المميزة لتلك الجماعة الصغيرة في أن الرابطة التي تجمع بين أفرادها علاوة على صور التفاعل الأخرى – عبارة عن رابطة قوية من الحب وأن بعض أفرادها (وهم الأطفال) قد جاءوا من نسل أفراد آخرين في تلك الجماعة (وهم الوالدان) . ولذلك يمكن القول دون مغالاة أن العلاقات الأساسية داخل الأسرة تتم في الحقيقة علي المستوي العاطفي أساسا . فالطفل يكتسب الإحساس بالأمان إزاء نفسه وإزاء العالم وإزاء الأطفال والكبار المحيطين به من خلال إحساسه بالانتماء المأمون إلي جماعة صغيرة تخلع عليه هذا الإحساس بالأمن في صورته المباشرة .

ويمكن القول بأن احتياج الطفل إلي الأمن من الضخامة ، والشدة بحيث أنه يؤدي إلي خلق نوع من الإحساس السلبي بالملكية . فهم يشعرون أنهم بمثابة ملكية خاصة لبعض الكبار المحيطين بهم ، والذين تربطهم بهم طائفة من العلاقات الخاصة المتميزة في طبيعتها ويلعب هذا الأمن دورا هاما في التأثير علي استقرار وتوازن نمو الشخصية الفردية ، ولكن شرطه الأساسي – كما نعلم – أن يلقي قبولا من الوالدين .

وقد اهتم التحليل النفسي اهتماما خاصا بدراسة موضوع ارتباط الأطفال بالأب والأم اللذين يختلف دورهما عن بعضهما اختلافا كاملا [١٢].

أسئلة على الفصل السادس

١ – ما علاقة الحالة الاقتصادية بمشكلات الأسرة ! وضح بأمثلة

٢ – كيف تصنف المشكلات السرية ؟

٣– ما دور المرأة الوضع الاقتصادية للأسرة ؟



المراجع

١ – المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيـــة ، المـــسح الاجتمـــاعى الشامل للمجتمع المصرى ١٩٥٢ – ١٩٨٠ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٩.

٢ – علياء شكرى ، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة ، دار المعارف، ط٢ ، ١٩٨١ ، ص ص ١٨٢ – ١٨٣ .

٣ – سامية الساعاتى ، علم اجتماع المرأة : رؤية معاصرة لأهم قضاياها ، مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٥٥ – ١٥٦ .

٤ – المرجع السابق ، ص ص ١٥٤ – ١٥٧ .

٥ – السيد عبد العاطى وآخرون ، الأسرة والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨ ، ص ١٧ .

٦ – محمد عاطف غيث وآخرون ، مجالات علم الاجتماع المعاصر : أسس نظريات ودراسات واقعية دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ص ٦١٠ – ٦١١ .

٧ – حسن محمد حسن و السيد عبد العاطى وآخرون ، مرجع ســـابق ، ص ص ٤٧ – ٤٨ .

٨ – المرجع السابق ، ص ص ٤٦ – ٤٧ .

٩ – سامية محمد فهمى ، المشكلات الاجتماعية : منظـــور الممارســـة فـــى الرعاية والخدمة الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٠ ، ص ١١٦ .

١٠ – المرجع السابق ، ص ١١٧ .

١١ – غريب سيد أحمد وآخرون ، دراسات فى علم الاجتماع العائلى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥ ، ص ٢٧ .

١٢ – علياء شكرى ، مرجع سابق ، ص ١٨٧ .



الجزء الثاني

دراسات تطبيقية



يعرض هذا الجزء إلى عدد من الدراسات الميدانية التي تهم العائلـــة المصرية وشبابها وتناقش مشكلاتهم فى ضوء المتغيرات الدولية وهى كمـــا يلي :

الدراسة الأولى : سلوكيات الشباب فى ظل المتغيرات الدولية .

الدراسة الثانية : البطالة وأثرها على الأسرة .

الدراسة الثالثة : التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة.



الفصل السابع
سلوكيات الشباب
فى ظل المتغيرات الدولية
" دراسة ميدانية "*

* ألقى هذا البحث فى مؤتمرات " المجتمع المصرى إلى أين ؟ رؤية مستقبلية المجلس العلى للثقافة ، القاهرة، ١١-١٢ يونيه ،٢٠٠٧ .



مقدمة

يمثل الشباب جيل اجتماعي ثقافى له أهميته ويزيد من هذه الأهمية أنهم الأكثر تأثراً خاصة فى ظل المتغيرات الدولية وما أحدثته من تحولات اجتماعية واقتصادية على الصعيد العالمى جسدت ما أصبح يعرف بالعولمة أي عولمة نمط أو نوعية الحياة الكائنة وتأثيراتها على منظومة القيم الأخلاقية.

وأنه بغض النظر عن انتماء شريحة الشباب فى العالم الثالث لمجتمعاتها فإنه لفهم السلوك والتفاعلات الشبابية لابد أن نعطى اعتباراً للبعد العالمى . بمعنى وضع الظاهرة فى سياقها الكلى والتعامل معها كنتيجة لعدد من المقدمات وليست كشئ معطً . ذلك لأن سلوك الشباب هو فى حد ذاته نتاج لعوامل بنائية أكبر رغم أن النظرة السطحية الجزئية تنظر إلى سلوك الشاب على أنه سلوك فردى يرتبط بالموقف أو الشاب ذاته إلا أن نتائج الدراسات تشير إلى ارتباطه بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي وبالبطالة وعدم إشباع الحاجات الأساسية ومستوى التعليم المنخفض ... إلخ .

والشباب أكثر عرضه لتأثيرات العولمة الاقتصادية والثقافية التى تكشف لهم عن حياة شباب آخرين وتدفع بهم نحو المقارنات . وتحديد موقعهم وموقفهم من تلك التأثيرات بين تبنى ما يفد إليهم أو الاكتفاء بموقف المتفرج . وبين التشبث بموقف المحافظة الرافضة . وهذا ما يجعل البعض يقابل سلوكيات الشباب فى عصرنا هذا بالإنكار أو الاستنكار وهما موقفان غير مقبولين إزاء ما نواجهه فى ظل العولمة ويستوى معهما موقف الاندفاع والهرولة للحاق بالركب دون فهم حقيقة ما يجــرى وهذا ما يعــبر عنه شريحة من الشباب فى بعض سلوكياتهم اليومية (خليك كوول ......) .

هدف البحث

يهدف البحث إلى استطلاع مظاهر ومواقف السلوك التى يأتى بها الشباب فى تفاعلاتهم الحياتية بالتركيز على طلاب الجامعة فى محاولة لتحديد دور المتغيرات الدولية على منظومة القيم الأخلاقية.

الإطار النظرى للبحث

تذهب المادية التاريخية إلى أن وعى الناس يتحدد بوجودهم وأن الوعى ليس انعكاسا ميكانيكيا لهذا الوجود وأنه لا يتطابق أحيانا مع وجود الناس بسبب وجود عوامل أو أساليب أخرى تتدخل للتأثير فى العلاقة بين الوجود والوعى الاجتماعيين وهى ما تعرف بأساليب تشكيل الوعى .

ولفهم خصائص وعى شريحة الشباب وسلوكياتهم نطرح عدداً من التساؤلات تساعد على الإجابة عما إذا كان الوعى فردياً أو جماعياً ، آنيا لحظياً أم تاريخيا مستقبليا . وهل تعكس الممارسات ما يسمى بالنضال السلبى مثل الانسحاب من المواقف أو الهجرة وهل يأخذ صيغاً وأشكالاً جماعية أم فردية (١) .

والسؤال المطروح هل هناك فى البلد الواحد أنماط حياة مختلفة تبعاً لاختلاف الطبقات والجماعات الاجتماعية ؟ والإجابة على هذا السؤال تتطلب الإشارة أولاً إلى تباين نمط الحياة أو الوجود (*) . الاجتماعى فى التشكيلة ذاتها وفى البلد ذاته ولدى الفئات نفسها من السكان وذلك فى مراحل مختلفة لتطور هذه التشكيلة ليس بمعنى أن دراسة نمط الوجود الاجتماعى يتطلب أن نأخذ فى الحسبان عدداً كبيراً من العوامل المتباينة (٢) . بالإضافة إلى أنه ينبغى أن ندرسه فى ضوء علِّيه تاريخية اجتماعية لكى تستمر الأنماط الداخلية فى الوجود لذا فإنه بغض النظر عن كيفية إدراك الفرد لموقعه وموقفه (وجوده) فإن هناك ضغوطاً تؤثر عليه ، تنشأ من حقيقة الموضوعية

والتى يجب أن تتفق معها بطريقة أو بأخرى المعانى التى يضفيها عليها والتى تتفاعل معها (٣) .

وإن العلاقات الاجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالقوى المنتجة وأن الناس باكتسابهم لقوى جديدة يغيرون أسلوب إنتاجهم ومع تغير أسلوب الإنتاج أسلوب ضمان حياتهم فإنهم يغيرون علاقاتهم الاجتماعية بأسرها وبالتالى تتغير أنماط الوجود الاجتماعى والتى تشتمل على عدد من المستويات الأول : المستوى التفسيرى العام ، الذى يتحدد بالخصائص العامة للتكوين الاقتصادى الاجتماعى وهى خصائص يلعب الدور البارز فيها أسلوب الإنتاج بعد تشخيصه فى كل مرحلة من المراحل التى نركز عليها . والثانى : هو المستوى التفسيرى الوسيط ، وهو مستوى البنية الطبقية فى كل مرحلة تاريخية محددة . وأخيراً مستوى الفرد الاجتماعى : والذى يتحدد خصائصه فى ملكيته أو عمله أو كليهما بالإضافة إلى مجمل خصائصه الأخرى.

إن الوجود مقولة فلسفية تحدد الحقيقة الموضوعية المحسوسة والتى يدركها الإنسان من خلال أحاسيسه ويعنى هذا أن فهم مجتمع ما يتطلب منا التعرف على طرق حياة الناس فيه وأساليب معيشتهم لا على الأفكار التى يكونونها لأنفسهم عن حياتهم وهذا ما جعل " لينين " يلاحظ أنه عندما نغتسل بحمام ماء دافئ فإننا نشعر بإحساس الدفء . مما يؤكد ان الوعى مشروط بالوجود بل أنه لا يمكن أن يكون شيئاً آخر غير الوجود الذى تم وعيه .

العولمة فى سياق النظرية الاجتماعية المعاصرة لقد بدأ منظروا علم الاجتماع منذ منتصف عقد الثمانينات بالاهتمام بوضع مفهوم واضح ومحدد للعولمة . وقد كانت نقاط الخلاف الأساسية التى تعوق وضع مثل هذا

التعريف هيطبيعة العوامل المسببة للعولمة واختلاف المنظرين فى توجهاتهم وأيدلوجياتهم وطبيعة ميلهم أو نفورهم من موضوع العولمة كفلسفة . وبالرغم من ذلك كله ، فقد بدأ حدوث الإجماع حول الأسس العامة التى يقوم عليها مفهوم العولمة والتى أصبحت تشكل نمط الحياة والسلوك اليومى .

أ - يحاول المحللون المعاصرون ربط العولمة بالانفتاحية وعدم ارتباطها بحدود حيث يتنامى فى هذا السياق العديد من النشاطات الاجتماعية بغض النظر عن الموقع الجغرافى للمشاركين فالأحداث العالمية كما يلاحظ " Jan Aurt scholte " يمكن لها فى ظل تكنولوجيا الاتصالات والحواسب الآلية والانترنت أن تحدث فى وقت متزامن تقريباً فى أى مكان فى العالم وتشير العولمة إلى زيادة إحتمالية حدوث الفعل بين الأفراد بغض النظر عن حدود المكان والزمان .

ب - ينظر المنظرون الجدد للعولمة فى ظل ارتباطها بنمو الترابط والتداخل الاجتماعى عبر الحدود الجغرافية والسياسية الموجودة . وفى ظل تلك النظرة ، تعتبر الانفتاحية هى الوجه الوقح للعولمة . ومع هذا فقد يؤدى ذلك إلى بعض التضليل ، ففى حين أن غالبية النشاطات الإنسانية لازالت مرتبطة بالموقع الجغرافى المحدود ، فإن الأحداث العالمية تعبر هذه الحدود وتؤثر على تلك النشاطات .

جـ - لابد أن تتضمن العولمة كذلك مرجعية إلى تسارع النشاط الاجتماعى . فالانفتاحية والترابط يعتبر افراغات فى طبعيتهما . ومع هذه فيمكن بسهولة ملاحظة كيفية ارتباط هذه التحولات الفراغية بتسارع نمو الأشكال الفجة للنشاط الاجتماعى . فكما لاحظنا نجد أن السرعة الشديدة لوسائل المواصلات وتقدم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات كانت كلها من

العوامل التى عززت من عبور الحدود وعدم الوقوف على مواقع جغرافية معينة .

د – بالرغم من اختلاف المحللين حول القوى الدافعة للعولمة ، فإن أغلبهم يتفق على أنه يجب النظر للعولمة نسبياً كعملية طويلة المدى . فعمليات الانفتاح والترابط وتسارع النشاطات الاجتماعية نادراً ما تحدث بشكل فجائى فى الحياة الاجتماعية المعاصرة . بل لابد من مقدمات طويلة ومؤشرات واضحة حتى يتسنى حدوثها . وعلى هذا فإن العولمة بمثابة ملمح بنائى للعالم الحديث وعليه نجد التاريخ الحديث يحوى العديد من الأمثلة الدالة على العولمة .

هـــ – لابد من فهم العولمة " كعملية تعددية ممتدة " حيث أن الانفتاح والترابط الاجتماعى وتسارع النشاطات الاجتماعية لا يمكن حصرها فى معترك واحد من أوجه النشاط الاجتماعى بل نجدها تتخذ أشكال اقتصادية وثقافية وسياسية . فبالرغم من أن كل وجه للعولمة يرتبط بالمكونات الأساسية سالفة الذكر للعولمة ، فإن كل وجه يتألف من سلسلة معقدة ومستقلة نسبياً من التطورات التجريبية الإمبريقية ويستوجب الفحص الواعى حتى يتسنى الوقوف على الميكانيكيات المحددة المسببة له [٤] .

فى منهجية الدراسة الميدانية وتساؤلاتها

يأتى نمط البحث استطلاعى تفسيرى لأنه يتناسب مع الظاهرة موضوع البحث وذلك بالاعتماد على بيانات جاهزة وأخرى ميدانية . والتى تتضمن سلوكيات الشباب ورؤاهم حول قضايا تطرحها العولمة كالنظرة إلى العمل والمرأة (الزواج) وعلاقة الأبناء بالآباء واللغة المستخدمة فى التفاعلات اليومية مما انعكس على منظومة القيم . إذ أصبحت الثقافات

الفرعية المنحرفة أمراً سائداً وخاصة بين الشباب كما أن النماذج القديمة للسلوك لم تعد تتمتع بالمصداقية . والحياة السهلة وفى المقابل يؤدى تفاوت مستوى الإشباع إلى حالات من الضغط والتى غالبا ما ينجم عنها سلوكيات يمكن وصفها بالغريبة من حيث أسلوب التفكير وطريقة اللبس والنظرة للمستقبل . فى ظل تحطم قيم الحياة الايجابية وعدم وجود إطار قيمى وأخلاقى للشباب يذكى ذلك توافر النماذج السلبية السائدة التى يوفرها مناخ الوسائط الإعلامية فى ظل المتغيرات الدولية .

من خلال هذه الإشكالية يطرح البحث التساؤل التالى :-

ما سلوكيات الشباب فى ضوء محاولة عولمة نمط الحياة ؟

وسيتم الإجابة على هذا التساؤل من خلال عرض لرؤية الشباب للمتغيرات الدولية ومنظماتها وانعكاساتها على جيل الشباب وسلوكياتهم ونظرتهم لواقعهم ، وتغيير اتجاهاتهم بالتركيز على طبيعة العمل فى العملية الإنتاجية وأسلوب تكوين الأسرة والعلاقة بالوالدين ونمط وأخلاقيات التعامل فى حياتهم اليومية ، وتصورهم للمستقبل فى ظل سقوط كافة الحواجز بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتى تمثل تحديات تواجه جميع دول العالم .

وأخذنا عدد من دراسات الحالة الميدانية بلغت عشرون حالة من طلاب كلية الآداب – جامعة المنصورة – مصر من الجنسين بطريقة عشوائية وذلك خلال شهر ابريل ٢٠٠٦ باستخدام دليل للمقابلة شمل عدة محاور هى : دور العولمة فى تشكيل أو إعادة تشكيل فكر الشباب بالنسبة لبعض القضايا مثل (العمل – الزواج – لغة الحوار اليومى وأخلاقياته)

وانعكاس كل ذلك على المجتمع وهويته واستقراره وكذلك الحلول المقترحة والرؤى المستقبلية.

واعتمدنا على المقابلة كوسيلة لجمع البيانات وكذلك مناقشات حرة وحوارات مع عدد من طلابى بالجامعة وتتمثل خصائص العينة فى أنهم طلاب من الجنسين ومازالو يدرسون تترواح اعمارهم ما بين ١٨ – ٢٢ عاما .

وفيما يلى نعرض للمحاور التالية :-

أولاً : الأخلاق وتشكيل السلوك .

ثانياً : العولمة وخلقها العالمى .

ثالثاً : نتائج الدراسة الميدانية .

أهم التوصيات

أولاً : الأخلاق وتشكيل السلوك

وفيها نناقش ثلاث قضايا وهى ثقافة العولمة ، ومرجعيات السلوك ، الشباب ونمط الحياة .

١ – ثقافة العولمة

يشير " محمود أمين العالم " إلى أن لكل إنسان ثقافته التى تتمثل فى رؤيته الفكرية للعالم ، وسلوكه العملى والاجتماعى والوجدانى فيه ، سواء كان واعياً بهذا أو غير واع وهذه الرؤية الثقافية التى تتجسد فى تصوراته وفى سلوكه العملى ومواقفه الاجتماعية رغم طابعها الشخصى الذاتى ليست مجرد رؤية شخصية ذاتية صنعها الانسان لنفسه بنفسه ، مهما كانت عبقريته الفردية ، أو مهما كانت مشاركته الإبداعية فى اغنائها ، وإنما قد امتص هذه الثقافة من الحقل المعرفى الاجتماعى الذى يعيشه ، فضلا عن موقعه

الاجتماعى وممارساته وخبراته الحياتية فى مجتمعه الخاص وعصره عامة[٥].

والفكر جانب من الثقافة الذى يتعلق بما يطلق عليه " مانهايم " الإطار المرجعى من قيم ومعايير وأساليب فى التفكير وفى إصدار أحكام تتجاوز الواقع المعاش ، وأن أحد تجليات الإطار المرجعى هذا ما يطلق عليه "تشومسكى" حدود الفكر الممكن التفكير فيه ، فالمناخ الثقافى العام السائد الآن ، والأثر الطاغى لوسائل الإعلام والقيود التى تفرضها الطريقة التي نفكر بها أحيانا ، لا تحدد ما نستطيع أن نفكر فيه ونؤمن به فى ظل التغيرات الدولية أو ما أشار إليه "توماس كون " إلى مفهوم البرادايمParadigmatic shift[٦].

وتمثل التكنولوجيا على مدى التاريخ محركا أساسيا للتغيير الثقافى والحضارى وإفرازا له فى الوقت نفسه ، إلا أن تكنولوجيا المعلومات هى التى جعلت من الثقافة صناعة قائمة بذاتها لها مرافقها وسلعها وخدماتها ، وأضافت إلى قاموس الثقافة مفاهيم جديدة مثل : صناعة الأخلاق ، أمية الكمبيوتر ، الطبقة المعلوماتية ، الرأسمالية الفكرية .... الخ [٧] .

فما المقصود بثقافة العولمة ؟ لا تعنى ثقافة العولمة الشركات العالمية عابرة القارات ، بل إنها خريج جديد فى المدرسة الإنسانية له مهمة فى غاية الإثارة والأهمية وهى الكشف عن المشكلات والعمليات العالمية من منظور إنسانى . وسيتم إعداد التلاميذ فى ظل تلك الثقافة العالمية السائدة للقيام بما يضطلع به المتخصصين بعد تخرجهم مثل العمل فى إدارة الأعمال ، والقانون ، أو التعليم ، والسياسة العامة ، المجالات الأكاديمية والطباعة والتليفزيون والإعلام. كما سيكون خريجى هذه الثقافة الإنسانية العالمية أكثر تخصصاً فى مجالات الخدمات الخارجية والأعمال الدولية خاصة فى

المجالات التى تستلزم قدراً عالياً من التحليل والحكم والقدرة على النقاش والجدل والحوار . كما تعمل هذه الثقافة العالمية على تزويد التلاميذ بمعرفة وفهم مدي تعقد وتنوع هذا العالم الذى يحيون تحت مظلته . وعلى هذا ، فإن خريجى تلك الثقافة العالمية الجديدة حساسين حيال التحديات والفرص التى يعرضها المجتمع متعدد الثقافات الذين هم جانب منه (٨) .

٢ – مرجعيات السلوك

السلوك الانسانى هو ترجمة حقيقية للفلسفة الأخلاقية. وقد بدأ التفكير الأخلاقى عند جمهرة فلاسفة اليونان منذ القدم . إذا انصرفت الفلسفة عن دراسة العالم الخارجى إلى البحث فى الانسان وسلوكه ، فوضع السوفسطائية نظريتهم الأبستمولوجية التى أقرت الفرد مقياسا للأشياء ، فأصبحت الحقائق وليدة الاحساسات والانطباعات الذاتية ، ومن ثم بطل القول بوجود حقيقة موضوعية ثابتة مستقلة عن الفرد وظروفه ، وتعددت الحقائق الجزئية بتعدد مدركيها والحالات التى تطرأ عليهم ... ثم مد السوفسطائية نظريتهم الأبستمولوجية إلى مجال الأخلاق فكان الفرد مقياس الخير والشر ، ومن ثم بطل القول بوجود مبادئ خلقية موضوعية مطلقة وأضحت قيم الأخلاق ومبادئها ذاتية نسبية متغيرة .

وجاء سقراط فرفض نظريتهم الأبستمولوجية والأخلاقية ورد الحقائق إلى العقل وانتهى من هذا إلى إقرار الحقائق الثابتة المطلقة فى مجال المعرفة . ثم طبق نظريته الأبستمولوجية فى مجال الأخلاق ، فإنتهى إلى القول بوجود قيم موضوعية مطلقة لا تختلف بإختلاف الزمان والمكان ، ولاتتغير بتغير الظروف والأحوال .

واستمر الوضع على هذا النحو عند أكثر الفلاسفة فى عصورنا الحديثة ، فإذا كان الحسيون من الوضعيين والطبيعيين ومن إليهم يقفون فى تفسير الوجود والمعرفة عند التجربة دون أن يتجاوزوها إلى ماوراءها من حقائق ، فهم فى مجال الأخلاق يرجعون – فى العادة – القيم والمبادئ بدورها إلى التجربة دون العقل ، ولما كانت التجربة تعبر عما هو كائن فى حالة معينة ، ترتب على منطقهم أن تكون قيم الأخلاق ومبادئها جزئية نسبية متغيرة ، وليست كلية مطلقة ثابتة ، أما (المثاليون) العقليون فإنهم يتجاوزون فى تفسيرهم للوجود والمعرفة عالم التجربة إلى عالم الحقائق التى تقوم وراءها ، ويرون فى مجال الأخلاق أن القيم صفات عينية تقوم فى طبائع الأفعال ، ومن ثم كانت ثابتة موضوعية مطلقة [٩] .

وذهب البعض إلى جعل الأخلاق فرعا من علم الاجتماع إستناداً إلى أن مبادئ الأخلاق تصبح غير ذات موضوع متى عاش الإنسان فى عزلة عن غيره من الناس ومن أجل هذا ارتبط الخير الأقصى غاية لسلوك الإنسان، بنوع العلاقات الإجتماعية التى تقوم بين أفراد المجموع بعضهم والبعض الآخر ، وبدت هذه الوجهة من النظر عند أتباع النفعية والتطورية بوجه عام، وتبلورت عند دعاة المذهب الوصفى ممن نقلوا البحث الخلقى من دراسة السلوك الإنسانى بما هو كذلك ، إلى دراسة العادات والظواهر الخلقية مقيدة بزمانها ومكانها دراسة موضوعية تقوم على مناهج استقرائية خالصة[١٠] .

كما أن الكثير من الأنماط السلوكية التى يصدرها الفرد وهو بصدد التعامل مع المواقف الاجتماعية المختلفة ، إنما تقف كدالة لما حددته الثقافة على أنه أسلوب مرغوب فيه أكثر من أنها دالة لما يتمثله الأفراد من قيم

يرونها جديرة باهتمامهم . فالاستجابة التفضيلية لا تحدث فى فراغ ، ولكنها توجد فى سياق اجتماعى معين ويجب فهم هذه الاستجابة فى ضوء السياق الذى توجد فيه . فالسلوك محصله للتفاعل بين اتجاهين ، أحدهما نحو الموضوع والثانى نحو الموقف . فالفعل أو السلوك لا يتحدد فقط بواسطة الاتجاهات أو القيم ولكن إلى جانب ذلك توجد الحاجات والظروف الموقفية ، ونتيجة لذلك حاول بعض الباحثين التعامل مع القيم من خلال كل من الاتجاهات والسلوك معا على أساس أن الاتجاهات والسلوك أو الفعل هما محصلة نهائية لتوجهات القيم [١١] .

وتأتى محاولات تفسير السلوك الانسانى إلى البيولوجية–الاجتماعية(Socio–Biology) ومن الصعب الآن فهم علم الأحياء التطوري من دون الاستفادة من تفسيرات فى علم النفس التطورى ، ومن علوم الأعصاب (النيوروساينس) فى فهم ظواهر مثل أساليب الفهم وتأثير اكتساب اللغة فى المعرفة والتفكير [١٢] .

٣ – الشباب ونمط الحياة

يمثل اكتساب المهارات الجديدة أمراً ضرورياً وحيوياً فى ظل التعامل مع التحولات التى أحدثتها المتغيرات الدولية فى الاتجاهات الاجتماعية ونمط الحياة والمشكلات اليومية [١٣]. والثقافة الإنسانية دائماً بما فى ذلك اللغة تؤدى دوراً حاسماً فى الطريقة التى نفهم بها الأشياء ونصدر فيها الأحكام ونكون فيها القيم ويذهب " برونو لاتور " إلى أن ثقافة ماقبل الحديثة كانت تجمع الأشياء الطبيعية والاجتماعية فى عالم واحد [١٤] .

والشباب أكثر عرضة بالتأكيد من جيل الآباء للتأثيرات الوافدة من الخارج ونعنى بذلك تأثيرات العولمة الاقتصادية والثقافية ، التى تكشف لهم

عن حياة شباب آخرين ، وتدفع بهم نحو المقارنات ، وتختصر المسافات بقدر ما تعمق التمايزات والفوارق وتكدس الثروات فى أيدى القلة . ويتراوح احتكاك الشباب بهذه التأثيرات ، تبعاً لوسائل الاتصال المتاحة لهم ، فما يسمى بالفجوة الرقمية digital Divide والتى لا تقع بين المجتمعات فحسب وإنما داخلها أيضا ويتراوح كذلك موقف الشباب من تلك التأثيرات ، بين تبنى ما يفد إليهم أو الاكتفاء بموقف المتفرج ، وبين التشبث بموقف المحافظة الرافضة الذى لا يعد اتباعاً لتقاليد الآباء ، بقدر ما هو إعادة ابتداع لها ، على نحو يتحدى ثنائية الحداثة / التقليد ؛ فالعولمة تعمق من التمايزات بين الشباب وإن ترتبت عليها تأثيرات محلية غير مقصودة ، ولا يخضع الشباب لها ولا هم بالضرورة ضحاياها السلبيون وإنما تتوافر لهم قدرات متفاوتة على التفاوض وعلى إدماج العناصر الوافدة ضمن شفرة محلية (١٥) .

تؤكد ذلك نتائج بحث ميدانى أجرى على عينة من ٢١٧ طالب فقير من جامعة Ningxia بالصين عام ٢٠٠٣ وجاءت النتائج أن العديد من طلاب الجامعة يشعرون بالتبعية والاكتئاب والفقر فى ظل النظام العالمى الجديد وأن ٥٦% وصفوا حياتهم على أنها غير سعيدة وأن ٥٢% يشعرون بالقلق فى ظل نمط الحياة المادى السريع (١٦) .

وهذا ما جعل "هيدجر" يصفها " أنها التكنولوجيا المصابة بداء الحصاد " لذا نتساءل : هل ينذر عصر المعلومات بطوبائية رأسمالية سوداء، أم يبشر بعالم يعاد بناؤه من جديد ، على أسس أخلاقية مغايرة ، ترفض الوضعية العلمية وصلفها الفكرى ، وترفض البراجماتية ونفعيتها القصيرة النظر ، وترفض ذاتية ما بعد الحداثة وقد اقتربت – فى رأى البعض – من حد الفوضى التى يمكن أن تؤدى بنا إلى الهلاك (١٧) .

ان النقطة التى تجدر الاشارة إليها هى ضرورة وعى التفاعلات المحتملة بين الاتجاهات العالمية وبين الاتجاهات الوطنية والاقليمية . فالاولويات والاهداف قد لا تتطابق تماما . ففى عصر العولمة ، يكون التداخل المعرفى شديداً إلى درجة يكون الفصل الجغرافى بين ما هو داخلى وما هو خارجى غير صالح تماما . كما تزداد الشراكات والتمويل بين مؤسسات البحث الوطنية والدولية . وبالتالى تزداد أهمية تحديد أهداف وطنية واضحة ، بحيث تستجيب دراسة أوضاع الشباب فى البلد أو المنطقة المعنية، لأهداف وأولويات حقيقية نابعة من حاجات المجتمع وواقعه .

ان حصول مثل هذا التباين هو احتمال واقعى . فقد جاء فى مقدمة الفصل الأول من المسح القومى حول النشئ فى مصر : " وقد تبين ان الافتراضات السائدة محليا حول النشئ لم تكن تتمشى مع الحقائق الجديدة . على سبيل المثال ، فى حين اهتم العديد من الباحثين ووكالات التنمية بتأثيرات الزواج المبكر على الفتيات ، فإن البيانات المتوفرة اظهرت تراجع هذه الظاهرة بسرعة كبيرة نسبياً وفى حين واجه عدد متزايد من الشباب فى الوقت نفسه مشكلة الزواج المتأخر ، والتي تفاقمت بسبب ارتفاع تكلفة الاسكان والبطالة بين الخريجين ، فقد أهملت الأدبيات هذا الوضع الخاص كما أهملته غالبية الهيئات المعنية بقضايا الشباب . فى غضون ذلك ، لم توفر الأدبيات الدولية سوى القليل من النماذج المفيدة بالنسبة للتفكير حول واقع النشئ المصرى . وركزت أغلب الأدبيات على قضايا السلوك الجنسى ، والحمل خارج اطار الزواج ، والتعرض للامراض التى تنتقل عبر الاتصال الجنسى . وفضلا عن أن تلك القضايا كانت غير ملائمة للمناخ المحـــافظ فى مصـــر ، فقد بدا أيضا أن الادبيات تغفل العديد من الجوانب المهمة لحياة

النشئ والتى تؤدى إما إلى الحـــرمان أو إلى تحسين الفرص فى المستقبل ، مثـــل ترك المـــدرسة ، وشغل الأدوار المتصلة بالعمل ، ودخول الحياة الزوجية ... إلخ (١٨) .

ثانياً : العولمة وخلقها العالمى :

وفيها نعرض للعولمة كمفهوم ، التوحد العالمى ، عنف العولمة .

١ – العولمة كمفهوم

لا يمكن وضع مفهوم العولمة تحت مظلة فرع منفرد من العلوم الاجتماعية . فهى ليست نظرية مطولة وكاملة ، لكن قيمتها للعلوم الإجتماعية تتأتى من حقيقة أنها تثير الاهتمام بتلك العمليات التى تحاول جعل العالم مكان واحد أو قـــرية صغيرة (ما صار يعرف بالنظام العالمى) .

وتعد دراسة العولمة جزءاً من الإدراك الاجتماعى العلمى الأوسع بأن الوحدات التقليدية ومستويات التحليل الفردية والمحلية والمجتمعية والقومية والدولية ليست نطاقات أو جزر منعزلة عن بعضها البعض . وعلى هذا يمكن النظر للنظام العالمى على أنه نظام ينجم عن ترابط وتداخل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية ويتم ادراكه والتعرف عليه عبر الممارسات الهامة للفاعلين الاساسيين فى تعاطيهم مع قوى العولمة . ويكمن المعنى الأعمق للعولمة ، الذى يعبر عنه " Alain Benoisty " فى هذا الفهم ويكون ظهوره ممكناً فقط من خلال الإدراك الواعى لكل النماذج المحددة (١٩) .

هذا وقد ساهمت ثلاثة عوامل فى الاهتمام بمفهوم العولمة فى الفكر والنظرية، وفى الخطاب السياسى الدولى :

أ – عولمة رأس المال أى تزايد الترابط والاتصال بين الاسواق المختلفة حتى وصلت إلى حالة أقرب إلى السوق العالمى الكبير ، خاصة مع نمو البورصات العالمية .

ب – التطور الهائل فى تكنولوجيا الاتصال والانتقال والذى قلل – إلى حد كبير – من أثر المسافة ، وانتشار أدوات جديدة للتواصل بين أعداد أكبر من الناس كما فى شبكة الإنترنت .

جـ – عولمة الثقافة وتزايد الصلات غير الحكومية والتنسيق بين المصالح المختلفة للأفراد والجماعات ، فيما يسمى الشبكات الدولية Networking حيث برز التعاون استناداً للمصالح المشتركة بين الجماعات عبر القومية ، مما أفرز تحالفات بين القوى الاجتماعية على المستوى الدولى، خاصة فى المجالات النافعة مثل : الحفاظ على البيئة ، أو فى المجالات غير القانونية كتنظيف الأموال والمافيا الدولية للسلاح .

وفى الواقع فإنه على الرغم من ترحيب دعاة العولمة بزوال الحدود القومية ودعوتهم لإنهاء الدولة القومية ، والحد من الإغراق فى الخصوصية الثقافية والمحلية ، لكن الواقع الحالى يثبت وجود قوتين متعارضتين : التوحد والتجزؤ (٢٠) .

تُعرف العولمة على أنها التكامل العالمى للمجتمعات والنظم الاقتصادية والتى تؤثر على العديد من أوجه حياة الشباب . فللشباب علاقة غامضة بالعالم المتعولم (الكونى) اقتصادياً وثقافياً . فمن ناحية ، نجدهم الأكثر مرونة وربما يكون الأقدر على التكيف والاستفادة من الفرص الجديدة المتوفرة . فهم الجيل المتعلم الذى عاصر التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والذى استفاد من النمو الاقتصادى والرحلات العديدة للعمل حول العالم

والدراسات وتبادل المشروعات وظهور الهواتف والإنترنت الذى مكنهم من البقاء على تواصل مع أصدقائهم وأقاربهم بالخارج . ومن ناحية أخرى ، فإن العديد من الشباب ، خاصة فى الدول النامية ، قد تُركوا معزولين عن حركة الحداثة تلك ولم تتوفر لهم القوة الاقتصادية التى تمكنهم الإفادة من فرص العولمة . وهناك أربعة آثار رئيسية للعولمة تؤثر على حياة الشباب بشكل أساسى وهى : توزيع فرص العمل والهجرة وثقافة الشباب الاستهلاكية والمواطنة العالمية وتفعيلها (٢١) .

٢ – حلم التوحد على الرغم من التنوع .

" العالم إما كل واحد وإما لاشئ " هذه مقوله لألبرت آينشتين . ربما ألهمه إياها حلمه بنظرية عامة جامعة عن المجال الموحد . وعلى مايبدو فان العولمة قد آمنت بمقولة آينشتين هذه ، فهى تنظر إلى شعوب العالم من منظور وحدة الجنس البشرى بصورة تتجاوز " النسبية " الثقافية ، سواء العقائدية أو القيمية أو اللغوية بناء على ذلك ، كان على العولمة لكى تحقق حلم التوحد الانسانى هذا أن تسعى إلى إقامة نوع من الخلق العالمى أو أخلاقيات الحد الأدنى التى تشترك فيها ثقافات العالم أجمع وهم لا يرون فى ذلك الخلق العالمى .

تناقضا مع الخصوصية الثقافية والهوية الحضارية لشعوب العالم . سندهم فى ذلك أن هذا الخلق العالمى يقوم على مبادئ انسانية عامة . ومن هنا لا يجوز أن يترك أمر هذه المبادئ رهنا بالنسبية الثقافية . بل يجب فرضها من خلال المنظمات الدولية ، ومواثيق حقوق الانسان العالمية . والأمل معقود على تكنولوجيا المعلومات ، كى توفر الوسائل العملية لحوار مثمر بين ثقافات العالم ، وذلك بهدف تقريب وجهات النظر ، بغية تحديد

مضمون هذا الميثاق الأخلاقى العالمى الجديد . ميثاق عصر ثقافة المعلومات، الذى سيحقق – فى رأيهم – السلام والسعادة للجميع ، ويؤلف بين قلوب البشر على اختلاف أجناسهم وثقافاتهم (٢٢) .

ويواجه هؤلاء الشباب يوميا سيلا من الرسائل الإعلامية – المنافس الحقيقى للمؤسسة التعليمية – التى تتوجه إليهم بوصفهم " جماعة مستهلكة " لمختلف السلع المادية والثقافية "الشبابية" التى تصنع فى مجملها مظهراً ونمط حياة ، والتى وإن كانت تخاطب ذوى القدرة الشرائية المرتفعة من الشباب ، إلا أنها سرعان ما تتجلى فى "طبعات شعبية" من ذات السلع ، لذوى الدخول المحدودة . وهكذا فإن خصخصة المكان وإغلاقة على القادرين (من الشواطئ إلى الجامعات) يكافئها تعميم لبعض المفردات الثقافية (من لغة الشباب إلى الأغنية) . على أن رصيد مضمون الرسائل الإعلامية ، ثقافية كانت أو استهلاكية ، لا يغنى عن محاولة التعرف على استقبالات الشباب لهذه الرسائل . وفى ذات الإطار يتوافر لهؤلاء الشباب من وسائل التسرية وقضاء أوقات الفراغ مالم يكن متاحا لآبائهم ، وإن كان العديد منها يقترن بالقدرة المادية ؛ وبقدر ما تتوفر هذه الوسائل ، فهى تكون أحيانا سبلا للولوج إلى المجال العام، أو لتكوين عالم خاص كثيراً ما لا يملك الكبار مفاتيحه . وما بين الرسائل التى تتحدث بلغة الشباب وبين مختلف وسائل التسرية التى تجيد مخاطبتهم ، غالبا ماتسقط سهوا حملات التوعية ذات الطابع الخطابى والأخلاقى ، ذلك رغم أن أوقات وأنشطة التسرية هى من المفترض أنها مدخل لإيصال رسائل هادفة وإن كانت غير متجهمة تعبر أو لا عن احترام موجهيها للشباب (٢٣) .

وعلى صعيد عمليات الاتصال بين أرجاء المعمورة ، فإن تكنولوجيا الاتصال قد قللت إلى حد كبير من تأثير المسافات بين الدول ، وازدياد التفاعل بين الأشخاص والثقافات – بعبارة أخرى : حوار الحضارات ، مما قاد إلى تكوين ثقافة عالمية جديدة يستغربها الذين اعتادوا على ثنائية " الذات والآخر " فهناك دعوة للاندماج تبرز فى مدارس الفن والفلسفة ، وحوارات على كافة الأصعدة الحضارية والدينية . ويركز المتوجسون من العولمة على الروح الاستهلاكية العالية التى تواكب هذه المرحلة ، والتى تتضح فيما يسمى ثورة التطلعات ، وانتشار النمط الاستهلاكى الترفى بين الأغنياء أو الحلم به وتمنيه بين الفقراء .

وتنطوى العولمة على درجة عالية من العلمنة – أى تغليب المادية والحياة العاجلة على أية قيم مطلقة ، فعلى سبيل المثال : تعامل ثقافة الإعلام فى ظل العولمة مع المرأة طبقاً لرؤية نفعية ، يكون فيها جسد المرأة أداة لتعظيم المنفعة المادية ، فمن ناحية تعتبر المرأة سلعة يمكن تسويقها – من خلال العروض التلفزيونية والإعلانات – عالمياً ، ومن ناحية أخرى تعتبر هدفاً لتسويق سلع استهلاكية كمستحضرات التجميل والأزياء – وتتجلى هذه الرؤية فى أشكال شتى منها مسابقات ملكات الجمال .

وعلى الرغم من انتشار مفهوم العولمة ، فإن العالم يفتقر إلى وجود وعى عالمى أى إدراك الأفراد لهويتهم الكونية أكثر من الهويات المحلية . فواقعياً ، لازالت الهويات المحلية تتصارع مع تلك الهوية العالمية التى تهيمن عليها القوى الكبرى اقتصاديا وحياتياً (نموذج الأمركة) ، فعلى سبيل المثال بينما تتحد الدول فى وحدات إقليمية كبيرة فإن التواصل بينها مفتقد ، وبينما تتسارع العولمة الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية سعياً وراء تقليل

فوارق المسافة ، تخلق السياسة العديد من الفجوات بين الدول . وتعبر هذه السلوكيات عن جدلية إدراك الإنسان لدوره ككائن اجتماعى من ناحية ، وكفرد يتصارع عالمياً سعياً وراء مكانة خاصة (٢٤) .

لقد حذر " غاندى " منذ عقود من سياسة بلا مبادئ وتجارة بلا أخلاق وثروة بلا عمل وتعليم بلا تربية وعلم بلا ضمير وعبادة بلا تضحية وهانحن فى عصر العولمة وخمس بالغينا من الأميين ، ونصف صغارنا محرومون من المدارس وأربعة أخماس عمالتنا مهددة بالبطالة، ولم تعد تنطلى على أحد تلك الوعود المسرفة والتى لا هدف من ورائها إلا أن يتحمل البؤساء والضعفاء مــزيداً من البــؤس والقهر انتظاراً لغد ذهبى قادم لا محالة ، ما إن تتحقق الفروض (٢٥) .

<u>٣ – عنف العولمة</u>

العولمة – وليدة رأسمالية قامت – أصلاً – على الاستغلال وتدمير البيئة وعدم العدالة فى توزيع الموارد ، سواء الموارد الطبيعية أو المادية أو المعلوماتية وما هذا الخلق العالمى الذى يتحدثون عنه – فى رأى هؤلاء – إلا ستار يخفون وراءه مطامعهم ، ونيتهم فى استغلال تكنولوجيا المعلومات بهدف مساندة ممارسات قوى العولمة ورأسماليتها الجديدة . لقد أفرزت العولمة عالما وصل فيه الأغتراب عن القيم السماوية ، وعن الجار وعن الذات ، إلى حد لايمكن التغطية عليه باستهلاك الأيديولوجيات وكما أظهرت العولمة الحاجة إلى توحد القيم والأخلاق ، فقد أوصل النظر فى واقع النظام العالمى وأصوله ورؤى مستقبله – كما يقول صدقى الدجانى – إلى الشك فى قدرته على أن يثمر تعاونا دوليا لحل مشاكل عالمنا (٢٦) .

وهناك من يؤكد على أن العولمة باعتبارها نسق للعنف ، فهى تفرض نفسها وتحافظ على بقاءها من خلال استخدام العنف وذلك بسبب التجارة التى تتصاعد بما يتجاوز الحاجات الإنسانية أو الرغبات الشرهة لأسواق كونية من أجل الموارد التى تشن من أجلها الحروب مثال على ذلك أن الحروب من أجل الماس فى سيراليون أو من أجل البترول فى نيجيريا والعراق قد تسببت فى قتل الآلاف من النساء والأطفال وارتباطا بذلك فإن نقل الموارد التى تملكها الشعوب إلى مؤسســات الإنتاج الكونية يحتاج إلى دول عســكرية تسلح نفسها من أجل مصالح اقتصادية (٢٧) .

وإذا كان الإقتصاد يتجه نحو المزيد من الوحدة على الصعيد الدولى تخطو السياسة نحو المزيد من التفتت مع نمو الوعى العرقى والنزاعات الأثنية ، فى حين تتراوح الثقافة بين انتشار الثقافات الغربية فى الحياة اليومية وبين إحياء الثقافات والتراث على المستوى العالمى ، كما تنطوى العولمة على تغليب الماديات والحياة العاجلة على أية قيم مطلقة واختزال الإنسان فى بعده المادى الاستهلاكى وأحيانا الشهوانى (٢٨) .

لقد شكلت فكرة دولة الرعاية ، وقيم العدالة والتضامن الاجتماعى والمواطنة ، والتشغيل الكامل والوظائف الثابتة ، والتوازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية فى استراتيجيات التنمية .. الخ ، جوهر نظرة الحداثة إلى الدولة والمجتمع . أما النموذج الحالى المعولم فهو يقوم على قيم نقيضة تشدد على الفردانية ، وأولوية طاغية للجدوى الاقتصادية حيث المال والربح هو القيمة العليا ، وعلى تشجيع الميول الاستهلاكية ، وإعادة انبعاث النزعات الدورانية – الاجتماعية حيث التنافس محتدم ، وحيث البقاء للأقوى فى آليات السوق العالمية . كما أن هذا النموذج الجديد يروج لتفكيك دولة

الرعاية وفكرة التضامن ليحل محلها استقطاب اجتماعى واقتصادى شديد بين الأغنياء والفقراء عالميا ووطنيا ، فيتوسع الفقر ويسود منطق الانقسام البسيط إلى رابحين وخاسرين " ، واعتبار هذا الانقسام امراً طبيعياً وعادياً . كما يرود للفكرة القائلة ان تغيير وضعية الفرد رهن بقدراته الذاتية ومهاراته فقط دون أى مسئولية للنظام الاقتصادى أو الاجتماعى .

ينتج عن هذا التحول النوعى تغييرات كثيرة جداً ومتعددة المستويات تشمل الوضع الحالى والتوقعات المستقبلية ، بالنسبة لمختلف الفئات السكانية والاجتماعية ، وخصوصا للشباب والمراهقين . ويتجلى ذلك فى ظاهرات جديدة فى أوساط هؤلاء ، سواء من حيث الحجم والانتشار ، أو من حيث النوع ، والتى يمكن رصدها بشكل خاص من خلال تجلياتها المتطرفة (كالعنف والجنوح) ، وهو أمر ناتج عن حساسية المراهقين والشباب الكبيرة ازاء قيم المجتمع وفعالية مؤسساته واحتمالات المستقبل . وبالتالى فإن اشكاليات المراهقة والشباب (على الصعيد العالمى ، والاقليمى والوطنى) ترتبط مباشرة بالأسئلة والتحديات التى يطرحها العالم المعاصر ، والتى تختلف عن الأسئلة التى طرحها فى المراحل السابقة .

وهنا لابد من التنبه لبعدى الكونية والخصوصية . فثمة جامع مشترك اساسى يتشكل من اساسين : الأول هو وحدة الانسان فى خصائصه الاساسية من النواحى العقلية والنفسية والوجدانية الفسيولوجية ، واشتراك جميع المجتمعات فى أساسيات الهياكل المؤسسية وبعض الأدوار الرئيسية (العائلة والمدرسة على سبيل التخصيص) . أما الأساس الثانى للتشابه ، فهو العولمة ونتائجها وآلياتها ، التى تشكل اطار عاما وسياقا عاما موحدا لتطور المجتمعات وان كانت تختلف فى موقعها من العولمة وفى ردود فعلها عليها .

إلا أن آليات العولمة قادرة على اختراق الحدود الوطنية ، يساعدها فى ذلك ثورة الاتصالات ووسائل الأعلام الجماهيرية، بما يمكنها من التأثير أو حتى خلق سلوكيات ومفاهيم " عابرة للقوميات " فى بعض أوساط الشباب والمراهقين ، مما يجعل الاشـــكاليات المعاصرة – فى طبعتها الاخيرة – حاضرة كعنصر داخلى فى المجتمعات كافة [٢٩] .

وتخلق العولمة فرص جديدة غير مسبوقة ، وهو الأمر الذى يعد بمثابة القوة الأساسية الدافعة فى التسريع بتنامى النظام الاقتصادى العالمى . إلا أن عدم المساواة فى تلك الفرص كان يعد مجرد أمر استثنائى سواء فى داخل الدول أو فيما بينها . وقد بات واضحا الآن أن الفوائد المنتظرة لا تصل للعدد الكافى من الناس فالعديد من الآباء ممن حققوا مستوى معيشى منخفض نجدهم يخشوا من أن أطفالهم ربما لا يصلوا إلى حياة أفضل من حياتهم . وفى العديد من الدول أدى تزايد المنافسة العالمية لفقدان الوظائف إضافة إلى ذلك فإن الوثبات التى تحققها الشركات الكبرى تؤدى إلى أزمات مالية واقتصادية مما يترتب عليه ارتفاع حاد فى معدل البطالة والفقر وعليه ، فإن كل تلك العوامل تسهم فى تنامى الإحساس بعدم الأمان وبالتالى – يخلق مزيداً من العنف [٣٠] .

وتشير الإحصاءات إلى أن العولمة أفرزت حتى الآن ٨٠٠ مليون إنسان يعانون من الجوع و٣ مليارات إنسان لا يزيد دخل الفرد منهم على دولارين يومياً كما أصبح ثلث سكان العالم الثالث وعددهم ٤,٥مليار نسمة لا يحصلون على مياه نيقيه و ٢٠% من الأطفال فى العالم الثالث ينقصهم البروتين ومليار إنسان فى الدول النامية أى حوالى ٢٥% من سكان العالم الثالث يعانون من فقر الدم [٣١] .

ثالثاً : نتائج الدراسة الميدانية

وبتحليل استجابات حالات الدراســة الميدانيــة والمقابلات الحرة وجد أن هنــاك أنماط من التفكير والسلوك (تشمل اللبس وتسريحة الشعر "الشكل" وطريقة الكلام ولغته والتفكير ومنطقه "المضمون" والأكل ونوعياته والشراب وصناعته . والصداقة وأسسها ... الخ) متباينة تقف ورائها مرجعيات العولمة وآلياتها ومشكلات ليست على المستوى المحلى فقط ولكن لها اطار عالمى تعززها الفضائيات بتقاليعها والانترنت بدهاليزه . فشيوعها بين الشباب من الجنسين على حد سواء فمثلا روش .. طحن .. كبر .. كوول حتى وقت قريب كان مجرد سماع تلك الكلمات مثيراً للدهشة وربما يظن من يستمع إليها لأول مرة أنه يستمع إلى لغة أجنبية ولم تعد المشكلة فى استخدام الشباب لتلك المصطلحات وترديدها باستمرار ولكنها أصبحت أسلوب حياة منتشراً بين الشباب خاصة من وسائل الإعلام فلم يعد مثلا يوصف المطرب أو الممثل بأنه رقيق أو حساس وإنما روش وستايل ولم تعد الممثلة أو المطربة جميلة أو رقيقة بل أصبحت مطربة دمار وممثلة روشة . حتى إعلانات الموبايل أصبحت تصور لنا أنه من العار علي الشباب أن تكون رناته قديمة بل يجب أن تكون رناته كوول حتى لا تنصرف عنه الفتيات لأنه عديم " الكولنة " مش كوول فهل أصبح بالفعل الهم الأعظم للشباب أن تكون رناته كوول وشكله ستايل .

وهذا ما يعتبره الشباب ثقافة العولمة أو " ثقافة الصورة " حسب تعبير " بلقزيز " [٣٢] وليس معنى شيوعها أو تداولها بين الشباب بصور مختلفة أنها ثقافة أثبتت تفوقها وهذا ما أكده " برهان غليون " من أن الثقافة المسيطرة لا تحتل موقعها المتفوق بسبب تفوق منظومات قيمها الأخلاقية أو

الدينية أو الفنية ، ولكن لأنها ثقافة المجتمعات المسيطرة . أنها نتيجة للسيطرة المادية التى أثبتت استمراريتها النسبية (٣٣) .

١ – قضايا العمل :

تشير أدبيات علم الإجتماع إلى أن أخلاقيات العمل تتمثل فى الاتجاه الايجابى نحو العمل المنتج وبذل الجهد فيه واتقانه ، والاعتقاد أن العمل فى حد ذاته هام وأن القيام بآدائه بشكل جيد يعتبر أمراً أساسياً وحيوياً . وأخلاقيات العمل كما يعكسها علم اجتماع العمل (٣٤) ، كما ناقشها " ماكس فيبر" فى مؤلفه " الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية " من خلال دراسة الإنتماء للعمل وقيم العمل .

وعند تحليل ما جاء على لسان دراسات الحالة الميدانية وجد أن رؤية الشباب للعمل بنسبة ٧٠% من الجنسين كمصدر للمال فقط كى يلبى رغباته وكى يستطيع أن يلهو ويلعب ويقتنى أحدث السيارات (استهلاك) ويصادق أجمل الفتيات (الاهتمام باللحظة الراهنة) ولذلك فلا مانع من أى عمل يدر ربحا سريعا وبدون تعب (ليس العمل المنتج وبذل الجهد فيه) .

وها هى حالة منهم ترى أن المسابقات عبر التلفاز أو الانترنت أو الموبايل ... الخ قد تدر دخلال كبيرا ، وآخر يرى فى الهجرة للخارج مال كثير وهى الطريقة المثلى للعمل والكسب المحترم _ حسب تعبيره – وثالث يرى فى الفهلوه والشطاره والنصب والغش عمل الشباب الكوول .

وتشير حالة أخرى إلى أن العمل هو البيزنس والعربيات والموبايلات ومكالمة تكسب مليون ..... الخ وعمليات البيع والشراء والسمسرة والمضاربات والعمولات وكلها عاوزه عيال مفتحة وروشة .

وتذهب حالة أخرى إلى أنه بعد تخرجه من الجامعة عاوز وظيفة محترمة تليق به أو يفتح شركة وتكون عنده سكرتارية مثلاً... الخ .

وأشارت ٣٠% من دراسات الحالة الميدانية إلى التأكيد على أهمية العمل وأن يسعى الانسان كى يبنى حياته ومستقبله على أسس سليمة ملؤها الإيمان بالله واتقان العمل وخاصة العمل الشريف المنتج من زراعة وصناعة وتقدم علمى كى نستطيع أن نرتقى بأمتنا العربية .

والملاحظ على الحالات السابقة أن النسبة الأكبر تنظر إلى العمل بإعتباره مصدر للمال من خلال قيم تحث على الكسب السريع وليس على العمل المنتج وبذل الجهد وتحث على الفساد الخلقى بجميع صوره فالغاية (المال) تبرر الوسيلة (النفاق والخداع والنصب والرشوة... الخ) والهدف هو الاستهلاك وليس الادخار والاستثمار ، واقتناء الأشياء وليس تنمية المواهب والقدرات ، فالانسان يقدر حسب ما يقتنى وليس حسب مايتمتع به من امكانيات عقلية وخلقية .

٢ – الزواج

تشير حالات الدراسة الميدانية إلى أن النظرة للمرأة أو الجنس الآخر عباره عن عملية إشباع مادى وهذا يؤكده أشكال مختلفة من مايسمى بالزواج العرفى . فبعد أن كان الزواج إشهار وفرح وإقامة للزينات أصبحت المشكلة الآن فى إثبات الأنساب ... الخ .

وتذهب حالة أخرى إلى أن العلاقة بالمرأة هو المتعة والصداقة معها دون تحمل أعباء لذا فالنظرة إلى المرأة تكون جسدية وهذا يتضح من إنتشار سلوكيات لم نسمع عنها من قبل وغريبة على مجتمعاتنا وهى تحدث دون وجود بيت للزوجية .

وتشير حالة أخرى إلى أن الشباب مش بتاع جواز كله عاوز متعه وخلاص بدون أى مسئولية ولذلك انتشرت الجرائم والتسلية عن طريق الانترنت والدردشة .

وتذهب حالة أخرى إلى أنه مع صعوبة تكاليف الزواج قل الاقبال على تكوين أسرة وإذا كان هناك تفكير فهو محكوم بالنظرة إلى الفتاة بشروط يعنى مش أى فتاة بمعنى بنت مين وعندها كام وعندها شقة أم لا ومفيش مانع تصرف على البيت .

أما حالات الدراسة الميدانية من الفتيات فتذهبن إلى أنه لا سبيل للتعامل مع أى شاب إلا فى إطار شرعى وأسرى وذلك من أجل تحقيق حلم الزواج بفارس الأحلام والفستان الأبيض والزفة وهذا هو السبيل الوحيد للزواج .

والملاحظ أن بعض هذه السلوكيات فى الزواج تتنافى مع قيم المجتمع المصرى والأديان السماوية ولا يقبله أحد ولكن إن حدث فهو يكون غلطه أو خطأ فى تقدير الموقف أو محاولة غش . لأن الزواج كما جاء فى القرآن الكريم " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة " . صدق الله العظيم

٣ – علاقة الأبناء بالآباء

طرأ الكثير من التغيير في العلاقة بين الأبناء وآبائهم والملاحظ من خلال دراسات الحالة الميدانية أن المسئولية مشتركة ولا نستطيع أن نلقي اللوم علي طرف دون آخر .

إذ تشير حالات الدراسة الميدانية الي أن انشغال الآباء بتوفير المال للأسرة لمواجهة المتطلبات المادية والاستهلاكية التي تزداد يوما بعد يوم يحرم الأبناء من الجلوس مع أبائهم وتعلمهم القيم والأخلاق السليمة .

وتشير حالة أخري الي أن الأبناء لايسمعون كلام آبائهم ونصائحهم ويعتبرون ما يقوله الآباء مجرد عادات وقيم وموروثات قديمة لا تلائم العصر الحالى ولغته وأن هناك مصادر أخري يعتمد عليها الشباب فى اكتساب خبراتهم من خلال وسائل الاتصال الحديثة .

وتشير حاله أخري الي انعدام الحوار أصلا داخل الأسرة فكل فرد من أفراد الأسرة مشغول بعالمه الخاص (اللي أمام الكمبيوتر وآخر أمام الفضائيات وثالث مشغول بزملائه وآخر مشغول بالمال ... الخ) وهذه نتيجة طبيعية وتعبر عن حال ليس الأسرة فقط ولكن المجتمع ككل .

<u>٤ – لغة الحوار اليومى</u>

الملاحظ على حالات الدراسة الميدانية أن الشباب يعانى من الفراغ الاجتماعى والنفسى الناتج عن اليأس عند مقارنة حياتهم بحياة شباب آخرين يشاهدهم عبر الفضائيات أو الانترنت (chat) يُذكى ذلك افتقاده للقدوة مما جعله يقلد تقليداً أعمى مما أثر على نمط التفكير وعلى سلوكه الحياتى . فاصبحنا نسمع شباب كوول وبنات روشنة وأطفال واوا .

ويذهب ٦٠% من الشباب إلى أن لغه الحوار اليومي يجب أن تكون سهله وكوول وروشة يعني أن يفعل الشباب ما يشاء بالطريقة التى يراها ويرى أن كل إنسان حر فى مظهره ما دام لا يضايق غيره والهدف من ذلك يكون لفت الانتباه وهو لا يتضايق من النقد الذى قد يوجه له ما دام لا يضر أحداً بما يفعله .

وتشير حالة أخرى أنه لا يوجد شئ اسمه روشنة ولكن هناك شخصاً ملتزماً وآخر غير ملتزم ويمكن أن يعيش الشاب حياته ويكون حراً فى مظهره على ألا يؤثر ذلك على دراسته أو أخلاقه أما الروشنه لمجرد التقليد الأعمى فتكون ناتجة عن انعدام الثقة بالنفس والرغبة فى التقليد ولفت الأنتباه وإهمال الأسره لأدوارها .

وتقول إحدى الفتيات إن شيوع نمط جديد وتقاليع يأتي بها الشباب شئ عادي مرتبط بالسن والثقافة السائدة فالروشنة مثلا ليست مرتبطة فقط بالمظهر أو بطريقة اللبس ولكنها أيضاً أسلوب فى الكلام وقد تكون الفتاة محجبة ولكنها تحب أن تكون لها طريقة معينة فى الكلام والفتاة تهدف من وراء ذلك أن تشعر أنها مرغوب فيها وهناك من يعجب بها وأنا لا أحترم الشاب الذى يحب أن يكون غريباً فى مظهره من حيث الملبس وطريقة حلق الشعر أو لغة الكلام وأشعر أن ذلك ضعف فى شخصيته .

وتقول طالبه أخرى أننى أحب أن أشعر أنى حره فى مظهرى وأن أرتدى ما أشاء وأعمل شعرى بالطريقة اللى تريحنى حتى أتماشى مع الموضة وليس لمجرد التقليد وأحب أن أكون مميزة عن غيرى فى كل شئ حتى المظهر وطريقة الكلام وأشعر بالسعادة فى ذلك ، ويصنف هذا السلوك فى المجتمع حسب مايراه الناس مش مهم بالنسبة لي ودي حرية .

وإذا كان علماء الاجتماع يرجعون ذلك إلى عدم مناقشة قضايا الشباب وحل مشكلاتهم فعلماء النفس يروا أن هذا يعبر عن رفض الشباب لذاته وواقعه لعدم قدرته على تحقيق وإشباع حاجاته الأساسية . و أن ما يحدث من الشباب وثقافة النيولوك لا خوف منها لأنها مرحلة ستنتهى" إذ أن هنـــاك تعارض فى العلاقة بين العولمة السائدة التى تحكم الأمور السياسية

والاقتصادية فى مجتمعات العالم المعاصر وبين الخصوصية الظاهرة التى تحكم الحياة الثقافية" [٣٥]. وهذه الثقافة لا تتوفر لها مرجعيات وبالتالى ستزول أو حسب تعبير الجابرى " لا تكتمل الهوية الثقافية إلا إذا كانت مرجعيتها جماع الوطن والأمة والدولة " [٣٦] .

وقد جاءت الحلول المقترحة من الشباب بالتخطيط الجيد لمجالات العمل والحياة الاجتماعية والأخلاقية والتعليم الجيد المرتبط بسوق العمل وتوفير القدوة والنهوض بالمجتمع وتقدمه كما أنه من المؤكد أنه لولا الضعف الداخلى لما استطاع الفعل الخارجى أن يمارس تأثيره بالصورة التى تجعل منه خطرا على الكيان والهوية .

وأن التغير وتقويم السلوكيات لا يتم إلا عبر تجديد الثقافة وأن تجديد أيه ثقافة لا يمكن أن يتم إلا من داخلها بإعادة بنائها وممارسة الحداثة فى معطياتها وتاريخها .

التوصيات

١ – الإعلاء من قيمة العمل المنتج في الارتقاء بالفرد ومجتمعه .

٢ – التأكيد علي أهمية الزواج علي سنه الله ورسوله في بناء الأسرة السليمة والمحافظة علي الأنساب .

٣ – إبراز أهمية دور الآباء في تعليم القيم ونقل الخبرات وليس توفير المال لأبنائهم فقط.

٤ – الحفاظ علي اللغة العربية كأسلوب للحوار والتفاعل اليومي وانعكاس ذلك علي تقدم المجتمع .

أسئلة على الفصل السابع

١ - ما هى سلوكيات الشباب اليوم الخاص بالعمل ؟

٢ - ما اثر ثورة المعلومات على نمط تفكيره وحياة الشباب ؟

٣ - ما مدى تأثير نمط الزواج وتكوين الأسرة بالمتغيرات الدولية ؟

المراجع

١ – عبد الباسط عبد المعطى ، الوعى التنموى العربى : ممارسة بحثية ، دار الموقف العربى ، ١٩٨٣ .

* حول المعانى المتعددة لمعنى الوجود راجع :

المعجم الوسيط ، مادة وجد . وأيضاً ، مراد وهبه ، المعجم الفلسفى ، دار الثقافة الجديدة ، ط٢ ١٩٧٩، ص ٤٦٦ وما بعدها .، وأيضا على عبد المعطى ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ ، ص ص ٣٥٥-٣٧٠، وأيضا ولترستيس ، فلسفة هيجل ، المجلد الأول ، " المنطق وفلسفة الطبيعة " ترجمة : إمام عبد الفتاح ، دار التنوير ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، الفقرة ١٧١ .

٢ – فلاديمير رازين ، حول نظرية التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية ، ترجمة عادل إسماعيل ، دار الفارابى ، ١٩٨٠ ، ص ص ٢٧ – ٢٨ .

3- V.Allen, Social Analysis: A Marxist Crilique and Alternative, London, 1975, pp. 5-7 .

4 - William Scheuerman, Stanford Encyclopedia of philosophy available at, http://plato. Stanford. Edu/ entries globalization L Html Globalization Indiana University, Bloomington June, 21, 2002.

٥ – محمود أمين العالم ، أزمة ثقافة أم أزمة حكم ؟ ، كتاب قضايا فكرية ، من الذى يحكم مصر ، دار الثقافة الجديدة، الكتاب الأول ، يوليو ١٩٨٥، ص ص٩–١٥ .

٦ – خلدون حسن النقيب ، الآفاق المستقبلية للفكر الاجتماعى العربى ، عالم الفكر ، المجلد ٣٠ ، يناير – مارس ، الكويت ، ٢٠٠٢ ، ص ٧ .

٧ – نبيل على ، العرب وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٨٤ ، الكويت ، أبريل ، ١٩٩٤ ، ص ٢٨٧ .

8- Welcome to the Globalcultures, Major and minor //www.humanities. aa.Edu/global_Cultures / faculty staffhtml 2006 .

٩ – توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق : نشأتها وتطورها ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط٤ ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ص ٣٥ – ٣٦ .

١٠ – المرجع السابق ، ص ٣٧ .

١١ – عبد اللطيف محمد خليفه ، إرتقاء القيم (دراسة نفسية) ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٦٠ ، الكويت ، ابريل ، ١٩٩٢ ، ص ٥٥ .

١٢ – خلدون حسن النقيب ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

13- United Nations, Responding to Golbalization Skill Formation and unemployment reduction policies, New York, 2003.

١٤ – خلدون حسن النقيب ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

١٥ – إيمان فرج ، الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للشباب والمراهقة ، المنتدى العربى للسكان ، بيروت ، ١ – ١٩ نوفمبر ٢٠٠٤ ، ص ٤ .

16- Violence and suicide on University Campuses shot up., Beijing Review, 2004, Available at. www. Ynw. Nl/news. Html

١٧ – نبيل على ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٢٧٦ ، الكويت ، ديسمبر ، ٢٠٠١ ، ص ٤٠٢ .

١٨ - أديب نعمه ، اشكاليات البحث فى مجال الشباب ومقترحات مستقبلية ، إجتماع الخبراء الاقليمى حول الحالة المعرفية لمسوح وبحوث الشباب فى الاقليم العربى ، ١٩ – ٢١ نوفمبر شرم الشيخ ، ٢٠٠٥ .

19- Gary Browning and other, understanding contemporary society, thories of the present, sage publications, London, 2000. pp. 248-249.

٢٠ – عمرو عبد الكريم ،مفهوم العولمة، ص١

. **http://www.Islamon line. Net/iol-arabic**

21- World youth report, http/ IIwww.un.org/ esa/ socdev/ unyin/ wpay globalization htm, 2005.

٢٢ - نبيل على ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص ص ٤٠٥ – ٤٠٦.

٢٣ - إيمان فرج ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

٢٤ – عمرو عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص ١ .

٢٥ – نبيل على ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص ٤٠١ .

٢٦ – المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

٢٧ - على ليله ، تقاطعات العنف فى إطار التحولات العالمية المعاصرة ، المؤتمر السنوى الرابع ،الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠ – ٢٤ أبريل ٢٠٠٢ ، ص ٢٧.

٢٨ - عمرو عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص ٢.

٢٩ - أديب نعمه ، مرجع سابق ، ص ص ١١ – ١٢ .

30- United Nations, Globalization and labour Markets in the ESCWA, Region, New York, 2001, P. 11.

٣١ – سعيد اللاوندى ، بدائل العولمة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٨ .

٣٢ – عبد الإله بلقزيز ، العولمة والهوية الثقافية : عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة ، فى ندوة " العرب والعولمة " ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢ ، بيروت ، ديسمبر ، ١٩٩٨ ، ص ٣١٤ .

٣٣ – برهان غليون وسمير أمين ، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق، ٢٠٠٠ ، ص ص ٤٨ – ٤٩ .

٣٤ – اعتماد علام ، العولمة وقيم العمل المستحدثة لدى الشباب ، فى ندوة " الشباب ومستقبل مصر " ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٩ – ٣٠ ابريل، ٢٠٠٠ ، ص ص ٣٢١ – ٣٣٠ .

٣٥ – سمير أمين ، برهان غليون ، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مرجع السابق ، ص ٦١ .

٣٦ – محمد عابد الجابرى ، العرب والعولمة : العولمة والهوية الثقافية ، ندوة : العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٩٧ – ٣٠٣ .

الفصل الثامن
البطالة وأثرها على الأسرة
"دراسة حالة "*

* ألقى هذا البحث في ندوة : البطالة أسبابها ومعالجتها وأثرها على المجتمع العربي وكان تحت عنوان المصاحبات الاجتماعية للبطالة :ودراسة حالة ،كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، جامعة سعد وحلب ، البليدة ، الجزائر ،٢٥-٢٧ ابريل ٢٠٠٦.



مقدمة

يشكل السكان عنصر أساسى من عناصر التنمية الشاملة فى المجتمع، وأن تنمية رأس المال البشرى ، يفوق فى أهميته رأس المال المادى وبالتالى إهدارها وبقائها بدون عمل هو هدر للتنمية المجتمعية الشاملة التى تعد أساس بناء وتقدم المجتمعات ٠

وتشير نتائج الدراسات والأبحاث الميدانية وكذلك الواقع الحياتى اليومى الملموس إلى تزايد مشكلة البطالة ، مما إنعكس على نسيج الحياة الاجتماعية وكرس الانقسامات الطبقية ومس الانتماء والهوية الوطنية ٠

والبطالة تعد المشكلة الأساسية التى تعانى منها غالبية اقتصاديات العالم بدرجات متفاوتة (خاصة الدول العربية) لذا تتطلب سياسات شاملة للتشغيل داخل كل دولة عربية أو فى تبادل العمالة بين بعضها البعض ، وإجراءات كفيلة بمواجهة أنواعها المختلفة ، خاصة وان مصر تعانى من البطالة بأنواعها المختلفة ٠

كما أن تزايد حجم البطالة عاماً بعد عام يعتبر إهدار واضح للقدرات البشرية واستمرارية ذلك يشكل خطورة بالغة ليس على الاقتصاد الوطنى فقط والمتمثل فى شكل هدر لهذه الموارد وإنما يمثل خطوره على الأمن القومى لمصر ٠ إذ أن الآثار السلبية للبطالة اجتماعياً وسياسياً (إضافة الى آثارها الاقتصادية الواضحة) يمكن أن تشكل خطراً على بقاء الوطن ٠ لذا يجب على القيادة السياسية تركيز الجهود والسياسات لمحاولة التغلب عليها .

هدف البحث

يهدف البحث إلى الوقوف على أهم المصاحبات الاجتماعية السلبية فى ظل تنامى ظاهرة البطالة وفشل سياسات التكيف الهيكلى فى الحد من هذه الظاهرة وتداعيات ذلك على الشباب فى مصر ٠

منهجية البحث وتساؤلاته

يتبع البحث منهجا وصفيا تحليلا وتعد إشكالية البحث هى غياب الاستراتيجيات الفعالة لمواجهة عملية البطالة والتى تتضمن سياسات وبرامج وتخطيط علمى للقوى البشرية ، بما يستهدف بالأساس علاج مواطن القصور فى أسواق العمل وزيادة الموائمة بين العرض والطلب على القوى العاملة بما أدت إليه هذه الإشكالية من تبعات وأزمات ليس على الصعيد الاقتصادى فحسب ولكن الأخطر مصاحباتها الاجتماعية الواضحة على الشباب أنفسهم وأسرهم والمجتمع بأسره ٠

من خلال هذه الإشكالية يطرح البحث التساؤل التالى :

ما حجم البطالة فى المجتمع وسياسات التشغيل المتبعة والآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؟

وسيتم الإجابة على هذا التساؤل من خلال عرض لمشكلة البطالة وتناميها فى ظل العولمة وتقليص دور الدولة فى تعيين الخريجين والزيادة المستمرة فى عدد السكان وما ترتب على سياسة الخصخصة ثم نعرض لسياسات عدد من الدول العربية فى مواجهة ظاهرة البطالة وكذلك عدد دراسات الحالة الميدانية " عشرون حالة " من خريجى طلاب كلية الآداب – جامعة المنصورة – مصر من الجنسين بطريقة عشوائية وذلك خلال شهر يناير ٢٠٠٦ من خلال دليل للمقابلة شمل خمس محاور هى : حجم مشكلة البطالة ، دور الدولة فيها ، دور الشباب فى التعامل معها ، أثرها على حياة

الشباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وانعكاس ذلك على المجتمع ككل ، الحلول المقترحة والرؤى المستقبلية ٠

واعتمدنا على المقابلة كوسيلة لجمع البيانات إضافة إلى المناقشة الجماعية مع عدد من طلابى بجامعة المنصورة من خلال المقابلات الحرة ٠ وتتمثل خصائص العينة فى أنهم من خريجى كلية الآداب – جامعة المنصورة أو ملتحقون بالدراسات العليا بها ٠

وسننطلق من مفهوم أن البطالة هى حالة عدم توفر العمل لأى شخص راغب فيه مع قدرته عليه نظراً لحالة السوق ٠

وفيما يلى نعرض للمحاور التالية :

أولاً : أشكال جديدة للبطالة وخطورتها ٠

ثانياً : سياسات الدول العربية فى مواجهة البطالة وتداعياتها ٠

ثالثاً : نتائج الدراسة الميدانية : الواقع والرؤى المستقبلية ٠

- خاتمة : أهم التوصيات ٠

أولا : أشكال جديدة للبطالة وخطورتها :

تعد تقارير التنمية البشرية التى يصدرها معهد التخطيط القومى منذ عام ١٩٩٤ وحتى الآن أساسا للحصول على معلومات غنية عن الاوضاع التى يعيشها الناس ونوعية حياتهم ومستويات تعليمهم ومجالات عملهم ، كما تركز على رأس المال البشرى وسبل تطويره ورفع كفاءتة ليتمكنوا من الحصول على فرص الحياة العادلة من خلال دخل يكفى للتمتع بنوعية حياة أفضل ولا يتأتى ذلك الا بالحصول على فرصة عمل جيدة كريمة .

وفى ظل عصر الانفتاح الاقتصادى و التجاري والثقافي وسقوط كافة الحواجز بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتى تمثل

تحديات تواجه جميع دول العالم وذلك من خلال التحول السريع فى فــرص العمل والأسواق فى كل المجتمعات . فبعد إن حلت الميكنة بشكل كبير فـــى الزراعة وفقد العديد من فرص العمل استوعبت المصانع ملايين من فــرص العمل التى فقدوها فيما بين الخمسينيات والثمانينات وقام النمو السريع لقطاع الخدمات بإعادة توظيف العديد من العمال ذوى الياقات الزرقاء الذين فقــدوا أعمالهم فى ظل التقنيات العالية وبشكل عام فان القطاعات الثلاثة (الزراعة – الصناعة – الخدمات) فى النظام الاقتصادي التقليدي، دخلت فى عــصر الروبوت ، الأمر الذى سيؤدى إلى بطالة إجبارية للملايين ، كمـــا لا يوجــد الآن قطاع جديد يتوقع تطويره بحيث يكون قادر علـــى اســتيعاب هــؤلاء الملايين الذين سيتم الاستغناء عنهم فى الدول النامية بشكل أساسى كنتيجـــة لإعادة البناء السريعة . والاحتمال الوحيد لظهور قطاع جديد يتمثل فى قطاع المعلومات والذى يتطلب فئات قليلة مختارة ولن يعوض ذلك ســوى جــزء بسيط من الوظائف التى سيتم فقدانها فى العقود القادمـــة فـــى ظــل ثــورة المعلومات والاتصالات . (١)

والملاحظ أن ثورة الالكترونيات وما رافقها من تحولات فى انمـــاط الانتاج واشكال التبادل وانماط الاستهلاك أدت الى : التغيرات والتحولات فى مجال التوظيف وتنظيم العمل واداء اسواق العمل ومنها تغيرات فى التركيب المهارى والمهنى لقوة العمل إذ بدأنا نشهد التقلص التدريجى لفئات العمالـــة (الماهرة) و(نصف الماهرة) لصالح الفئات (الفنيـــة والمهنيـــة) الأكثـــر اتصالا بأساليب تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كما ادت الـــى تغيـــرات جذرية فى مفهوم (تنقلية العمل) **labour Mobility** فلـــم يعــد مفهـــوم (التنقلية) مرتبطا (بالتنقلية الجغرافية) **Geographical mobility** بل

اصبح هناك تنقلية محا زيه للعمل على الصعيد العالمى . يضاف إلى ذلك تغير نمط العلاقة التعاقديه بين (العامل) و (رب العمل) حيث أصبح هناك مزيد من الاعتماد على (العمالة التى تعمل من منازلها) Out Workers لحساب المنشآت الصناعية و الحرفية الحديثة .

كما يتم اللجوء بشكل متزايد (للعمالة بعض الوقت) وليس (كل الوقت)[٢]. مما أدى إلى أنواع متعددة من العمل من بينها العمل الشامل العمل الاستثنائي ، عمل السوق ، الساعات المتقطعة للعمل ، الفترة المحدودة [٣] وسوق العمل ليس سوقا عادية حيث أن دور العرض والطلب على العمل محدد نسبيا بأربعة أسباب رئيسية هى :

- أن العمل ليس سلعة يمكن رؤيتها ولمسها
- أنها تتعامل مع قوى بشرية لها أحاسيس ومسؤليات وطموحات لا يمكن تجاهلها فالإنسان يستخدم المعارف والمهارات التى يمتلكها لكى يحصل على الدخل المناسب له ولاسرته .
- سوق العمل تعتبر سوقا غير مكتملة ، بسبب النقص فى معلومات العرض والطلب وصعوبة الحصول عليها سواء بالنسبة للخريجين أو أصحاب الأعمال .
- العلاقات الشخصية والدور الذى تلعبه فى الحصول على الأعمال متجاهلة آليات السوق والتزاماتها .

وتقسيم الأسواق من منظور مستويات الأجور وشروط العمل وظروفه الى قسمين: سوق عمل أولية وأخرى ثانوية فالسوق الأولية : توفر الوظائف ذات الأجور العالية ، وشروط العمل الجيده ، والاستقرار والدرجة العالية من المساواة فى تطبيق قواعد العمل وفرص الترقي أما وظائف

السوق الثانوية : فهى وظائف ذات أجور منخفضه وشروط عمل مجحفه واستخدام غير مستقر، وقواعد عمل تعسفيه إضافة إلى فرص محدوده جدا للترقي [٤] .

وفى ظل ذلك ساء الوضع الاقتصادي العالمي واتسم الاقتصاد بالتراخى والتباطؤ، بل والكساد والأزمات ، مما أثر كثيرا فى أداء الاقتصاد المصرى نتيجة ارتباطة بالاقتصاد العالمى ، بالإضافة إلى مشاكلة الداخلية مثل مشكلة سعر الصرف وسعر الفائدة وما ترتب على الإصلاح الاقتصادي والخصخصه والمعاش المبكر ، مما أدى إلى عدم تحقيق أهداف التشغيل فى الخطة الثالثه حيث لم تحقق سوى ٥٧١ ألف فرصة عمل بمتوسط سنوي قدرة ١١٤,٢ ألف فرصة عمل وهو أقل من مقابل الإحلال والتقاعد كما أثرت الأحوال الاقتصادية على الخطة الرابعة للسنوات ١٩٩٧ / ١٩٩٨ – ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ وأخذت البطالة فى التزايد بشكل كبير نظرا لما يضخه قطاع التعليم سنويا فى سوق العمل الذى لا يستوعب أى داخل جديد من عرض العمل المتاح و أن قصور الاقتصاد المصرى عن استيعاب عرض العمل المتاح (البطالة الباحثة عن عمل) منذ أواخر السبعينيات وتفاقم الوضع فى عقد الثمانيات من القرن الماضى ، وتوقف التشغيل الكامل خلال التسعينات وزاد عدد المتعطلين إلى أن بلغ ١,٧٨ مليون فرد عام ٢٠٠١ ، ولا تكمن مشكلة البطالة فى حجمها فقط ، بل تعدى ذلك إلى هيكل البطالة ، حيث تركزت بين صغار السن من الشباب خريجى مراحل التعليم من حملة المؤهلات المتوسطة والعليا كما أنها تنتشر بشكل أكبر فى الحضر عنة فى الريف . يؤكد ذلك قصور التشغيل فى الخطط الخمسية اعتبارا من عام ٨١ / ٨٢ – ٩٧/٩٦ وتأثيرها فى تفاقم حجم البطالة .[٥] راجع الجدول رقم (١)

جدول رقم (١)

حالة التشغيل خلال الخطط الخمسية ٨١ / ٨٢ – ٩٦ / ٩٧

فرص العمل بالألف

السنة	مستوى التشغيل القائم فعلا	مستوى التشغيل المتوقع فى نهاية الخطة	هدف الخطة		ستوى التشغيل المحقق	الزيادة المحققة فى التشغيل		لتشغيل المحقق ناقص (–) المتوقع	العجز السنوى فى مستوى التشغيل
			سنوات	نويا		سنوات	نويا		
٨٢/ ١	٠٧٠٢,٤	٢٨١٤	١١١,٦	٢٢,٣	٢٢٠٩	٥٠٦,٦	٠١,٣٢	٦٠٥	١٢١
٨٧ / ٦	٢٢٠٩	٤٦٥٩	٤٥٠	٩٠	٣٩٠٠	٦٩١	٣٨,٢	٧٥٩	٥١,٨
٩٢ / ١	٣٩٠٠	٧٠٩٠	١٩٠	٣٨	٥٦١٢	٧١٢	٤٢,٤	١٤٧٨	٩٥,٦
٩٧ / ٦	٥٦١٢	٨٨٠٢	١٩٠	٣٨	٦١٨٣	٧١	١٤,٢	٢٦١٩	٢٣,٨

المصدر : سيد محمد عبد المقصود ، قضية التشغيل ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ٠

كما أدت ثورة الاتصالات والمعلومات الى تحولات مهمة فى أنمـــاط وأساليب الإنتاج نتيجة استخدام الكمبيوتر ووصلات (الأقمار الـــصناعية)

مما أدى إلى تأكل مفهوم (المصنع التقليدى) و (خط الإنتاج) ولعل أهـــم التحولات فى مجال الإنتاج يمكن إيجازها فى الاتى :

- ظهور مجموعه جديده ومستحدثه من السلع غير الملموسة
- الاعتماد المتزايد على (مواد وخامات) من طـــراز جديـــد يجرى تخليقها بأساليب معمليه تركيبيه وتقنيه حديثه .
- الاعتماد المتزايد فى العمليـــات الإنتاجيـــة علـــى العمالـــة الاصطناعية التى تسمى بالروبوت .
- أدت ثورة المعلومات والاتصالات الى مزيد من (التوزيـــع غير المتكافئ) لعناصر القوة الاقتصادية . [٦]

ما سبق يؤكد ان فرص العمل فى ظل العولمة يجب ان تتطور مـــع تطور مجتمع المعلومات ، وهذا يتطلب أساليب جديدة للتعليم والتعلم الـــذاتى والقدرة على الانتاج عالى الجودة والمعتمد على مواد غير تقليدية فى ظـــل بناء اجتماعى يُعلى من شان القيم الايجابية .

أما إذا كان بناء اجتماعيا مشوها ، من منظور التخلـــف وتطـــويرا مجتمعيا مشوها ، يصاحبه تطور علمى مشوه ، فانحسار الإنتاج ، وتعطيـــل القوى المنتجه عموما يصنع هوه ، ويفصل بين العلم والعمل . [٧]

مما ينعكس على فرص العمل حيث يعد التوظيف حلقة الوصل التى تترجم التعليم الى نمو وتوزيع عادل لهذا النمو وعلية فعند قطع هذه الحلقة ، تحدث أثار سلبية على الفرد والمجتمع . ويلقى هذا بظلاله على نظم التعلـــيم التى لا توفر مهارات القرن الحادى والعشرين فهى وان وفرت تقنيات التعليم الأساسية إلا أنها تفتقر لروح الإبداع والخلق كما أنها تفتقد القدرة على الربط بين مخرجات التعليم وحاجات سوق العمل [٨] .

وتعد هذه من المشكلات الواضحة فى العالم العربي فى بلدان مثـــل مصر والأردن إذ أن معظم خريجى الجامعات بدون عمل نظراً للفشل فـــى الارتباط بقنوات التجارة العالمية . وقاد هذا النوع من الانعزال النسبى إلى الركود الاقتصادي فى عديد من دول الشرق الأوسط فالهند على سبيل المثال قد استفادة من العولمة عن طريق بناء صناعتها الهندسية لبرامج الكمبيوتر (Soft Ware) من خلال مشروعات جديدة فى (بنجالور ، هايـــد بـــاد) فهناك ٨٠ ألف شخص يعملوا فى صـــناعات التكنولوجيـــا المتقدمـــة فـــى بنجالور.(٩)

والبطالة تعد مظهر من مظاهر الخلل فى البناء الاقتصادي وأنوعها متعددة إذ تختلف باختلاف طبيعة النظر إليها لا من خلال الجنس أو العمر أو الحالة التعليمية ، أو المهنة ، فقط بل يمكن النظر إليها من خـــلال الـــدورة الاقتصادية ، فتسمى بطالة دورية ، أو بطالة احتكاكية ، وكما ينظر إليها من خلال التنقل بين المهن المختلفة ، وبطالة هيكلية وهى البطالة التى تحـــدث نتيجة حدوث تغيرات هيكلية فى الاقتصاد الوطني وكـــذلك هنـــاك البطالـــة الموسمية او العرضية .. الخ (١٠)

وبالرغم من إنـــشاء برنـــامج التوظيـــف القـــومى الـــذى يهـــدف لاستيعاب٨٩٦ ألف وافد جديد لقوة العمل فى وظائف حكومية محددة وبرامج تدريبية وبرامج الصندوق الاجتماعي .فإن البطالة لازالت من الموضـــوعان الملحة .أضف إلى ذلك أنه بالرغم من ارتفاع نسبة البطالة ، فإن قطاعـــات العمل يصعب عليها ايجاد العامل المؤهل ، وذلك لان النظام التدريبي يخفق فى إنتاج المهارات المطلوبة لسوق العمل . ووفقاً لتقريـــر منظمـــة العمـــل الدولية فإن مراكز التدريب تقليدية ومليئة بمعلمين غير مؤهلين ولا يتوفر لهم

الحافز أو المقابل المادي المناسب كما أنهم غالباً ما يفتقروا للخبرة العملية ولا يمتلكوا وسائل مواكبة التقدم (١١)

وتشير البيانات أن البطالة من أهم المشكلات فى مصر حيث تبلغ النسبة ٩% كمتوسط من قوة العمل على مستوى الدولة ولكن هذة النسبة تزداد فى بعض المحافظات كما أنها تظهر بصفة واضحة بين الإناث وكذا البالغين (١٥-٢٩) (١٩,٨% ، ٢٢,٤%) على الترتيب .كما أنها ترتفع فى الريف بصفه عامة مقارنة بالحضر . ومشاركة المرأة فى قوة العمل الرسمية منخفضة نسبياً حيث لا تتعدى ٢٥% فى اى من محافظات الجمهورية . (١٢)

ويعزى " التقرير الاقتصادى العربي الموحد " تفاقم مشكلة البطالة فى الدول العربية الى جملة من الأسباب منها فى جانب العرض : المعدلات العالية لنمو السكان وبالتالى الأعداد المتزايدة للداخلين إلى سوق العمل والهجره المتزايده من الريف الى المدن ، ودخول المرأة إلى سوق العمل ، وضعف التعليم الجامعى وعدم مواءمتة مع احتياجات السوق . وفى جانب الطلب : فإن من أهم أسباب تفاقم هذه المشكله . معدلات النمو غير الكافية التى سجلتها الاقتصاديات العربيه والتى لم تتمكن من خلق فرص العمل بما يتلاءم مع جانب العرض . وعدم احراز تقدم ملموس على صعيد تنويع القاعدة الانتاجية . وذلك بالاضافة الى السياسات الاستثمارية فى بعض الدول العربيه التى ركزت على الاستثمارات كثيفة رأس المال التى لاتحتاج لعمالة كبيرة (١٣)

هذا يعني أن هناك العديد من التحديات التى تقف فى سبيل توفير فرص عمل إلا انه من بين أهم المشكلات التى تواجة الحكومات هى مشكلة

البطالة التى تهدد بأخطار اجتماعية واقتصادية وسياسية كامنة وما يترتب عليها من هجرة العقول والمهارات إلى الخارج والتى تهدد أمال التنمية المستديمة وبناء القدرات التكنولوجية التى تمكننا من ملاحقة التطورات والمستجدات العالمية . ولا ترجع مشكلة البطالة فقط فى تزايد أعداد العاطلين خاصة خريجى الجامعات والمعاهد العليا، بل أيضاً لأن البطالة تعد انعكاساً لقضايا أكثر خطورة ، ولا زالت تُلقى بتداعياتها على مختلف أوجه الحياه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ٠

ثانياً : سياسات الدول العربية فى مواجهة البطالة وتداعياتها :

تعمل الدول العربية على وضع السياسات لحل مشكلة قلة فرص العمل باساليب متعددة، إلا انها فى الأغلب الأعم تقدم حلول جزئية يغلب عليها الطابع الآنى وتفتقر إلى سياسة عامة مستقبلية ومستمرة ٠

وسوف نعرض لسياسات عدد من الدول منها : مصر وسوريا واليمن والكويت وتونس

١ - مصر :

لم يتضمن برنامج التكيف الهيكلى والتثبيت الذى انتهجته مصر فى الثمانيات أى سياسات مباشرة تتجه نحو علاج الآثار الاجتماعية لهذه البرامج خاصة فيما يتعلق بالعمالة والفقر ٠ ولهذا فقد خلا البرنامج من أى سياسات للتشغيل والتوظيف ، على الرغم من إشارته لضرورة حدوث معدلات عالية من البطالة خاصة فى المراحل الأولى للبرنامج كنتيجة مباشرة للركود الناجم عن السياسات المالية والنقدية ذات الطابع الانكماش ، وأيضا على الرغم من إعلان الحكومة تخليها عن الالتزام بتعيين الخريجين فى الوظائف العامة ، ووضع سقوفاً للأجور ٠

وفى سنة ١٩٩١ أنشأ الصندوق الإجتماعى كآلية تـستهدف حمايـة الفئات الأكثر تضرراً من برنامج التكيف الهيكلى ٠ وهذا لا يمثل شبكة أمان كافية لهذه الفئات ، ذلك أن سياسة التشغيل التى ينطوى عليها الـصندوق لا تتضمن توفير ضمان ضد البطالة أو برامج متكاملة للتوظيف ٠

ورغم ذلك فقد تضمن برنامج الصندوق الإجتمـاعى عـدة برامج تقترب من مواجهة تداعيات السياسات الاقتصادية الانكماشـية علـى التشغيل والعمالة ، منها :

١ - برنامج تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسـطة ، خاصـة كثيفة العمالة والمدرّة للدخل ، ويقدم الائتمان لتمويـل رأس المـال العامـل والمعدات والمستلزمات ونفقات التشغيل ، كما يقدم فرصاً للتدريب المهنـى والفنى والإدارى ٠ كما يقدم البرنامج منحاً لأترد ، للمساعدة الفنية والتدريب بهدف خلق وظائف دائمة للخرجين العاطلين وصغار أصحاب المشروعات ٠

٢ - برنامج تنقل العمالة الذى يقدم خدماته للشركات التى تحدث تغييرات هيكلية تؤثر على العمالة بها ، مما يوفر بداية متاحة أما العامـل ، مثل التقاعد المبكر أو إعانة التدريب أو إعادة البطالة أو مشروع صـغير أو فرصة عمل بديلة ٠

٣ - برنامج تطوير المنشآت التى تتولى تنفيذ المشروعات ورفع كفاءتها الفنية والإدارية ، ودعم قدرتها التنظيمية ، وهو يستهدف المنظمـات غير الحكومية ، ونقابات العمال والمنظمـات النـسائية ، وكـذلك إعـداد الدراسات والبحوث لقياس درجات الفقر ومدى انتـشارها علـى خريطـة المجتمع المصرى

٤ – برنامج تنمية المجتمعات المحلية لدعم المشروعات الإنتاجية الصغيرة والتعاونية والخاصة ، وإتاحة فرص الإقراض والتدريب وتوفير المعدات لها وتسويق منتجاتها ، وهو يتجه بالأساس إلى الأسر منخفضة الدخل والنساء والأطفال والشباب العاطل ، كما يقوم بتمويل بعض الخدمات التعليمية والصحية ٠

٥ – برنامج الأشغال العامة الذى يمول مشروعات محددة كثيفة العمالة فى المناطق كثيفة البطالة والفقر فى قطاعات مثل الصرف الصحى والزراعى ومياه الشرب والرى وحماية البيئة والطرق ٠

بالتالى فإن الصندوق الإجتماعى فى مصر لا يمثل سوى ترتيبات محدودة مؤقتة ذات موارد مقيدة بشروط الدول المانحة ، ومثل هذه الترتيبات والإجراءات الوقتية ذات الطابع الملطف ، لا يمكنها حل قضية البطالة التى وصلت لمعدلات مرتفعة ٠

لذا فإن الصندوق لا يتخطى مهمة مواجهة حالات طارئة معينة تتعلق بأثار الخصخصة على العاملين ، ولا يمكن إعتباره إستراتيجية عامة للتوظيف يمكنها التصدى لبطالة تتزايد معدلاتها يوماً بعد يوم ٠

ولعل الأمر يقتضى حفز القطاع الخاص على خلق فرص عمل يمكنها إستيعاب الأعداد المتزايدة من الخريجين والداخلين إلى سوق العمل ، وذلك بتشجيع الإستثمارات ، وخاصة تلك التى تستخدم تكنولوجيات كثيفة العمالة ، فى ظل إنخفاض قدرة المشروعات العامة على إستيعاب العمالة بعد تنظيم قطاع الأعمال العام ، بل وفى ظل وجود مشكلة بطالة مقنعة وعمالة زائدة ينبغى التخلص منها ٠

وتتفاقم مشكلة البطالة فى الريف أيضاً فى ظـل الإتجـاه المتنـامى لقطاع الزراعة نحو تكثيف الميكنة الزراعية كثيفـة رأس المـال مـنخفض العمالة ، خاصة فى مشروعات استصلاح الأراضى ذات التكنولوجيا المتقدمة وبالتالى فإن قدرة قطاع الزراعة على خلق فرص عمل جديدة تكاد تنحصر فى الصناعات الريفية . ويظل عبء امتصاص العمالة ملقى بالاساس على الصناعة والبناء والقطاع الخدمى .

كما اختفت سياسة التوظيف من عمليات التكيف الهيكلى التى تحكـم التوجه الإقتصادى العام فى مرحلتيها الأولى والثانية ، ولم تشير سوى لدعم موارد ودور الصندوق الذى لم تستفيد من مشروعاته سوى قلة من الفئـات الأكثر فقراً ، بينما أكثر من أفاد منها أصحاب الدخول المتوسطة فى الحضر .لقد كان الصندوق الإجتماعى للتنمية فى مصر هو الأقل كفاءة فيمـا بـين نظرائه بدول نامية أخرى ، حيث كانت (نسبة المشروعات ÷ عدد العاملين) هى الأقل ، وكانت تكلفة خلق فرصة عمل جديدة هى الأعلى ، حيث كانـت فى مصر ٥٣٠ $ مقابل ٢٥٩ $ فى شيلى [١٤] .

ولعل أفضل تعليق ما أشار إليه " رمزى زكى " وهـو أن بـرامج التكيف الهيكلى تهدف فى حقيقة الأمر إلى توفير الموارد التى ترفع من قدرة هذه البلاد على دفع ديونها الخارجية مستقبلاً ، وقد تضمنت هذه البـرامج ، فى بعض الحالات ، عن تحسن نسبى فى الأوضاع المالية والنقدية للـبلاد (خفض نسبة عجز الموازنة ، خفض معدل التضخم ، زيادة حجم الاحتياطيات فى الدولة ...) وكان تحقيق ذلك بتكلفه اقتصادية واجتماعية مرتفعة ، كان أبرزها زيادة معدلات البطالة وخفض مستوى المعيشة [١٥] .

ويعد عنصر العمل من أهم عناصر الإنتاج لبس فقـط لـدورة فـى العملية الإنتاجية بل لماله من ارتباط مباشر بالإنـسان ومـستوى المعيـشة والرفاهية وكذلك بالنسبة للمجتمع واسـتقراره الـسياسى والإجتمـاعى [١٦] ويشير تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ إلى تزايد تركيز الـدخل والثروة فى أيدى قلة قليلة لم يصاحبها ارتفاع فى الاستثمار بما يساعد علـى قيام نمو أسرع ومن ثم لا تبدو فرصه لمكافحه البطالة على صعيد العـالم أو حتى التخفيف من الفقر [١٧] . وتشير نتائج مسحى الدخل والإنفاق فى مصر فى النصف الأول من التسعينيات إلى تحسن معامل جينى بمعنـى توزيـع الدخل أصبح أكثر عدالة . الأمر الذى لا يستقيم مع مجمل تطور الأوضـاع الاقتصادية خاصة على معيار البطالة والفقر والمشاهدات على توزيع الثروة فى الفترة نفسها ، هذا فى حين قُدر معامل جينى فى العام ١٩٩٧ بما يقارب ٣٧% مقارناً بحوالى ٢٨% فى العام ١٩٩٥ وهو ارتفاع ضخم فـى مـدة قصيرة يدل على تفاقم سريع فى سوء توزيع الدخل ، كما انخفض نـصيب العمل من القيمة المضافة من قرابة ٤٠% فى عام ١٩٧٥ إلى حوالى ٢٥% فى العام ١٩٩٤ يعنى ذلك تدهور توزيع الناتج القـومى لمـصلحة عوائـد الثروة[١٨] .

ويشير التقرير العربى الموحد إلى أنه من الأمور التى ساهمت فـى زيادة البطالة فى عدد من الدول العربية إجراءات أصلاح مؤسسات القطـاع العام التى يجرى إتخاذها فى إطار برامج التصحيح الاقتصادى بالإضافة إلى الجهود الرامية إلى نقل ملكية هذه المؤسسات إلى القطاع الخاص ممـا أدى إلى فقدان بعض العاملين لوظائفهم – كما تشير البيانات المتاحة إلى تراجـع إعداد العاملين فى قطاعى الصناعة والزراعة لصالح قطاع الخدمات . فقـد

تراجعت نسبة العاملين فى قطاعى الصناعة والزراعة إلى إجمالى القوى العاملة من ٤٢% ، ٢٦% عام ١٩٨٥ إلى ٣٦%، ٢٠% عام ١٩٩٨ ولم يقابل الانخفاض فى نسب العاملين فى هذين القطاعين زيادة فى الإنتاجية[١٩]

والأمل معقود على القطاع غير الرسمى فى مصر والذى يضم نحو ٢,٨ مليون وحدة مسؤلة عن إيجاد نحو ٦ مليون فرصة عمل أى ٣٦% من إجمالى قوة العمل ويساهم بنحو ٢٠% من الناتج المحلى الاجمالى ، ٨٢% من إجمالى الوحدات صغيرة الحجم – إلى القطاع الرسمى من جهة ومشاركته فى الأسواق من جهة أخرى يتطلب إعادة هيكلة الإجراءات وإزالة المعوقات لتسجيل مشروعاتهم [٢٠] ٠

٢- سوريا :

فى ظل غياب إستراتيجية واضحة للتشغيل تنبثق منها برامج وسياسات للتوفيق بين عرض العمالة المحلية والطلب عليها ، لذا ظهرت مشاكل عديدة بمجال التشغيل هى :

١ - تشكل عمالة الإنتاج أعلى نسبة من العاطلين ممن سبق لهم العمل ، حيث بلغت نسبتهم ٥٦% يليهم عمال الزراعة ٢٠% سنة ١٩٩١ ٠ ووفقاً للنشاط الإقتصادى تبلغ نسبة البطالة بين من سبق لهم العمل أعلاها بين عمال الخدمات الاجتماعية وهى ٢٥% تليها النسبة بين عمال الصناعات التحويلية ٢٠% (٢١) ٠

٢ - تتركز مساهمة المرأة بالنشاط الإقتصادى فى الإنتاج الزراعى ٧٢% ، ثم فى الخدمات ١٩% ، وعمال الإنتاج ٣% ٠

٣ - لا تتوافر بيانات عن البطالة المقنعة والهجرة الخارجية ومستويات المهارة وفق تعريفات ومعايير واضحة ومحددة ٠

٤ - تعتبر هجرة الكفاءات العلمية والعمالية الماهرة نزيفاً واضحاً للمواد البشرية فى سوريا يؤدى إلى نقصاً حاداً فى العمالة الماهرة ٠

ولا يتوافر لمكاتب التشغيل الصادرة بالقانون رقم (١) لسنة ١٩٨٥ إمكانيات ومقومات أساسية تمكنها من أداء مهمتها للتعرف على المؤشرات فى سوق العمل ، وإحلال التوازن بين العرض والطلب أو دراسة سوق العمل وحل المشاكل والقصور الذى يظهر به ٠

وفى مواجهة مشكلة البطالة أتبعت الحكومة السورية عدة سياسات تتمثل فى:

١ - سياسات سكانية إستراتيجية وهذه تقوم على :

- الحد من الهجرة إلى المدن ، الحد من الزيادة السكانية ببرامج تنظيم الأسرة ٠

٢ - سياسات تعليمية :

إعادة النظر فى التركيبة التعليمية والمهنية للقوى العاملة حتى تتلاءم مع التقنيات الحديثة ، وخطط التنمية واحتياجات المشروعات فى سوريا ، ووضعت هذه السياسات بحيث تحقق هدفين :

أ - أن تصل نسبة القادمين إلى مدارس التعليم المهنى من خريجى المرحلة الإعدادية إلى ٦٠%، و ٤٠% إلى التعليم الثانوى ينقسموا بالتالى إلى ٧٥% ثانوى عام ، ٢٥% ثانوى فنى ٠

ب - وأن نسبة ٧٠% من خريجى الثانوية العامة يصلوا إلى مؤسسات التعليم العالى ٦٥% إلى الجامعة ، ٣٥% إلى المعاهد المتوسطة ٠

٣ - سياسة التعددية الاقتصادية :

وذلك بإتاحة دور للقطاع الخاص مما أدى إلى ٠

أ – سحب هذا القطاع العمالة الماهرة من القطاع العام ، وليس من العاطلين ، وهو ما أدى لانخفاض إنتاجية القطاع العام ، الذى يلجأ للتخلص من العمالة الزائدة ، فتتفاقم مشكلة البطالة بدلاً من تخفيضها ٠

ب – استخدام القطاع الخاص تكنولوجيات كثيفة رأس المال لتحقيق أرباحاً أعلى، وهو ما يؤدى أيضاً لتفاقم البطالة ٠

فى النهاية يبدو من الواضح أن سوريا لم تنتهج سياسة واضحة المعالم بشأن التشغيل ، وهو ما جعل منها مثالاً حياً يجسد ظاهرة هجرة العقول ، التى لم تشكل حلاً لمشكلة البطالة فى سوريا ، بل على العكس فقد طالت مستويات وظيفية ضرورية للتنمية ، ظهر بها عجزاً واضحاً ٠ وذلك نتيجة عدم دراسة وتقييم هذه الظاهرة والنمو السكانى الكبير وضيق فرص العمل والتقدم فى التعليم الجامعى ، وعدم وجود أى قيود على هجرة السوريين للخارج ، ولا على عودتهم حين يشاءون ٠ فكانت عملية إطلاق لحرية الهجرة بلا ضوابط ، رغم إشارة الخطط الشاملة للتنمية للانعكاسات السلبية لهذه الهجرة (٢٢) ٠

٣ – الكويت :

تقوم سياسة التشغيل الكويتية على إعادة تقييم آليات الهجرة ، ووضع معايير لانتقاء العمالة الوافدة ، للحد من العمالة الهامشية وإحداث التوازن الأمنى بين تركيبة الجنسيات القادمة٠ ولازالت هذه السياسة تفتقد لآليات واضحة لتنفيذها وبرامج مدروسة ومؤسسات مسئولة عن سياسات التوظيف واستقدام العمالة ٠ وهو ما أدى لتعقد مشكلة البطالة بين الشباب وما تتبعها من تداعيات اجتماعية خطيرة على المجتمع الكويتى ٠

ورغم قيام وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بإنشاء مركـز لتنميـة وتشغيل القوى العاملة الوطنية سنة ١٩٩٣ ، إلا أنها لم توفر له الإمكانـات اللازمة لتوسيع رقعة أنشطة ومجال عمله ، واكتفت الوزارة بمجرد تسجيل أسماء وأعداد الباحثين عن وظائف [٢٣] مع القيام بعـدة إجـراءات مؤقتـة وحلول شكلية لمشاكل البطالة وعدم التوازن بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمل بالكويت ٠ مثل خفض الدرجات الوظيفية ورفع الحوافز ومـنح العلاوات ، وغيرها من الامتيازات المادية ٠ مع قيام الحكومـة بمحـاولات توظيف الشباب بقطاع النفط ، وهى محاولات لم يكتب لها النجـاح بـسبب ارتفاع الكثافة الرأسمالية لهذا القطاع وانخفاض الأعداد التى يتطلبهـا مـن العمالة مع التركيز على المهارات العالية منها ٠

وفشلت خطط التنمية التى وضعتها الحكومة فى تـشغيل الكـويتيين خارج القطاع العام ، بسبب عدم التدخل الحكومى المباشر ، حيث لم تـنجح آليات السوق وحدها فى دفع القطاع الخاص لتوظيف المواطنين ، وكان يمكن للحكومة أن توظف المواطنين فى شركات مشتركة بينها وبين القطاع الخاص ، أو أن تقدم الدعم للقطاع الخاص لدفع رواتب هذه العمالة لفترة محـدودة ، كما كان يمكنها تشجيع القطاع الخاص على المساهمة فى تمويـل عمليـات التدريب والتأهيل ، وتشجيع العمل الحرفى باسـتخدام ودعـم الـصناعات الصغيرة والمتوسطة للشباب الكويتيين ٠

ولازال الشباب الكويتى ينتظر الكثير مما يمكن للحكومة أن تقوم به مثل :

١ - وضع إستراتيجية سكانية واقعية توازن بين هدفين متناقضين الأول إحداث التوازن الأمنى بين الجنسيات الوافدة ، والثانى هدف تعجيـل

عمليات النمو الإقتصادى والتنمية الشاملة وهو هدف يعتمد على فتح باب الهجرة والتوسع فى منح التراخيص التجارية طبقاً لاحتياجات السوق والنشاط الإقتصادى ، مما قد يعمق من فجوة التركيبة السكانية لصالح الأجانب ، ولكنه سيؤدى للانتعاش وتوسيع حجم السوق والسكان ٠ بعكس الهدف الأول الذى تصحبه إجراءات انكماشية مثل الحد من الهجرة ، مع انتقاء أعداد وجنسيات القادمين ، مع المحافظة على معدل الزيادة الطبيعية فى حدود ٣,٤% ، وهى إجراءات تكمش النشاط الإقتصادى وتعمل فى اتجاه الركود ٠

٢ – قيام هيئة مستقلة بالتعامل مع الوافدين بدلاً من تعدد الجهات والإجراءات المختلفة ، مع وضع المعايير اللازمة لمنح التراخيص التجارية ، وتنظيم استقدام العمالة٠

٣ – قيام وزارات الشئون الاجتماعية والعمل والتجارة بتحديد متخصصين لتقدير الحاجات الوظيفية ومتطلبات سوق العمل الكويتى [٢٤] ٠

٤ – اليمن :

قامت الدولة بإنشاء الصندوق الإجتماعى للتنمية فى منتصف سنة ١٩٩٧ كمؤسسة مستقلة ضمن خمسة أجهزة تستهدف معالجة الآثار الاجتماعية لبرامج التكيف الهيكلى ومكافحة الفقر بشكل أساسى ٠ وهذه الأجهزة هى :

١ – صندوق الرعاية الاجتماعية ٠

٢ – وحدة تنمية المشروعات الصغيرة ٠

٣ – برنامج التدريب وإعادة التأهيل لتخفيف حدة الفقر ، وتوفير فرص عمل للفقراء ٠

٤ – صندوق رعاية المعاقين ٠

٥ – الصندوق الإجتماعى للتنمية ، والذى يستهدف توفير العمل فى الأجل الطويل عن طريق تمويل البرامج والمشروعات ، وذلك فى اتجاهات ثلاث :

الأول : توفير خدمات أساسية عن طريق مشروعات التنمية الخاصة بالمجتمعات المحلية فى مجالات مثل المياه والمرافق والتعليم والصحة وشق الطرق ، وإنشاء مشروعات كثيفة العمالة بشكل عام ، وكذلك تمويل الخدمات الاجتماعية الأساسية فى المناطق المحرومة التى ينتشر فيها الفقر ، وذلك بغرض بناء القدرات وتشجيع الإدارة الذاتية.

الثانى : توفير الائتمان لتمويل المشروعات الصغيرة جداً من خلال قروض قصيرة الأجل لمساعدة الفقراء والعاطلين على زيادة الدخل وتنمية مواردهم ، وتخليق فرص تشغيل دائمة من خلال تزويدهم برأس المال اللازم

الثالث : التنمية المؤسسة الهادفة لبناء القدرات المؤسسية للمنظمات غير الحكومية النشطة ، والأجهزة الحكومية المختصة والمشروعات الفردية . وذلك بتوفير الدعم لها ، ولصغار المقاولين لتمكينهم من القيام ببعض مشروعات التنمية .

وحيث ينتشر الفقر فى المجتمع اليمنى الذى يمثل فقراءه حوالى ٨٣% من السكان يعيشون فى المناطق الريفية التى يقطنها ٧٠% من إجمالى سكان اليمن ، فمن الصعب تحديد واستهداف الفئات الأكثر فقراً من غيرها ، كما يذكر البنك الدولى. فيبدو أن كل سكان اليمن يحتاجون إلى شبكات الأمان الاجتماعية لحمايتهم من آثار الإصلاحات الاقتصادية ، فضلاً عن أن ضعف الهيكل المؤسسى الشديد فى اليمن خاصة فى المناطق الريفية ،

يصعب على الصندوق الوصول إلى الـشركاء المناسـبين للتنميـة وتنفيـذ مشروعاته التى يمولها ويقدم لها المساعدة العينيه [٢٥] .

٥ – تونس :

تتركز سياسة التوظف فى تونس على مكافحة البطالة خاصـة بـين المتعلمين . وفى إطار برنامج إعادة الهيكلة الاقتصادية ، تأسـس صـندوق التأهيل المهنى سنة ١٩٩٠ تحت إشراف البنـك الـدولى ، بهـدف تأهيـل العاطلين من الشباب لتلبية الطلب على العمالة فى سوق العمل التونـسى . وتدريب وإعادة تدريب العمالة على ممارسة المشروعات الخاصة والأعمال الحرة والمؤقتة والحرفية. ولقد نجح هذا البرنامج فى إدماج حـوالى ٧٤% من طالبى العمل فى المؤسسات الإنتاجية .

ورغم ذلك لا يمكن القول بنجاح برامج التشغيل التونسية فى تحقيق أهدافها فى استيعاب ومحاصرة أزمة البطالة مع الموائمـة بـين العـرض والطلب على القوى العاملة . ذلك أن هذه البـرامج المخصـصة لمكافحـة البطالة وتأهيل الشباب المتعلمين قد إتسمت بضعف مردود عقود الانتـداب والالتزام . بل كان هذا المردود سلبياً فى بعض هذه البرامج بحيث أدت إلى زيادة البطالة بدلاً من الحد منها ، نتيجة عدم استخدام تحليل المنفعة / التكلفة للمبالغ المنفقة على هذه البرامج والتى كانت بالإمكان استخدامها بفعالية أكبر فى خلق فرص عمل دائمة . والمثال على ذلك فى برامج الأشـغال العامـة التى أنشأت ورشاً وطنية لضمان فرص عمل مؤقتة فـى صـيانة الطـرق وتأهيل المبانى العامة .

هذا فضلاً عن الانخفاض الملحوظ فى نوعية التدريب . أما أكثـر المستفيدين بأغلب مساعدات بنك الدولة فهم مجموعة من أصحاب الأعمـال

الذين استخدموا هذه المعونات فى استخدام عمالة رخيصة مدعومة الأجور ، لأعمال تتطلب مؤهلات منخفضة (٢٦) .

ثالثاً : نتائج الدراسة الميدانية : الواقع والرؤى المستقبلية :

بتحليل استجابات المبحوثين وجد ان هناك تداعيات كثيرة وأمراض اجتماعية وظواهر غير صحية ومشكلات اقتصادية واجتماعية ونفسيه تكشف فى مجملها عن حجم البطالة بين الشباب وخاصة المتعلم منهم وآثارها السلبية ومصاحباتها على الفرد ومجتمعه والرؤى المستقبلية لسبل حلها أو التخفيف من حدتها ٠

تشير أدبيات علم الاجتماع ونتائج البحوث الميدانية وتقارير التنمية البشرية إلى أن قلة فرص العمل أمام الشباب تمثل عقبة يترتب عليها هدر لرأس المال البشرى (يعود بالسلب على وجود الفرد ووعيه وعلى المجتمع واستقراره وتنميته ورفاهيته) وأن هذه المشكلة (ندرة فرص العمل) التى يعانى منها الشباب ليست مشكلة شخصية ولا يمكن حلها أو استيعابها إلا نظرنا إليها فى سياقها الكلى وإدراكها بوصفها مسألة اجتماعية (وليست مجرد مشكلة فردية) ليس فى المحيط المباشر فقط ولا فى المجتمع المحلى فحسب ولكن فى الإطار العالمى لها ٠

يعن هذا أن مشكلة الطالب الجامعى عندما يتخرج من الجامعة بأعلى التقديرات ورغم ذلك يعجز فى العثور على فرصة عمل لا ترجع إلى قصور فى إمكاناته الذاتية ولكنها لابد أن تُفهم على أساس التحديات المحلية والعالمية وما يترتب عليها من تداعيات ومصاحبات اجتماعية متعددة وفيما يلى نعرض لأهم المصاحبات الاجتماعية ٠

فقد أشارت ٨٥% من حالات الدراسة الميدانيـــة إلـــى أن ضـــعف الاستثمارات وطبيعتها يأتى فى ضوء التدهور الأمنى الحادث على مـــستوى المنطقة العربية ٠ وما تقوم به أمريكا على صعيد المنظمات الدولية احتلالها للعراق ودعمها لإسرائيل وانحيازها ضد العرب والمسلمين وتهديدها لسوريا وإيران بأساليب متعددة وغيرها مما اثر بالسلب على مناخ الاستثمار ٠

كما أشارت نسبة ٧٠% من حالات الدراسة إلى أن من أهم أســـباب انتشار البطالة هو ان منظمة التجارة العالمية وغيرها من مؤسسات يستخدمها النظام العالمى الجديد لاستعمار العالم باستغلاله بأساليب جديدة (اللافتة تتغير والمضمون باق) مما يشكل عبئاً على الاقتصاديات الوطنية، كما أنه فى ظل الخصخصة يتم تسريح عدد كبير من العمال واستبداله بالتكنولوجيا الحديثة ، يؤكد ذلك نتائج بحث أشار إلى أن تطبيق التكنولوجيا عالية التقنية أصـــبحت تمثل ٨٠% من اقتصاديات العالم المتقدم بينما ٢٠% فقط هى نـــصيب رأس المال والعمالة والموارد الطبيعية [٢٧] مما أثر على معدل التشغيل ٠

وذهب ٦٥% من أفراد العينة إلى قله فرص العمـــل المتاحـــة وأن البطالة أصبحت أمراً مألوفا وهى الحالة الطبيعية لذا يجب (والكـــلام علـــى لسان حالات الدراسة) أن تسألنا كام واحد ممكن يلاقى شغل فعلـــى ســـبيل المثال دفعة كبيرة تفوق الأربعة آلاف طالب وطالبة (بكلية الآداب – جامعة المنصورة) ربما لا يحصل من هذا العدد الكبير على وظيفة إلا قلة تعد على أصابع اليد ولابد أن تتوفر لها شروط أخرى كالوســـاطة والوضـــع المـــالى للأسرة ٠٠ الخ ٠

وها هى حالة منهم تشير بان لها أخوة وأخوات خريجى الجامعة منذ سنوات فى تخصصات مختلفة من كليات ما يسمى بالقمة ولم يجدوا فرصـــة

عمل وأنهم يعملون فى أى مجال (بأجر يومى) أو أعمال مؤقتة وكلها أعمال عضلية ٠

كما تشير حالة أخرى تقول بأن جلوس الواحد بدون عمل مع وجود حاجة مادية (فقر) بينتج عنه توتر وقلق لأى شاب مثلى لأننى عاوز آكل وأشرب ونفتح بيت ونعيش ذى كل الناس وعدم تحقيق ذلك بيترتب عليه انتشار السرقات والزواج العرفى ٠٠ الخ وتشير الدراسات إلى أن المجتمعات العربية مثل شعوب العالم الثالث يعيش أغلبهم فى حالة فقر ويسقط عدد كبير منهم فى هوة الحرمان مع فشل خطط التنمية (٢٨) ٠

وتصرح حالة أخرى بقولها أنا عاوزة أتزوج وكل واحد يتقدم لخطبتى نسأله عندك شقة يقول ربنا يفرجها طيب بتشتغل فين آهوه يوم هنا شغلانه أو هناك مندوب مبيعات يعنى مفيش استقرار وده حال الشباب كله فطبعا بنرفض وفى نفس الوقت بدأ العمر يجرى ومش عارفه اعمل إيه !! ما هوه لو فيه شغل كانت إتحلت كل مشاكلى علشان كده الشباب بيعانى والأمل فى الله سبحانه وتعالى ٠

وتشير حالة أخرى إلى أن الطلاب أثناء أدائهم للامتحانات لا يريدون النجاح لأن الواحد طول ما هوه فى الدراسة الأسرة بتوفر له كل متطلباته ولكن المشكلة شيفينها مع أخواتنا الكبار اللى أتخرجوا من الجامعة من معاناة فى البحث عن فرصة عمل وكم التوبيخ من الأسرة لحثهم على البحث عن فرصة عمل بدون جدوى لذا يعيش الشباب حالة من التهميش والرفض للواقع ٠ يؤكد ذلك نتائج الدراسات التى تشير إلى أنه فى ظل تزايد البطالة وتفكك نظام العمل المستقر نتجت مجموعة كاملة من المشكلات الخاصة (بما فيها ظاهرة التهميش الاجتماعى والتهميش الذاتى ، الرفض والعنف ٠٠ الخ (٢٩)

كما تشير حالة أخرى إلى أن خالتها تعمل فى وظيفة إدارية مرموقة بالجامعة وتسعى بإلحاح شديد وتطرق كل الأبواب كى تعين أبنتها فى وظيفة (عاملة مؤقتة) بشهادة الابتدائية – رغم أن ابنتها حاصلة على الشهادة الجامعية – وهذه الحالة تظهر بوضوح مدى وحجم البطالة التى يعانى منها الشباب فى المجتمع ٠

وذهب ٩٠% من حالات الدراسة الميدانية إلى أن الشباب يعانى من اضطراب وإحباط شديد سواء من ضعف الأمل فى وجود فرصة للعمل أو الزواج وتكاليفه وما يترتب عليه من انتشار القيم السلبية والهابطة والانحرافات بأنواعها حتى وصلت لدرجة تخريب الذات ٠ مما يفضى إلى التهميش والإحساس بالاغتراب وضعف الانتماء ٠ وها هى حالة منهم تقول (بعد التخرج كنت فرحان إننى أنهيت دراستى بنجاح وفاكر العملية سهلة وأن الشباب لا يبذل الجهد الكافى للحصول على فرصة عمل ولكن : بعد أن سُدت جميع الأبواب فى وجهى على مدار الثلاث سنوات الماضية فقدت الأمل وكل يوم بيفوت بيزيد إحباطى لدرجة أننى عاوز أفضل نايم فى البيت مش عاوز النهار يطلع وها هى حالة أخرى تقول (ما يحسش بالنار إلا اللى كبشها) لأن فاقد العمل فاقد لكل شىء فاقد لهويته وشخصيته ملىء باليأس والإحباط ، يحس بالعجز – رغم ما بداخله من طاقة وقدره على العمل والإبداع – والظلم لذا فشباب وصل إلى هذا الحد من التهميش والاغتراب والإحباط يعد بمثابة قنبلة موقوتة يُتوقع منه أى شىء ٠

يؤكد ذلك ما حدث فى " المغرب " حيث قام مجموعة من الشباب بما يزيد على ٣٠٠ شاب لا يجدون فرصة عمل باعتصامهم فى مقر احد مراكز الحرف اليدوية لمدة كبيرة بلغت عدة أشهر فى يوليو عام ١٩٩١م فى مدينة

سالة وسميت " بحركة سالة " وقامت الحكومة والقطاع الخاص بتوفير فرص عمل للبعض منهم [٣٠] وكان من الممكن أن تتحول إلى ثورة لا يحمد عقباها نتيجة ما يعانونه من بطالة ٠

وتذهب حالة أخرى إلى أن الشباب الذى يحتاج إلى المال تنازل عن بعض طموحاته فى ظل ندرة فرص العمل وقبوله أعمال يدوية أو حرفية (رغم نظرة المجتمع الدونية للبعض منها) أو قبول العمل فى بعض المناطق السياحية والمطاعم ، والجرى وراء حلم السفر عبر قنوات ربما تكون وهمية أو بطرق غير شرعية وجميعها تخضع لقانون الصدفة وقد تكلفه أحياناً حياته لا قدر الله ٠ أو تهبط عليه ثروة (من سيربح المليون٠٠) ٠ أما إذا كان الشباب ينتمى إلى أسرة غنية فتفتح له مشروع غير منتج كوفى شوب ، نادى كمبيوتر ٠٠ ومن لم يجد هذا ولا ذاك فهو يكون عرضة لتيارات مختلفة أو يقبل على الإدمان أو السرقة أو العنف إلى غير ذلك ٠

يؤكد ذلك نتائج دراسة ميدانية أشارات إلى أن معظم أعمال العنف ترتكب من أفراد لا يجدون فرصة عمل مناسبة وجاءت فى المرتبة الأولى بنسبة ٧٣,٨% وهذا يدعم انتشار الممارسات الغير سوية فى المجتمع نتيجة قله فرص التشغيل [٣١] .

ونكتفى بعرض ما جاء على لسان هذه الحالة التى أشارت إلى أن هناك أفكار خطيرة يتناقلها الشباب – وهى فى تزايد – وتتمثل فى الزواج من أجنبيات للحصول على الجنسية وحلم السفر ٠٠ الخ بل يذهب الشباب خصيصاً للعمل فى شرم الشيخ كى يتزوج من أجنبيه ٠ مما يشكل خطراً على الانتماء الوطنى وتهديد لكيان المجتمع وهدر لطاقاته الشبابية ٠ يدعم ذلك نتائج بحث أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة،

إذ ذهب إلى أن اخطر المشكلات التى تترتب على بطالة الشباب ما يتولد عنها من مشاكل تمس الجوانب السياسية والأمنية فى المجتمع (٣٢) .

وفى ظل هذه السلبيات أشارت حالات الدراسة إلى أن الحل بسيط ويكمن فى التخطيط الجيد المستمر والمتكامل والاستثمارات الوطنية فى مشروعات منتجة والعمل من أجل المصلحة العام وكل ذلك يتحقق من خلال الاعتماد على الذات وتحسين التعليم وتطوير القوانين والمشاركة المجتمعية لكل شرائح المجتمع فى ظل تعاون عربى مشترك .

كل ما سبق يؤكد أن العمل هو نقطة الانطلاق الأساسية لمواجهة الحياة العامة كفرد مستقل ومسئول ، ويأتى تناولنا لقضية البطالة وتداعياتها كواقع يعيشه ويتعايش معه الشباب ويؤثر عليه سلبياً (بتدمير للذات – هدر للطاقات – الاغتراب – ضعف الانتماء – التهميش – الجريمة بأنواعها – العنف – إنهيار القيم ...) ؛ فالعمل يعد المرحلة الأساسية بعد التعليم من اجل بناء مستقبله وإشباع حاجاته الأساسية وتحقيق حلمه فى الزواج وتكوين أسرة وتحمل مسئولياته .

وعلى هذا الأساس فمدى رضائه أو إحباطه ، نجاحه أو فشله فى تحصيل فرصة عمل يحدد موقعه / موقفه ، على آفاق المستقبل . بل ويحدد أيضا النقطة التى يقع فيها مجتمعه على متصل التقدم والتأخر .

خاتمة :

تعد البطالة من أكثر المشكلات التى استحوذت على اهتمام الباحثين العرب ، ولا يرجع ذلك فقط إلى تزايد أعداد العاطلين بالدول العربية خاصة

فيما بين الخريجين من الجامعات والمدارس العليا ، بل أيضا لأن البطالة تعد انعكاسا لقضايا أخطر بكثير لم تحل حتى الآن ، ولازالت تلقــى بتــداعياتها على مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالدول العربيــة ٠ مثــل قضية نوعية التعليم ، وقضية الزيادة السكانية بمعدلات أعلــى كثيــراً مــن مثيلاتها بالدول الأخرى ، حيث يبلغ معدل نمو السكان ٣% سنوياً بالــدول العربية ، حتى وصل حجم سكان الوطن العربى إلى حــوالى ٢٦٦ مليــون نسمة سنة ٢٠٠٠م ، وهى زيادة ضخمة تــستدعى بــذل جهــوداً مــضنية لاستيعاب وتدريب وتقديم الخدمات لهذا التكدس البشرى الضخم بما يتماشى مع التطورات العالمية من خلال خطط وخدمات التعليم والصحة والاتصالات

ومن الصعب القول بأن أى دولة عربية تمتلك إستراتيجية ومنهاجــاً واضحاً للتوظيف ينطوى على سياسات تشغيل متكاملة تتضمن برامج لحماية المعرضون للبطالة ، وبرامج لتطوير فرص العمــل والعمالــة والإنتاجيــة بالسوق ٠ ذلك أن سياسات التوظيف الفعالة والمتكاملة ينبغى أن تتضمن :

أولاً : إجراءات علاجية لمشكلة البطالة مثل : الإعانات الاجتماعية والتأمين الصحى وتوفير فرص عمل مؤقتة ، وغيرهــا مــن الإجــراءات السريعة لمواجهة الأزمة ، والمــساعدة علــى تحمــل تكــاليف الاقتــصاد الرأسمالى، من خلال برامج لزيادة الدخل ودعم الأنشطة الإنتاجية ٠

ثانياً: إجراءات تعتمد على المبــادرة والعمــل الايجــابى بهــدف محاصرة مشكلة نقص التوظيف منذ البداية ، وعدم الانتظار حتــى تتفــاقم وتظهر بشكل حاد ، يصعب على الإجراءات العلاجية مواجهته ٠ ومثل هذه تستهدف إعادة تدريب العمالة بغرض إعادة توظيفها ، وتطــوير مهــارات جديدة ، بما يؤدى لزيادة الاستثمار البــشرى الــذى يعــد أفــضل أنــواع

الاستثمارات. أى أنها إجراءات تتخذ من خلال الجهود التنموية فــى إطــار خطة الدولة ، وعادة ما تشمل عدة عناصر :

١ - محاولات التوفيق بين جانبى العرض والطلب على العمالــة بالأسواق ، بحيث ألا يعمل النظام التعليمى على تفريخ أعداد من الخــريجين لا يجدون فرصاً حقيقية للاستفادة بمؤهلاتهم ، بما يتــيح للدولــة إكتــساب المردود الحقيقى للاستثمارات التى أنفقتها على التعليم والتربيــة . وبحيــث تتجه خطط وبرامج الاستثمار بشكل عام لاستخدام تكنولوجيا أكثر كثافة فى العمالة ، وتتطلب مهارات متوافرة محلياً .

٢ - توظيف الأفراد الذين يعــانون مــن البطالــة الاحتكاكيــة Frictional ، وتوفير السبل الملائمة لتسهيل حركة تنقلات العمالــة بــين الوظائف المختلفة .

٣ - التعامل الإيجابى مع البطالة الهيكلية ونقص الطلــب علــى العمل ، عن طريق رفع قدرات وكفاءات الأفراد الإنتاجية ، وتحسين درجــة الموائمة بين العامل والوظيفة .

٤ - توفير قاعدة بيانات عن أسواق العمل ، ووضــع البــرامج اللازمة لعلاج القصور فى الأسواق

٥ - برامج التدريب والتأهيل الهادفة لزيــادة إنتاجيــة الفــرد ، وبالتالى زيادة دخله ، وزيادة معدلات التراكم الرأسمالى ، مما يوفر المنــاخ لإقامة وحدات إنتاجية واستثمارات جديدة يمكنها خلق فرص العمل للقــادمين الجدد إلى أسواق العمالة .

أهم التوصيات :

مما سبق يؤكد أنه بتوفير فرص عمل للشباب نقضى على معظم إن لم يكن كل المصاحبات الاجتماعية السلبية وذلك من خلال :

- الاهتمام بجودة التعليم وربطه بسوق العمل واكتساب المهارات الجديدة ٠
- زيادة الاستثمارات ٠
- الاهتمام بالزراعة وزيادة رقعة الأرض الزراعية ٠
- تشجيع المشروعات الصغيرة ٠
- تفعيل التعاون العربى ٠

أسئلة على الفصل الثامن

١- ما أثر البطالة على الشباب وأسرته ومجتمعه ؟

٢- ما المشكلات التى يعانى منها الشباب فى عدم وجود فرص عمل ؟

٣- قارن بين الحياة الأسرية لشباب يعمل وآخر عاطل عن العمل ؟

المراجع

1 - United Nation Globlaization And Labour. Markets in the Escwa Region, new York, 2001, p. 16.

٢ - محمود عبد الفضيل ، مصر والعالم على أعتاب ألفيـــة جديـــدة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١ ص ص ١٠ – ١٢ ٠

3 - Assaad, Regui, the Effect of Child Work On School Enroiiment In Egypt the Workshop is Organized by the Economic Research Fortum for the Arab Countries, Iran, Turkey and World bank, July, 2001, pp. 4 – 5 .

٤ - أسامة ماهر حسين ، دراسة نقدية لمشروع مبارك / كول فى مجـــال التعليم الفنى فى مصر ، مجلة مستقبل التربية العربية ، المجلد الثامن ن العدد ٢٦ يوليو ٢٠٠٢ ، ص ص ١٨٧ – ١٨٨ ٠

٥ - سيد محمد عبد المقصود ، قضية قصور التشغيل " البطالة وعلاقاتها بجودة التعليم ، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية ، رقم ١٧٤ ، معهد التخطيط القومى ، يوليو ٢٠٠٣ ، ص ص ٤٧ – ٤٨ ٠

٦ - محمود عبد الفضيل ، مرجع سابق ، ص ص ١٣ – ١٥ ٠

٧ - عبد الباسط عبد المعطى ، البحث الاجتماعى ، محاولة نحو رؤيـــة نقدية لمنهجه وأبعاده ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ ، ص ٣٦٢ ٠

8 - United Nations, Responding to Globa Lization: Skil formation and Unempbyment Policies, New York.

9 - Bloom, David E., Mastering Globalization: From Ideals to Action on Higher Education Reform Harrard University, 19 September, 2002, pp. 2 – 3 .

١٠ - خالد الزواوى ، البطالة فى الوطن العربـــى : المـــشكلة والحـــل ، مجموعة النيل العربية ، ٢٠٠٢، ص ١٩ ٠

11 - United Nations, responding to Globalization, Op. Cit., p. 37.

١٢ – تقرير التنمية البشرية ، معهد التخطيط القومى ، ٢٠٠٣ ، ص ٢ ٠

١٣ – جامعة الدول العربية ، التقرير الاقتصادى العربى الموحد ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٤ ٠

14 - UNCTAD, "Mobilization of Domestic Resources for Poverty Alleviation" Geneva 24, Jan, 1994, pA/3022 .

١٥ – رمزى زكى ، الاقتصاد السياسى للبطالة : تحليل لأخطر مشكلات الرأسمالية المعاصرة ، سلسة عالم المعرفة ، عدد ٢٢٦ ، الكويت ، أكتوبر ١٩٩٧ان ص ٥٠١ – ٥٠٧ ٠

١٦ – يوسف إبراهيم ، اتجاهات سوق العمل فى الاقتصاد الكويتى ، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلد ٢٤ ، عدد ٤ ، الكويت ، شتاء ١٩٩٦، ص ٣١ ٠

١٧ – تقرير التنمية الإنسانية العربية ، نحو إقامة مجتمع المعرفة ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٥٥ – ١٥٦

١٨ – المرجع السابق ، ص ١٣٨ ٠

١٩ – التقرير العربى الموحد ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤ – ٢٥ ٠

٢٠ – معهد التخطيط القومى ، تقرير التنمية البشرية ، مرجع سابق ، ٢٠٠٣ ، ص ٨٧ ٠

٢١ – أسماء اللحام ، " أوضاع القوى العاملة والتشغيل فى القطر العربى السورى " ندوة سياسات التشغيل فى البلدان العربية ، القاهرة ، ١٠ – ١٢مايو ١٩٩٢، ص ص ٢ – ١٠ ٠

٢٢ – أحمد الأشقر ، " العمالة السورية فى دول الخليج ، الهجرة والاستخدام والبطالة فى ظل الإصلاح الاقتصادى والمتغيرات الإقليمية فى

ج٠م٠ع٠ ، الاتحاد العام لنقابات عمال مصر مع منظمة العمـــل الدوليـــة ، القاهرة ، ١٩٩١ ٠

٢٣ – عبد الله غلوم ، التركيبة السكانية وأزمة توظيف العمالة فى الكويت " ، مجلة الكويت الاقتصادية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ص ٤٦ ٠

٢٤ – المؤسسة العربية للتشغيل ، "الوضع الحالى للقوى العاملة والتـــشغيل فى البلاد العربية " ، ندوة سياسات التشغيل فى الأقطار العربيـــة ، منظمـــة العمل العربية بالتعاون مع البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة ومنظمـــة العمـــل الدولية ، القاهرة من ٢٩ – ١٩٩٣/٣/٣١ ، ص ص ٧٤ – ١٦٣ ٠

٢٥ – الإسكوا " الأثر الاجتماعى لإعادة الهيكلة مع تركيز خـــاص علـــى البطالة " الأمم المتحدة ، نيويورك ٢٠٠٠، ELESCWA/SD/9914

26 - W.B. "Republic of Tunisia, the Social, Protection system" April, 1993.

٢٧ – نجاح عبد العليم ، الخيار التكنولوجى وحل مشكلة البطالة فى مصر ، ندوة " مشكلة البطالة فى جمهورية مصر العربيـــة ، جامعـــة الأزهـــر ، القاهرة ، ١٤ – ١٦ يوليو ، ٢٠٠١ ٠

٢٨ – إسماعيل صبرى عبد الله ، العرب والعولمة : العولمـــة والاقتـــصاد والتنمية العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ندوة : العرب والعولمة ، تحرير : أسامة أمين الخولى ، ط٢ ، بيروت ، ديسمبر ، ١٩٩٨، ص ٣٦٨

٢٩ – أديب نعمه ، إشكاليات البحث فى مجال الشباب ومقترحات مستقبلية ، اجتماع الجزاء الأقليمى حول الحالة المعرفية لمسرح وبحوث الشباب فـــى الإقليم العربى ، شرم الشيخ ، القاهرة ، ١٩ – ٢١ نوفمبر ، ٢٠٠٥ ٠

٣٠ – إيمان فرج ، الأبعاد الاجتماعيــة والاقتــصادية والثقافيــة للــشباب والمراهقة ، المنتدى العربى للسكان ، بيروت ، ١٩ نوفمبر ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٨ .

٣١ – مهدى محمد القصاص ، عنف الشباب : محاولة فى التفسير ، ندوة : قضايا الشباب المصرى تحديات الحاضر وآفاق المستقبل ، كلية البنـــات – جامعة عين شمس ، ١٦ – ١٨ ابريل ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٩ .

للمزيد راجع أيضا : سميحة نصر ، العنف بين طلاب المــدارس : التقرير الاجتماعى ، إشراف : احمد زايد ، المجلد الأول ، المركز القــومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة، ٢٠٠٤ .

٣٢ – سلوى العامرى ، أجيال مــستقبل مــصر : أوضـــاعهم المتغيــرة وتصوراتهم المستقبلية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعيــة والجنائيــة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٢١١ .

راجع أيضا : مجلة الديمقراطيــة ، الأجيـــال والــسياسة ، مركــز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، العدد السادس ، القاهرة ، ربيع ٢٠٠٢ ، ص ص ٦٥ – ١٤٠

الفصل التاسع
التمكين الاجتماعى لذوى الاحتياجات الخاصة
"دراسة ميدانية "*

* ألقى هذا البحث فى المؤتمر العربى الثانى عن الإعاقة الذهنية بين التجنب والرعاية ، نظمه منتدى التجمع المعنى بحقوق المعاق ، جامعة أسيوط ، ديسمبر ٢٠٤.

فكرة البحث

التنمية البشرية هي تنمية الفعل من ناحية وتنمية التفاعل من ناحية أخري أي أن التنمية البشرية لابد أن تشمل تنمية رأس المال البشري ورأس المال الاجتماعي في آن واحد ، ويشير رأس المال الاجتماعي إلى النظام المؤسسى والعلاقات و الثقافة السائدة و العادات و التقاليد التي تؤثر علي كافة أفراد المجتمع ومن بينها ، ذوي الاحتياجات الخاصة ، بما ينعكس علي المشاركة في التفاعلات الاجتماعية و الاقتصادية ذات التأثير المباشر علي عملية التنمية واستمرارها [1].

وتقوم فكرة البحث علي عملية إدماج وتفعيل دور ذوي الاحتياجات الخاصة داخل مجتمعهم المحلي حيث تكمن مشكلة المعاق والإعاقة في الظروف والسياقات الاجتماعية المختلفة و المهيأة للإعاقة و التي تضع قيود وعقبات غير مبرره ولا تستند إلي رؤى علمية أمام مشاركة المعاق في فعاليات الحياة الاجتماعية وتشير العدد من الأبحاث إلي أن مشكلات المعاق الحياتية و التوافقية لا ترجع إلي الإصابة أو الإعاقة في ذاتها ، بل تعود بالأساس إلي الطريقة التي ينظر بها المجتمع إليهم . وتفسر المداخل التقليدية الإعاقة بوصفها موضوعا طبيا ، حيث تنحصر أي محاولة للتعامل مع أو التخلص من الصعوبات التي يعاني منها ذوي الاحتياجات الخاصة علي ما يُعتقد أنه السبب في الإعاقة و المشكلات المرتبطة بها .

وترتب علي ذلك أن هُمش واستبعد الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة من مسار الحياة الطبيعية مما أدي إلي فقدان أو محدود يه مشاركتهم فيها نتيجة العقبات، الموانع Barriers الاجتماعية و البيئية التي تحول دون تفاعلهم مع المجتمع كالتحيز ضد الإعاقة و المعوقين و الميل إلي الوصم و

التنميط وبيروقراطية الإجراءات ، وتعذر وجود وسائل المواصلات المناسبة كما أن مؤسسات التربية الخاصة تقوم علي فكرة العزل وبالتالي تفشل في تزويدهم بالمناهج التربوية العادية ، مما يترتب علية الاستبعاد من فعاليات الحياة الاجتماعية كما ذهب إلي ذلك تحليل " هنت "(٢) وأن السبب الأساس في هذه المشكلات إنما يعزي إلي فشل المجتمع في التسامح مع / و التقبل للاختلافات و الفروق بين المعاقين من المشاركة العادية في فعاليات و أنشطة وخبرات الحياة الاجتماعية اليومية.

ولا يفهم من ذلك إغفال الفروق الفسيولوجية ولكن الهدف يتمثل في علاج هذا التأثير دون الالتزام بالأحكام ذات الطابع التقويمي مثل السواء / في مقابل غير السواء أو العادي / في مقابل غير العادي مع التركيز بصفة أساسية علي الجوانب و الأبعاد المجتمعية التي يمكن تغييرها من خلال الافتراضات العامة للنموذج الاجتماعي في تفسير الإعاقة الذي يؤصل فيه بصفة خاصة ما يعرف بثقافة التمكين Empowerment

هدف البحث

يهدف البحث إلي إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة داخل المجتمع وتغيير الثقافة السائدة عن الإعاقة ، من خلال تحديد الأدوار التي يمكن أن يسهم بها أفراد المجتمع ومؤسساته لتحقيق التطبيع الاجتماعي مع هذه الفئة وقبولهم وذلك بغرض الوصول إلي وضع سياسات وآليات تعمل علي إدماجهم في كافة قضايا التنمية

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من التأكيد علي أن الإعاقة تتخلق أساسا في ظل ظروف اجتماعية معينة حتى وأن كانت ذات منشأ تكوين أو وراثي ، فإن

السياق الاجتماعي هو المتغير الأساسي و الفارق فـي نـشأة المـصاحبات الاجتماعية والسلوكية بكل تداعياتها السلبية علي المعاق مما يلزم معه تغيير الثقافة السائدة علي الإعاقة وذلك من خلال تبني استراتيجية دمـج وتمكـين ذوي الاحتياجات الخاصة من المشاركة الاجتماعية و الاستفادة من المميزات و الخدمات التي تنتجها مؤسسات المجتمع للعاديين .

مفاهيم البحث

مما لاشك فيه أن بناء وتنمية القدرات البشرية المصرية هي إحـدى قضايا الساعة التي تفرضها التحولات المعرفية و المعلوماتية الحادثة عالميا ومما لا شك فيه أيضا أن بناء وتنمية القدرات البشرية المـصرية يجـب أن يشمل كافة الفئات و الطبقات هنا تبرز قضية التمكـين الاجتمـاعي لـذوي الاحتياجات الخاصة وكيفية بناء قدرات تلك الفئة اجتماعيا وتعليميا واقتصاديا وهو ما يسمي (بالتمكين) و التعاضد الجماعي [٣] في مواجهة وضـعهم الذي يوسم بالعجز و القصور و العزل أحيا نن أو بالتعاطف و الشفقة

وإذا كانت الإعاقة تعرف أنهـا التـداعيات و الآثـار الاجتماعيـة المترتبة علي معاناة الفرد من أصابة أو تلف عـضوي وظيفـي بـدني أو عقلي[٤]

التمكين في جوهره العام يعني تمكين الأفراد لتحرير أنفـسهم وفـي مقابل مفهوم التمكين والقوة كان مفهوم الأضعاف إذا لم يتجاهل هذا الاقتراب الحيلولة دون حصول الآخر ذوي الاحتياجات الخاصة علي القوة أو ما يطلق عليه مفهوم الإضعاف لتلك الفئات ما يعني الحيلولة بين الاحتياجات الخاصة ووصولهم إلي مدخل القوة.

الإعاقة موقف يفتقد فيه الفرد القدرات الضرورية و اللازمة لإشباع حاجاته الأساسية وتطلعاته ومشاركته في فعاليات الحياة الاجتماعية والإعاقة بذلك هي نقص الأحقية الضرورية لمشاركة المجتمع .

فالأحقية هي مزيج من القانون و القوة ويتم بمقتضاها تحويل مطالب الفرد إلي أمر واقع ف يظل امتلاكه للقوة وتحت مظلة القـانون وبمقتـضي نظام أحقية معينة ويطرح مفهوم الأحقية ثلاثة أسس وهي

حقوق الإنسان وحقوق المواطن و حقوق الرفاهية الإنسانية أو تستند حقوق الإنسان علي الحق في قدر معين من الخدمات الصحية و التعليميـة وغيرها . في حين يرتبط مفهوم حقوق المـواطن بمفهـوم الطاعـة وأداء الضرائب وخلافة . كما يهتم مفهوم الرفاهية الإنسانية بكيفية تطوير حيـاة الفرد واستغلال قدراته كاملة دون التميز ضد الإعاقة و المعاقين أو الميل إلي الوصم و التنميط وإذا كانت التنمية هي توسيع خيارات البشر فإن الأحقيـة تعني تأسيس حق البشر الجوهري في هذه الخيارات (٥) .

مفهوم التمكين الاجتماعي : يقصد بـه إكـساب ذوي الاحتياجـات الخاصة مختلف المعارف والاتجاهات و القيم و المهـارات التـي تـؤهلهم للمشاركة الإيجابية الفعالة في مختلف أنشطة وفعاليات الحياة الإنسانية إلـي أقصي حد تؤهله لهم إمكانياتهم وقدراتهم إضافة إلي تغيير ثقافة المجتمع نحو المعاقين والإعاقة من ثقافة التهميش إلي ثقافة التمكين

مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة : هو مفهوم بنائي يتـسع ليـشمل فئات اجتماعية كثيرة غير ذوي الحاجات الخاصة (الجسمية أو الذهنيـة) فهنـاك الإعاقـة (العقليـة – الـسياسية – القانونيـة – الاقتصادية ---) أن ذوي الاحتياجات الخاصة وهم معاقين لأسباب بعضها

وراثي وبعضها بيئي (حادث سيارة – إصابة عمل – سوء تقديم الخدمة قبل الحمل وأثناء الولادة --- كذلك يضم إليهم المعاق ثقافيا وسياسيا و الموهوبون لأنهم ذو احتياج خاص في التعامل) ويعكس ذلك مدي اتساع فئات الإعاقة .

وتعرف الإعاقة Handicap بكونها فقدان أو تهميش أو محدودية المشاركة في فعاليات وأنشطة وخبرات الحياة الاجتماعية عند مستوي مماثل للعاديين وذلك نتيجة العقبات و الموانع Barriers الاجتماعية و البيئية [٦]

تساؤلات البحث

ينطلق البحث من التساؤل الرئيس التالي :

ما الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المجتمع بكافة نظمه ومؤسساته لإكساب ذوي الاحتياجات الخاصة المعارف و الاتجاهات و القيم و المهارات التي تمكنهم من الاندماج في فعاليات الحياة الاجتماعية ؟

ويتحقق ذلك من خلال الإجابة علي عدة أسئلة فرعية شملها دليل دراسة الحالة :-

- ما طبيعة إدراك أفراد المجتمع لذوي الاحتياجات الخاصة ؟
- ما تصور أفراد المجتمع للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة ؟
- كيف يمكن تنمية النظره الإيجابية لدور ذوي الاحتياجات الخاصة ؟
- ما أشكال الرعاية الاجتماعية المقدمة لذوي الاحتياجات الخاصة ؟
- ما السبل لتمكين ودمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع و الاستفادة منهم ؟

العينة ومجتمع البحث

طبق البحث في مدينة كوم حمادة – محافظة البحيرة في شهرى سبتمبر و أكتوبر ٢٠٠٤ علي عدد خمسة عشر حالة ثم اختيارهم بطريقة عمدية تتفق وطبيعة البحث وجاءت كالآتي :

خمس حالات عاملون في قطاع تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ،خمس حالات من المهتمون بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة . وتم اختيارهم بعد توجيه عدة أسئلة إليهم توضح مدي اهتمامهم ولديهم معرفة مسبقة بذوي الاحتياجات الخاصة وهم عادة من أقربائهم أو جيرانهم ... إلخ) خمس حالات لأرباب أسر لديهم طفل معاق ، تم دراسة هذه الحالات من خلال المقابلة وكذلك المقابلات الجماعية المفتوحة .

أولا:- ذوي الاحتياجات الخاصة بين التجنب و الرعاية

عندما نتحدث عن ذوي الاحتياجات الخاصة بشكل عام ، فإننا نتجه إلي التركيز علي الإعاقة ، بكل أسف ، بدلا من الاهتمام بالفرد ذاته وما لدية من مميزات وقدرات خاصة لذا جاءت النظرة سلبية إليه فقديما كان ينظر للإعاقة علي أنها عاهة ثم بعد ذلك صنف بحكم قرارات إدارية مما ساهم في عزلتهم وتهميش دورهم و الصاق المسميات السلبية بهم وفي ظل المبدأ التوجيهى الذي ينادي بجعل المعاق إنسان طبيعيا وهو اتجاه اجتماعي يهدف إلي إتاحة الفرصة أمام ذوي الاحتياجات الخاصة للحياة مثل الأفراد العاديين وهذا يتطلب التعامل مع هؤلاء الأفراد علي نحو طبيعي وإعطائهم الفرص ومساواتهم في الحقوق ، وجعل الظروف المحيطة بهم عادية وهناك العديدة الأفكار التي تبنت وجهات نظر مختلفة وفيما يلي نعرض لبعض هذه الأفكار.

فقديما أرجع الناس الإعاقة إلي قوى غيبية أو تصورات غير منطقية ومنهم من اعتبرها نذير شؤم بمقدمها إلي الحياة ، أو هي دلالة علي غضب الآلة ، وكانت الكنيسة في أوربا تقول بأن المرض بجميع أنواعه قصاص علي ما اقترفه الإنسان من ذنوب ، وأن الإعاقة تقهقر فكري تصنف فيها الروح وتسير عليها المادة .

شهد العصر الإغريقي التخلص من الأطفال المعوقين عن طريق قتلهم للمحافظة علي نقاء العنصر البشري كما نادي أفلاطون في جمهوريته وكذلك الحال في إسبارطة

أما في العصر الروماني فقد بقي مصير المعوقين بين شيخ القبيلة الذي كان بيده وحده تقرير مصائرهم اعتمادا علي درجة تقدير الإعاقة إلا أنه كان يتم التخلص من المعوقين عن طريق إلقائهم في الأنهار أو تركهم علي قمم الجبال ليموتوا بفعل الظروف المناخية

أما في العصور الوسطي بأوربا – بما صاحبها من مظاهر الجمود الفكرى – فقد عملت محاكم التفتيش علي اضطهادهم وإيذائهم حتى الموت بوسائل متعددة من خلال اتهامهم بممارسة السحر أو تقمص الشياطين لأجسامهم وبذلك فقد أصبحوا صنائع الشيطان .

وعندما جاء الإسلام نادي بعدم التفرقة بين البشر وأقامه المساواة كما أكد علي وجوب النظر إلي الإنسان علي أساس عملة وقلبه وليس علي أساس شكله أو مظهره وطلب كف الأذى المعنوي المتمثل في النظرة و الكلمة و الإشارة وغيرها من وسائل التحقير و الاستهزاء

ويشير كتاب تاريخ " البيمارستانات " في الإسلام إلي النظرة الإيجابية التي كان ينظر بها أفراد المجتمع الإسلامي للمعوقين ومساواتهم بغيرهم إذ يُروى أن " الوليد بن عبد الملك " قد أعطي الناس المجذوبين وقال لا تسألوا الناس وأعطي كل مقعد خادما ، وكل ضرير قائدا ولم يهمل المجتمع الإسلامي أمر علاج الإعاقات التي كان لها علاج معروف في ذلك الوقت (٧) . وأكد ابن القيم الجوزيه علي أهمية الاهتمام بالطفولة المبكرة وتوفير الرعاية المتكاملة لها ، وحث الأسرة علي ملاحظة نمو أطفالها مما يسهم في الاكتشاف المبكر للإعاقة . وأشار إلي أهمية راحة الجسم من الاضطرابات الانفعالية السلوكية (٨)

وفي العصر الحديث اهتمت الحكومات بذوي الاحتياجات الخاصة من خلال إنشاء مؤسسات إيواء لهم وتعليمهم وتأهيلهم بصورة منعزلة ثم تطورت إلي عملية دمجهم داخل مجتمعاتهم وهذا ما نهدف إليه من هذا البحث

ويشير بيان" سلامنكا " بشأن المبادئ و السياسات و الممارسات في تعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة ، إلي إعلان حقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ ، الذي يؤكد علي حق كل فرد في التعليم وجاء المؤتمر العالمي حول التربية للجميع في ١٩٩٠ وكفل هذا الحق للجميع بعض النظر عما بينهم من فروق فردية ، ونذَّكر بمختلف الإعلانات الصادرة عن الأمم المتحدة ، التي توجت سنة ١٩٩٣ بإصدار القواعد الموحدة بشان تحقيق تكافؤ الفرص للمعوقين (٩)

وهناك خطوات عديدة اتخذتها الحكومة المصرية لحماية المعاق في المجتمع ومن بينها ما يلي :-

قانون التأهيل الاجتماعي للمعاقين /٢٩ لسنة ٧٥ تحت رعاية وزارة الشئون الاجتماعية وهي تعتمد في تقديم برامجها علي ما يلي :

أ- مكاتب التأهيل الاجتماعي ويبلغ عددها ١١٥ مكتبا موزعة علي كافة أنحاء الجمهورية وهي تتولى تأهيل المعاقين ممن ليسوا في حاجة إلي رعاية داخلية وتعتمد في تدريب الحالات علي المؤسسات الموجودة بالمجتمع

ب- مركز التأهيل المهني : وعددها ١٧ مركزا وهي مؤسسات يقيم بها المعاقون الذين تقتضي ظروفهم الخاصة الإقامة الداخلية لشده إصابتهم أو حاجاتهم إلي مراقبة مستمرة وهي تضم أقسام للبحث الاجتماعي و العلاج الطبيعي ، والتدريبات العلاجية و التدريب المهني .

ج- مصانع الأجهزة التعويضية : وعددها ١٠ مصانع متخصصة في الأجهزة التعويضية والأطراف الصناعية

د- المصانع الخاصة أو المحمية : وعددها ٤ مصانع متخصصة لتشغيل المعاقين الذين يتعذر إلحاقهم بالعمل في سوق العمل الحر لحاجتهم إلي رعاية خاصة أو نظام معين في التشغيل

هـ- مراكز العلاج الطبيعي : وعددها ٥١ مركزا

و- حضانات الأطفال المعاقين : وعددها ٣٥ حضانة

ز – مؤسسات التثقيف الفكري وعددها ١٤ مؤسسة وهي دور معده لرعاية المتخلفين عقليا من النوع الخفيف و المتوسط أي القابلين للتعلم و التدريب بالنظام الداخلي أو الخارجي [١٠]

وفيما يلي جدول يوضح عدد المستفيدين من خدمات التأهيل الاجتماعي

عدد المستفيدين من خدمات التأهيل الاجتماعي حسب الجنس و نوع الخدمة لعام ١٩٩٨

تأهيل		أجهزة		علاج طبيعي		بطاقة معوق		المجموع	
ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
١٤٤٤	١٤٧	٤٣٦	٥٦٩	٣٤	٦٨	٠٠٩	٥١٩	١٢٢٣	٥٠٣

المصدر : الكتاب الإحصائي السنوي ٩٩\٩٨ ، وزارة الشئون الإجتماعية : مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار ، جمهورية مصر العربية ، ص ١٣٥

- وقانون رقم ٣٩ لسنة ١٩٧٥ بشأن تأهيل المعوقين [١١]
- وقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٨٢ بتعديل بعض أحكام القانون رقم ٣٩ لسنة ١٩٧٥ بشأن تأهيل المعوقين [١٢]

أ- نص المادة الثالثة التي جعلت التأهيل حق لكل معوق تؤدي الدولة خدماتها له دون مقابل .

ب- نصت المادة التاسعة علي إلزام كل صاحب عمل يستخدم ٥٠ عاملا فأكثر بتشغيل ٥% من عدد العاملين من بين المعاقين .

ج- نصت المادة العاشرة التي خصصت ٥% من مجموع وظائف المستوى الثالث الخالية بالجهاز الحكومي و القطاع العام لشغلها بالمعوقين الحاصلين علي شهادات التأهيل الاجتماعي

إنتاج خمس برامج software مشتملة علي القاموس المرئي لخدمة التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة (الصم – البكم) وقد تم توزيع هذه البرامج علي ٢٧٥ مدرسة (١٣)

وتعد هذه بعض خطوات التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة بالإضافة إلي التأكيد علي تنمية وعي الجمهور وبوسع وسائل الإعلام أن تلعب دورا هاما في تشجيع المواقف الإيجابية إزاء دمج الأشخاص المعوقين في المجتمع و التغلب علي التمييز و المعلومات المضللة وغرس المزيد من التفاؤل وسعة الخيال بصدد قدرات الأشخاص المعوقين ، وكذلك تشجيع أرباب العمل علي أن يتخذوا مواقف ايجابية إزاء استخدام الأشخاص المعوقين وكذلك اطلاع الجمهور علي النهوج الجديدة في التعليم وخاصة فيما يتعلق بتوفير خدمات تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس العادية ، وذلك بالترويج لأمثلة من الممارسات الجيدة و التجارب الناجحة في هذا المجال (١٤)

وترتب علي ذلك تغيير مفهوم الإعاقة من حيث

كيفيات الفحص ، إذ أنها لم تعد تتمثل في تصنيف الأفراد ، بل أصبحت تستهدف وصف احتياجات كل واحد منهم وتحديد ما ينبغي الاحتياط له استجابة لهذه الاحتياجات

أن مؤسسات التربية الخاصة أصبحت تتخلى عن النظام القائم عل العزل الموجود للأطفال المنتمين إلي صنف معين لتقديم تشكيلة كاملة من أنماط الخدمات المختلفة لكل من لهم احتياجات خاصة أيا كان المقر الذي يتلقون فيه الخدمة

تطور مجموعة المصطلحات المتعلقة بأنماط العجز و الإعاقة و أصبحت المصطلحات تصف مجالات مخصصة لأصحاب المهنة (١٥)

ثانيا : المدخل النظري لفهم الإعاقة

من المتفق عليه بين عامة الناس و المختصصين أن ذوي الإعاقة لا تتاح أمامهم مختلف فرص التفاعل مع مختلف مواقف وخبرات الحياة الاجتماعية ، ويعيشون في نوعية حياه أقل كثيرا مقارنة بأقرانهم العاديين ، وتعتمد أي محاولة للتعامل مع أو للتخلص من الصعوبات التي يعاني منها المعوقين علي ما يعتقد انه السبب في الإعاقة و الصعوبات المرتبطة بها ويوجد طريقتين مختلفتين لتفسير ما يعتقد انه السبب في الإعاقة وتداعياتها النفسية وقد أمكن بلورة هاتين الطريقتين فيما يطلق علية نموذجا تفسير الإعاقة وهما :

(أ) النموذج الطبي للإعاقة Medical Model of Disability

(ب) النموذج الاجتماعي للإعاقة Social Model of Disability

يركز أنصار النموذج الطبي بشكل كبير علي الملامح و الخصائص الأساسية للفرد من حيث البنية التكوينية العضوية ، في حين يتبنـــي مؤيـــدو النموذج الاجتماعي التفسيرات التي تعتمـــد علـــي الخـــصائص الأساســـية للمؤسسات الاجتماعية وما يسود المجتمع بشكل عام من أنساق قيم ومعتقدات تجاه الإعاقة و المعوقين وفيما يلي تناول موجز لكلا النموذجين :

١- **النموذج الطبي للإعاقة :**

ينظر في ظل هذا النموذج للإعاقة علي أن عجـــز أو عـــدم قـــدرة المعاقين علي الارتباط و المشاركة في أنشطة وخبرات الحياة ترجع بالأساس إلي معاناة الفرد من إصابة Impairment تتلف أو تحدث تدميرا لعضو ما من جسده يترتب علية قصور أو عجز وظيفي شديد لا يمكن من الاستفادة و المشاركة في فعاليات وخبرات الحياة الاجتماعية ولا يرجع هذا العجز من قريب أو بعيد لملامح وخصائص وأنساق القيم و المعتقدات في المجتمع .

وعندما يفكر صناع السياسة في الإعاقة وفق النموذج الطبي فـــإنهم يميلون إلي تركيز مجهوداتهم في تعويض ذوي الإصابات أو التلف العضوي وما يرتبط به من قصور وظيفي وذلك من خلال صياغة نظم تربوية ورعاية وتزويدهم بالخدمات العلاجية و التأهيلية في مؤسسات قائمة علـــي العـــزل والاستبعاد من فعاليات وخبرات الحياة الاجتماعية العادية

ويؤثر النموذج الطبي للإعاقة أيضا علي الطريقة التي ينظر ويفكـــر المعاقون بها حول أنفسهم إذ عادة ما يتبنى الكثيرون مـــنهم رســـالة ســـلبية مفادها أن كل المشكلات التي تواجه ذوي الإعاقة تنشأ عن امتلاكهم أجـــساد غير عادية أو بها عيب تكويني ، وعادة ما يميل المعاقين إلي الاعتقاد بـــأن إصابتهم تحول بالضرورة دون مشاركتهم في الأنشطة الاجتماعية ، ويؤدي

إستدخال هذه الأفكار و المعتقدات في البنية الفكرية لذوي الإعاقة إلي عــدم مقاومتهم محاولات استبعادهم من الانـــدماج Mainstreaming فـــي فعاليات وخبرات الحياة الإنسانية في المجتمع (١٦)

٢- النموذج الاجتماعي للإعاقة :

تبدأ الرؤى التفسيرية للإعاقة وفق النموذج الاجتماعي من التحديــد للاختلاف بين مفهومي الإصابة أو التلف أو العطب Impairment و العجز أو الإعاقة Disability وقد بدأت صياغة النموذج الاجتماعي مـــن قبل بعض العلماء إثر إظهار العديد من المعوقين استيائهم وامتعاضـــهم مـــن النموذج الفردي أو الطبي لكونه لا يقدم تفسيرات مقنعـــة لاســـتبعادهم مـــن الاندماج في مسار الحياة الاجتماعية ولأن هناك العديد من الخبرات لمعاقين أظهرت أن مشكلاتهم الحياتية و التوافقية لا ترجع إلي الإصابة أو الإعاقـــة في ذاتها ، ولكن تعود بالأساس إلي الطريقة التي ينظر بها المجتمع إليهم (١٧) ويتجاوز هذا النموذج المسلمات التي ينطلق منها النموذج الطبي و التـــي تتمثل في عدم التفرقة بين الإصابة و التلف و العطب ، و العجز لأن كليهما يؤدي إلي قصور وظيفي وان هذا القصور الوظيفي كامن داخل الفرد نفـــسه ومنعزل عن المتغيرات الخارجية ، مسلما بأن العجـــز ولـــيس العقبـــات أو العناصر الأساسية للمؤسسات الاجتماعيـــة التـــي لا تلقـــي بـــالا بحاجـــات وخصائص المعوقين بأي شكل من الأشكال ، وهنا يبدو أن المجتمع هو سبب الإعاقة بمعني أن المجتمع هو المعوق لأن الطريقة التي يشيد بها تمنع ذوي الإعاقة من الاشتراك في فعاليات و أنشطة وخبرات الحياة اليومية ، وإذا ما أريد اشتراك واندماج ذوي الإعاقة في مسار الحياة الاجتماعية لابد أن يعـــاد تنظيم المجتمع من حيث بنائه ووظائفه ، وأيضا لا بد من القضاء علي كـــل

الحواجز و الموانع و العقبات التي تحول دون هذا الانــدماج . ومــن هــذه العقبات أو الحواجز :

- التحيز ضد الإعاقة و المعوقين والميل إلي الوصم و التنميط .
- عدم مرونة الإجراءات و الممارسات المؤسساتية
- تعذر الحصول علي المعلومات الصحيحة
- تعذر وجود البيانات و المؤسسات المناسبة
- تعذر وجود وسائل المواصلات والنقل المناسبة (١٨)

ويشير تحليل " هنت " (Hunt) إلي أنــه يعتقــد أن المعــوقين يواجهون اضطهاد وإساءة معاملة من قبل الآخرين وتتضح تجليات ذلك فــي ظاهرة التمييــز discrimination والاســتبعاد مــن فعاليــات الحيــاة الاجتماعية الطبيعية ، وخلص " هنت " من تحليله لهذه الأوضاع إلي التأكيد علي وجود علاقة مباشرة بين الاتجاهات الاجتماعية و الثقافية والاقتصادية نحو الإعاقة و المعوقين ، و التداعيات النفسية و السلوكية للإعاقة باستخدام مصطلحات القيود و الحدود ، و العقبات التي تفــرض Imposed علــي المعاقين من قبل المؤسسة ، وقد استخدم المعوقون في بداية السبعينيات مــن القرن العشرين خبراتهم الشخصية مع الإعاقة وعن حياتهم في المؤســسات (مؤسسات الرعاية والإيواء و التربية القائمة علــي العــزل) ليظهــروا أن إصابتهم أو نواحي العجز لديهم ليست السبب في المشكلات العديــدة التــي يواجهونها في حياتهم أو في التداعيات النفسية و السلوكية المصاحبة للإعاقة ، وأن السبب الأساسي في هذا العجز وهذه المشكلات إنما يعزي إلي فــشل المجتمع في التسامح مع / والتقبل للاختلافات و الفروق بين المعوقين مــن

المشاركة العادية في فعاليات وأنشطة خبرات الحياة الاجتماعية اليومية ، وقد أطلق علي هذه الطريقة في التفكير حول / ومناقشة وتحليل الإعاقة بالنموذج الاجتماعي للعجز أو الإعاقة ، إذ يفسر فيه العجز أو التعويق بوصفة نتـــاج أي سلوك أو عقبات تمنع أو تحول دون قيام المعوقين من الاشـــتراك فـــي فعاليات الحياة في المجتمع ولا يفهم من ذلك أن النموذج الاجتماعي يغفل أو ينكر تأثير الإصابات و الفروق الفسيولوجية ولكنه يعالج هـــذا التـــأثير دون التقيد أو الالتزام بالأحكام ذات الطبع التقويمي لذا فمن المتصور أن استخدام النموذج الاجتماعي يؤدي إلي التمكـــين الاجتمـــاعي لـــذوي الاحتياجـــات الخاصة(١٩)

وباختصار يؤكد النموذج الاجتماعي أن العجز و الإعاقة ناتجة عن عدم إدراك وعدم رغبة المجتمع في التعامل و التسليم بالاختلافات و الفروق في الخصائص والإمكانات البدنية و العقلية بين ذوي الإعاقة وأقرانهم العادين

٣- الدمج الاجتماعي :

الدمج كلمة تكتسي معاني مختلفة حسب المستعملين لها ، فهي تعنـــي عند بعضهم وجود أطفال معوقين داخل فصول مدرسية عاديـــة ويتـــابعون تعليمهم في ظروف الأسوياء نفسها ، وتعني عند بعضهم الآخر وجود أطفال معاقين داخل فصول مدرسية عادية مع تحوير جزئي في وسائل وظـــروف التعليم مثل الاعتماد علي بعض طرائق التربية الخاصة مثل طريقة برايـــل والاستفادة من دعم تعليمي خارجي ، وتعني عند فريق آخر مـــن المهتمـــين بالتربية الخاصة استفادة المعوقين من بعض المواد المدرسية المدرجة ضمن الفصول العادية كالأشغال اليدوية و الرسم مع مواصـــلة تعلـــيمهم بمراكـــز التربية الخاصة ، أما المعني الرابع للدمج فيعني وجود فصول للمعاقين داخل

المدارس العادية لها مربوها المختصون ووسائلها المناسبة ولا يختلط المعوقون بالأسوياء إلا في فناء المدرسة أو في بعض المناسبات[٢٠]

وهناك من يري أن الدمج يعني تمكين بعض فئات المعاقين من متابعة تعليمهم في الفصول العادية وما يترتب علي ذلك من إعداد التلميذ المعاق ولظروفه التعليمية و للمعلم من حيث برامج الإعداد و التأهيل ويجب أن لا يفهم من الدمج علي أنه مجرد حضور الطلاب المعاقين في الفصول المدرسية العادية ، بل هو محاولة لمساعدة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من أجل أن يتطوروا اجتماعيا وعقليا وشخصيا من خلال الاتصال و التفاعل مع أقرانهم العاديين ، وهذا يتطلب إحداث تغيير في المدرسة و المناهج وطرائق التعليم المستخدمة في الصفوف وأنظمه التقويم ، فالدمج ليس اختيارا بين كل شئ أو لا شئ لأنه يستند إلي فكرة أن تكون التربية أكثر مرونة ، ولهذا السبب فإن التلاميذ الذين يعانون من أي صعوبات سوف يكونون قريبين من أقرانهم بالقدر الذي يستطيعون وبما يسمح لهم بالنمو والاندماج الاجتماعي . ومهما تعددت الآراء و الاتجاهات تباينت وجهات النظر فإن الدمج كإستراتيجية جديدة في التربية الخاصة ينطلق من :

التغيير الواضح في الاتجاهات الاجتماعية نحو الأطفال غير العاديين من السلبية إلي الإيجابية.

توفير الفرصة الطبيعية للأطفال غير العاديين للنمو الاجتماعي و التربوي مع أقرانهم العاديين .

إزالة الوصمة المرتبطة ببعض فئات التربية الخاصة ، ويقصد بذلك الآثار السلبية الاجتماعية لدي بعض فئات التربية الخاصة وذويهم و المرتبطة بمصطلح مثل الإعاقة [٢١]

وقد ترتب علي ما سبق ظهور أفكار جديدة دفعت بحركة تربية ورعاية المعاقين إلي الاتجاه الإنساني وتنادي بالأخذ بمبدأ جعل المعاق طبيعيا أو سويا Normalization وهو اتجاه اجتماعي يهدف إلي إتاحة الفرصة أمام المعاق للحياة مثل الأفراد العاديين و التعامل معهم علي نحو طبيعي وإعطائهم الفرص ومساواتهم في الحقوق وجعل الظروف المحيطة بهم عادية ، ولكي يتم هذا الهدف استخدمت العديد من المصطلحات كمحطات أساسية في طريق تحقيقه ، مثل مصطلح :التحرر من المؤسسات Deinstituations : وبيئة تربوية أقل تقييدا least restrictive invinroment و التكامل التربوي Educational invinroment الدمج أو توحيد المجري التعليمي Mainstreaming ، والاحتواء أو المدرسة الشاملة inclusive school وقد استخدم مصطلح التحرير من المؤسسات ليشير إلي تلك العملية التي تتضمن إبعاد المعوقين عن المؤسسات الخاصة الداخلية ووضعهم في بيئات مفتوحة وأقل تقيدا لحرياتهم قدر الإمكان ، وبما يسمح بإسهام المجتمعات المحلية في رعاية المعوقين بصورة تساعد علي تعويدهم الحياة بين أقرانهم العاديين (٢٢) مفهوم التحرير من المؤسسات يستند إلي ثلاث مفاهيم أساسية هي : التعويد أو التطبيع – بيئة أقل تقييدا.

- الأسلوب النمائي

وهكذا ظهر مصطلح التعويد أو التطبيع الذي يقضي بأن تتاح للمعوقين نفس أساليب وظروف الحياة العادية المتاحة لبقية أفراد المجتمع ، وذلك باستخدام وسائل الثقافة العادية لمساعدة المعوقين علي الحياة في ظروف أو مستوي يماثل تلك الظروف التي يعيش فيها الأفراد العاديون ، كما أنه يتضمن تعليم المعوقين أساليب السلوك المناسب وتشجيعهم علي

استخدامها وتعويدهم علي الظهور بالمظهر اللائق ، وتعريـضهم لخبـرات متعددة تقربهم من أساليب الحياة العادية وتيسر لهم الاندماج فيها .

وقد استخدم البعض مصطلح التكامل ليشير إلـي ضـرورة تعلـيم المعوقين ورعايتهم وتدريبهم مع أقرانهم العاديين ، ويري أصحاب هذا الرأي أن مصطلح التكامل يعد أكثر ملائمة حيث يتضمن عملية تكيـف الجوانـب الاجتماعية و العضوية و المهنية للمعوقين مـع المجتمـع ، مـع مراعـاة الحاجات الخاصة بكل فرد واختيار ما يناسبه من الظـروف البيئيـة (٢٣) . وبناء عليه فإن ما يقوم به المعوق لا يمثل سوء نصف المطلوب ، حيث يقع النصف الآخر علي عاتق الأطراف الاجتماعية الأخرى التي ستتولى مهـام استقبال المعوق و التعرف علية ويتطلب ذلك عدد من القـضايا المرتبطـة بقضية دمج المعوقين في المجتمع وهي ضرورة العمل علي نشر جمعيـات أصدقاء المعوقين ولا تذكر قضية دمج المعوق في المجتمع إلا وتذكر معهـا قضية تشغيل المعوق وتوفير مواقع العمل المناسبة له(٢٤) . وهناك وسـائل مساندة أو دعم لذوي الاحتياجات الخاصة اجتماعيا من خلال :-

- خدمات الإرشاد و التوجيه.
- خدمات المساندة الاجتماعية
- خدمات المساندة الصحية
- نظم خدمات المساندة المتبادلة أو التكاملية (٢٥)

وتتنوع طرق التدريس الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة ومنها :

- مدخل التدريس المضبط
- مدخل التعليم أو التدريس المباشر

• مدخل تدريب القدرة

وسوف نركز علي مدخل تدريب القدرة لأنه يعتمد علـــي أســـلوب الممارسة المركزة في المجال الذي يعاني فيه التلميذ من صعوبة كذلك يساعد التلاميذ علي حسن توظيفه جوانب القوة و التميز لديهم في تعويض أي خلل أو تقصير في قدراتهم علي سبيل المثال يمكن تعليم الطفل الذي لدية قصور في التميز السمعي باستخدام ما يعرف بالمــدخل الكلـــي فـــي تعلـــيم اللغـــة WHOLE – Language approach كذلك يستخدم عنـــدما يحتـــاج التلاميذ إلي إتقان المهارات قبل الأكاديمية التي بمقتضاها يكتـــب التلاميـــذ المهارات الأكاديمية القراءة ، الكتابة ، الحساب [٢٦] ذلك لأن حرمان الطفـــل من التعرض للمثيرات واكتساب الخبرات ، ومن تنميـــة قدراتـــه العقليـــة و الجسمية والاجتماعية ، ومن تطوير مهاراته وبخاصة الحسية منها ، مهمـــا كان شكله وطبيعته ، يؤدي إلي وقف نموه وعدم تطوره لافتقاره إلي التعليم و التدريب [٢٧]

وقد شهدت التربية الخاصة تفسيرات جذرية ففي منتـــصف القـــرن الماضي كان التوجه نحو التربية الخاصة من منظور التأهيل ومن منظـــور الفئوية أي تصنيف المعاقين في فئات خاصة ومن ثم تميـــزهم بنـــوع مـــن التربية منفصلا عن مجتمع العاديين وتربيتهم أما التربية الخاصة المعاصرة فهي تقوم علي الوصل لا الفصل بين مجتمع العـــاديين وغيـــر العـــاديين * وتهدف إلي توفير مكان ومكانة لذوي الاحتياجات الخاصة سواء في المدرسة أو في المجتمع [٢٨]

ويذهب (بنكس وما يناهان) pincus and Minaham إلـــي القول بضرورة الاهتمام بالتفاعل الذي يحـــدث بـــين المعـــوقين وبيئـــاتهم

الاجتماعية بهدف مساعدتهم علي القيام بواجباتهم الحياتية وتحقيق آمالهم بأقل قدر من الضيق و التوتر ومن ثم فإن الخدمة الاجتماعية تهدف إلي مساعدة الأفراد المعوقين علي اكتساب مقدرة متزايدة لحل ما يقابلهم من مشكلات وربطهم بالأنظمة الاجتماعية التي تمدهم بالموارد و الخدمات و الفرص التي يحتاجون إليها ، مع تقوية وتدعيم تلك الأنظمة حتى تتمكن من تأدية وظائفها بفاعلية متزايدة . (٢٩)

٤ – عملية الدمج وتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة :

يعد دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من الموضوعات الهامة التي تنتج عنه تغير النظرة التقليدية لعملية التعليم و التي كانت تتم في مدارس خاصة بالمعاقين بما لا يسمح للمعاق بالتعامل أو التفاعل مع مجتمع العاديين ، مما دفع المهتمين بشئون تعليم وتأهيل المعاق إلي إعادة النظر في الأسلوب المتبع في رعايته وتربيته ، ومن هنا انبعثت فكرة دمج أو توحيد المجري التعليمي Mainstreaming أو تكامل التعلم بالنسبة للمعاق مع الأطفال العاديين وبدأت فكرة عزل المعاقين بعيدا عن العاديين تلقي رفضا من بعض العلماء المتخصصين ، وخصوصا إن المناهج التي تقدم للمعاقين ضعيفة ويقوم بتدريسها مدرسون غير متخصصون (٣٠) . ومن المسلمات التربوية المعروفة أن لكل طفل الحق في الحصول علي قدر معين من التربية و التعليم ، لا فرق في ذلك بين سوي ومعاق ، كما أن أغراض التربية وأهدافها متماثلة بالنسبة لجميع الأطفال بالرغم من أن المتطلبات اللازمة لإتمام عملية التربية لكل طفل قد تختلف تبعا لقدراته وإمكاناته واستعداداته.

وقد أكدت الإحصائيات المنشورة بمنظمة الصحة العالمية World heath organization (W.H.O) أن حوالي (١٠%) علي الأقل من

جميع الأطفال يولدون بإعاقة بدنية أو عقلية أو يكتـسبونها بالدرجـة التـي تجعلهم في حاجة ماسة إلي مساعدة خاصة من أجل ممارسة الحياة اليوميـة العادية (٣١) وقد تبين أن هذه النسبة قد تصل إلي ١٥% بل ٢٥% في بعض المناطق من دول العالم الثالث ، وهذه التقارير تعد بمثابة نـاقوس الخطـر لمدي الكارثة التي سوف نواجهها في مستقبل حياتنا بفقد نسبة ليست بالقليلة من سكان المجتمع ، تعيش في عزلة عن مجريـات الأمـور ، ولا يـسعى المجتمع إلي اشتراكها في حياته العامة (٣٢).

وإذا كانت منظمة الصحة العالمية ترفع شعار " الـصحة للجميـع " إستراتيجية للصحة مع مطلع القرن الحادي و العشرين فإن هذا الشعار لـم يجد طريقة للمساواة بين الشخص المعاق و السوي ، وما زال المعاقون فـي معظم أنحاء العالم يعانون من مشكلات تتعلق بحـصولهم علـي الخـدمات التربوية والاجتماعية و الصحية التي يحتاجون إليها (٣٣)

ويكفي للتدليل علي ذلك أن منظمة الـصحة العالميـة تقـدر بـأن الخدمات التي تقدمها المدارس الخاصة في الوقت الراهن لا تلبي سوي نسبة تتراوح بين (١%) إلي (٣%) من احتياجات الأشخاص المعـاقين الـذين يحتاجون إلي التأهيل في البلدان النامية أكثر من ذلك نجد أن نسبة المعوقين في المؤسسات الخاصة في معظم بلدان العالم (فيما عدا الولايـات المتحـدة الأمريكية وبعض دول أوربا لا تتجاوز (٥%) وبعبـارة أخـري فهنـاك (٩٥%) تقريبا من المعوقين في تلك البلاد لا يتلقون رعاية منظمة(٣٤) .

وفي إطار هذه الحقائق ومع التسليم بأن التفوق في حد ذاته ليس لـه دور يذكر في حياة الفرد من المعوقين ، بقدر ما يكون لاتجاهات المجتمع و الأفراد المحيطين به دورهم في اضطراب حياته النفسية بسبب الإشفاق علية

والإعفاء من المسئولية ، والإشعار المستمر بعدم القدرة و الحد و الحرمـــان من الحياة الطبيعية وإبراز جوانب العجز فيه وإهمال جوانب القوة فيه ، مما يزيد حالته النفسية تعقيدا ويجعل المعاق أميل و أسرع إلي العزلة وتحاشـــي الصدام الاجتماعي أو المناقشة حتى مع من يشبهونه في جوانب العجـــز أو نواحي القصور الجسمي أو العقلي ، وهنا يجب إشباع الحاجـــات الأساســـية كالحاجة إلي الأمن و الحاجة إلي الشعور بالنجاح و الحاجة إلي إثبات الذات و الحاجة إلي الحب و التواد حتى يستعيد المعاق توازنه النفسي بينة وبـــين البيئة (٣٥)

برزت علي الساحة قضية الدمج الاجتماعي و الأكاديمي كإستراتيجية تربوية بديلة أصبحت معظم بلدان العالم المتقدمة تأخذ بها بأمـــل أن يـــؤدي الفهم الأكبر لأوضاعهم إلي قبولهم و مراعـــاة احتياجـــاتهم المتنوعـــة فـــي مدارسنا ومجتمعنا بهدف التمكين الاجتماعي لهم (٣٦) .

ثالثا :- وعي المجتمع بمتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة

لقد أدي الالتفات إلي الأهمية البالغة لمفهوم رأس المـــال البـــشري ودوره في نهضة المجتمع وتقدمه إلي أيلا أولوية متقدمة للتنمية البشرية في مجالات مثل رعاية الفقراء المهمشين وذوي الاحتياجات الخاصة وغيـــرهم كي نستفيد بما لديهم من طاقات وتركيزنا هنا علي ذوي الاحتياجات الخاصة فلكي نمكن لهم داخل المجتمع لا بد من تأهيلهم وتعلـــيمهم وإدمـــاجهم فـــي مجتمعهم كقوي منتجة وفاعلة فذوي الاحتياجات الخاصة مصطلح يـــشمل كل الفئات التي تحتاج إلي نوع خاص من الرعاية سواء كانـــت جـــسمية أو

نفسية أو اجتماعية أو تربوية وتختلف قضايا ومشكلات وطرق رعاية كل فئة من هذه الفئات لاختلاف احتياجاتهم [٣٧].

إن من أهم متطلبات تمكين ذوي الاحتياجات الخاصة هى توفير كافة أشكال المساندة الاجتماعية و الخدمات الصحية لأسر ذوي الاحتياجات الخاصة لخفض مستويات الضغوط النفسية الواقعة علي هذه الأسر [٣٨].

وتشير " fahmeeda wahab " إلي أن ذوي الاحتياجات الخاصة يتعرضون في كافة المجتمعات إلي مختلف صور التمييز السلبي وخاصة الاستبعاد من كافة فعاليات وخبرات الحياة الاجتماعية ، وتعد الإناث أكثر فئات المعاقين تعرضا للإهمال و التجاهل بصورة خاصة في المجتمعات النامية ، وفي المناطق الريفية وترصد " fahmeeda" الكثير من صور التميز السلبي ضد النساء المعاقات في الدول النامية في أسيا منها : قلة الدعم المادي المخصص للإنفاق في مجال تعليم الأطفال و المراهقين من الإناث المعاقات ، إضافة إلي عدم تأهيلهم بالصورة الكافية لدمجهم في المجتمع وبناء علية تترك المرأة المعاقة علي هامش المجتمع تعاني من العزلة الاجتماعية و النفسية وتتعرض للنبذ والإهمال الاجتماعي وينظر إليها بوصفها عبئ علي المجتمع ويدلل علي ذلك الكثير من الإحصائيات التي تظهر بوضوح الظلم الاجتماعي البين الواقع علي النساء المعاقات في العديد من الدول الأسيوية .

وترجع ذلك إلي القصور في التشريعات القانونية المتعلقة بتعليم ورعاية هذه الفئة وهي تعد من ضمن أهم الأسباب التي ترتبط بهذا الظلم الاجتماعي وتؤكد بناء علي ذلك علي ضرورة إدخال تشريعات قانونية تدعم حق هذه الفئة وتمكن لهم فرص متكافئة [٣٩] وأحيانا ما تتسم النظرة إلي

وصول طفل معوق في الأسرة بالخوف و القلق و الشعور بحلول كارثـــة .. وقد تعمد الأسرة إلي عزل الطفل المعوق عن البيئة المحيطة (الخوف علية من عدم التكيف ، التجنب لما يرتبط بتدريبه وتعليمه وخدمته ، الصعوبات و المشاكل المترتبة علي ذلك الوقت و الجهد) – وقد يكون للأســـرة بعــض العذر في ذلك – غير أن ما يجب الإشارة إليه هو أن آثار الإعاقة الــسلبية تؤثر تأثيرا عميقا في نفسية المعوق ، وأنه إذا ما عزل فسوف يحـــرم مـــن فرص استخدام ما لدية من قدرات واستعدادات ومهارات وتستطيع الأسرة إذا ما تقبلت الطفل المعوق بشكل طبيعي أن تساعده علي تقدير نفـــسه بـــشكل واقعي و التخطيط لحياته أو تقييم قدراته واستعداداته بصورة صـــحيحة دون زيادة أو نقصان[٤٠] .

وقد نبهت نتائج البحوث التربوية إلي أهمية المشاركة الكاملة للأسرة لما لها من آثار إيجابية وفعالة في تحقيق التوافق الاجتمـــاعي والإنجـــاز و التحصيل التعليمي لهؤلاء الأطفال [٤١]

وهنا تطرح قضية العلاقات المتداخلة بين مستوي التحصيل الدراسي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة و النموذج الاجتماعي و الانفعالي لهم . إذ يمكن التأكد بصفة عامة على أن ذوي الاحتياجـــات الخاصـــة – يتعلمـــون بصورة أفضل حال تواجدهم في بيئة تفاعل اجتماعي يشعرون فيها بالأمن و القيمة و الثقة في المعلمين و التفاهم التام و التقبل للتنوع والاختلافات فـــي القدرات و الخصائص بينهم وبين الأطفال العاديين ويعد الاهتمام بالسياق أو المناخ الاجتماعي والانفعالي للتعلم من القضايا ذات التأثير الفعال [٤٢]

ويعد التعليم من أهم أساليب التمكين إذ تعد عملية تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بصورة أساسية علي ما يعـــرف " بالخطـــة التربويـــة

التعليمية (Individual Educational plan (IEP ويقصد بها أن تعلم ذوي الاحتياجات الخاصة يجب أن يعتمد علي أسلوب تفريد التعليم فلكل طفل احتياجات تعليمية خاصة يفترض أن تقوم مناهج وطرق التعليم علي تلبيتهــا وذلك من خلال طرق التدريس الخاصة التي تعكس التنــوع فــي المــداخل المستخدمة لتحقيق أو تلبية الاحتياجات التعليمية الخاصــة للتلاميــذ غيــر العاديين في فصول التعليم سواء أكانت ضمن إطار ما يعرف بالتربية العادية أو التربية الخاصة [٤٣].

وهناك خبرات ناجحة لم يتم الاستفادة منها كخبرات الأزهر الشريف في رعاية المكفوفين بجانب أقرانهم الأسوياء ودمجهم داخل المجتمع العادي و الذي نادي به ديننا الحنيف [٤٤]

يشير (ألفرد أدلر) الذي تأثر بوجهة النظر الاجتماعية التي تنــادي بأن العوامل الثقافية و العلاقات الاجتماعية السائدة في البيئــة و العناصــر المكونة لها هي المؤثر الأول علي السلوك ، ولا يعني ذلك إنكار الدور الذي تلعبه العوامل الفطرية و القدرات الطبيعية و الاستعدادات الجــسمية ، إلا أن ما يهمنا بالدرجة الأولي تحقيق التمكين الاجتماعي هو التأكيد علــي تــأثير البيئة الاجتماعية و العوامل الثقافية علي الطريقة التي يستخدم بهــا الفــرد قدراته واستعداداته [٤٥]

ويري الأفراد المعاقين الراشدين المــدافعين عــن تطبيــق وتنفيــذ تشريعات ما يعرف بقانون الحق في التربية لكل المعاقين أن العجز في حــد ذاته لا يؤدي بالضرورة وتلقائيا إلي الإعاقة والاتجاهــات الاجتماعيــة [٤٦] والتصورات النمطية الجامدة وظروف الإســكان و النقــل وغيرهــا مــن

المعوقات الاجتماعية التي تسهم في تحويل القصور أو العجز إلـــي إعاقـــة حقيقية تحد من المشاركة في فعاليات وخبرات الحياة الاجتماعية

إن قضية تمكين ذوي الاحتياجات الخاصة ودمجهم فـــي المجتمـــع اندماجا كليا هي قضية إنسانية تتعلق بالمجتمع ككل وتحتاج إلي كامل جهوده حتى يتحقق الإقبال الجماهيري و الوعي بها وإزالة المعوقات والاتجاهـــات السائدة التي تعزز المفاهيم الاجتماعية الخاطئة التي تري أن الإعاقة مصدرا من مصادر النقص التي تحط من قدر صاحبها .لأن الناس بطبيعتهـــا تكـــره المواقف التي تؤثر فيها انفعاليا و تجعلها تشعر بعدم الراحة وبالتالي الابتعاد عن مصدر القلق أو علي أحسن تقدير لا يملكون – لأن الناس لم تتعلم بعـــد كيفية التفاهم مع المعوق بشكل سليم ومقبول بدلاً من البعد عنه وتماشيه – إلا أن يشعروا حيال المعوق بالرثاء دون أن تسمح لهم خبرتهم بعمل شئ إيجابي تجاه المعوق بشكل سليم ومقبول بدلا من البعـــد عنـــه وتماشـــية – إلا أن يشعروا حيال المعوق . كما أن الإنسان بطبيعته يخشى ما لا يفهمه و يهـــاب الشيء الجديد أو غير المفهوم والمألوف فمن يشاهد مريضا صرعيا أثنـــاء النوبة الصرعية لأول مرة أو مصابا بالشلل المخي وهو يعاني من التشنجات قد يشعر بردة فعل سلبية تجاه ما يري لأنه لا يفهم له تفسيرا أو تعليلا ممـــا يجعله يقف موقف العاجز الذي لا يدري ما يفعل وقد يسارع بالابتعاد عـــن الموقف (٤٧)

ويذهب William Roth إلى أن إعاقة مثل الشلل المخـــى لا يعـــد مأساة أو كارثة ويقول أن للبيئة دلالة أكثر أهمية من التكوين الجينى ، مثال ذلك الشخص الفقير الذى يعيش فى منزل غير جيد التهوية ومحاط بمصادر التلوث (الرصاص مثلاً) ويصعب التحكم فى درجة الحرارة وهو غير قادر

فى نفس الوقت على تقديم الخدمات الطبية لأطفاله والتـــى تعـــد الإنتـــصار الحقيقى للطب الحديث ، لاشك أن تواجد الأطفال فى مثـــل هـــذه الظـــروف يفضى إلى معاناتهم من إعاقات شديدة وتلقى هذه التصورات مسئوليات جسام على المجتمع لتغيير مختلف الظروف المجتمعية التى تفضى إلى الأعاقة أو التى تعمق حالة الإعاقة لدى المصابين بها (٤٨).

ففى ألمانيا (على سبيل المثال) يتمتع المعوقون بالمساواة مع سائر المواطنين ولهم كل الحقوق والمجتمع لا يحرمهم أو يعوق حـــركتهم حيـــث يتكامل المعوقين مع المجتمع على أساس برنامج حكومى شامل وجامع يقـــدم لهم إجراءات تنسيقية فى مجالات مختلفة من الحياة الإجتماعية فـــى مجـــال الصحة العامة والرفاهية الإجتماعية والتعليم العام والعمل والثقافة بالإضـــافة إلى التعرف المبكر وتعليم الأطفال المعوقين بدنياً وعقلياً وتوضح نمو عملية تحقيق الأهداف العامة للتعليم سواء بطريقة كاملة أو حسب ظروف الإعاقـــة وشدتها . ويعتبر تعليم المعوقين فى الدنمراك ضمن النظام التعليمى العـــادى واندماجهم فى الحياة المدرسية . وتقوم سياسة المدرسة وسياسة المجتمع على خلق صلات وثيقة بين الناس على حد سواء لا فرق بـــين العـــاديين مـــنهم والمعوقين . ونجد فى إيطاليا القانون ينص على التعليم الإلزامـــى للأطفـــال المعاقين مع الأسوياء باستثناء حالات الإعاقة الحادة والتى تعوق الإدماج فى الفصول العادية (٤٩).

ولقد توصلت نتائج البحوث والدراسات الـــسابقة مـــن أن البـــرامج الموجهة لهؤلاء الأطفال أثبتت كفاءتها وفاعليتها فى تنشيط قدراتهم العقليـــة وتحسين مستوى كفاءتهم الشخصية والإجتماعية وتمكينهم من الإنخراط فـــى علاقات وتفاعلات اجتماعية مثمرة مع أقرانهم من العاديين (٥٠) .

ويستخدم أسلوب العلاج الجماعى فى علاج الكثير من المشكلات التى تعانيها الأسرة ، حيث تمثل الجماعة أداة فعالة لعلاج الكثير من المواقف وذلك بتكوين جماعات للمساعدة الذاتية حيث أن هذه الجماعات تتكون من أسر لديها اهتمامات مشتركة ويأتون معاً فى فترة زمنية معينة ويقوم كل منهم بمساعدة الآخر والعمل على حل مشاكله وتعتبر الخبرة الجماعية جزء مهم فى حياة الفرد فاشتراك الأسر الذين يعانون من مشكلات نوعيه فى جماعة واحدة يعطى إحساسا بالأمن . حيث تشعر كل أسرة بأنها ليست وحدها التى تعانى من تلك المشكلات أو الضغوط وانما يشاركها آخرون مثلها ، وذلك يعزز من استعداد كل منهم لمواجهة تلك المشكلات (٥١) .

اشكالية الإعاشة والسكن :- يعمل المعلمون مع الآباء ورجال الأعمال وهيئات المجتمع لتحسين نوعية حياة ذوى الأحتياجات الخاصة على المستوى المجتمعى أو على المستوى المنزلى فبعد إكمال مشوار التعليم نجد السؤال يفرض نفسه .. أين يفضل أن يعيش الأفراد المعاقين ؟ . فبعد الإنتقال من المدرسة إلى عالم العمل يتضمن التعامل مع العديد من الإشكاليات أهمها ازدياد مسئولية ذوى الإحتياجات الخاصة فى الإعتماد على أنفسهم . وهل يعنى ذلك انهم سيظلون معتمدين على أبائهم أم سيكونوا قادرين على العيش بصورة مستقلة . ففى الماضى كان يعيش الأشخاص ذوى الإعاقات المتوسطة والشديدة فى مؤسسات ايواء كامل .

وتوجد الآن خيارات أخرى متاحة لمن لا يرغب من المعاقين فى العيش مع اسرته فى المنزل منها :-

- البيوت المجتمعية : وهى بيئة أقل تقييدا اقتضت العيش فى مؤسسات اجتماعية تتشابه إلى حد ما مع ترتيبات الحياة العادية كلما أمكن .
- بيوت التبنى : يعيش بعض المعاقيين فى أسر بديلة توفر لهم رعاية مؤقته إلى أن يتم توفير ظروف حياة طبيعية بديله لهم . وتوفر بيوت التبنى خبرات حياة ايجابية للمعاقين مثل المشاركة فـى الخبـرات الأسرية العادية وتكوين صداقات ايجابية .
- العيش بصورة مستقلة : وهـى تتـيح فـرص كبـرى للمـشاركة الإجتماعية الطبيعية ، وهذا الأمر قـد لا يتـاح للكثيـر مـن ذوى الإحتياجات الخاصة خاصة ذوى الإعاقات المتوسطة والشديدة منها .
- المؤسسات : وتوفرها الدول لمن لمن لا يستطيعون العيش بـصورة مستقلة [٥٢] .

رابعا نتائج الدراسة الميدانية

يتضح من تحليل استجابات حالات الدراسة الميدانية للشرائح الثلاث (العاملون في مجال تعليم الاحتياجات الخاصة – المهتمـون بقـضايا ذوي الاحتياجات الخاصة : المواطنون والجمعيات الاهلية – اسرة الاطفـال ذوي الاحتياجات الخاصة) كي نمكن لذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع مـا يلي :-

١- العاملون في مجال تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة :

وقد جاءت آرائهم معبره عن معاناه ذوي الاحتياجات الخاصة مـن حيث طريقة معاملتهم وما يرتبط بها من افكار مجتمعية خاطئة وسائده منها ، انه انطوائي ، عديم الثقة في نفسه او في الاخرين .. الي غيـر ذلـك مـن صفات سلبية ، كما اشارت نتائج الدراسة الميدانية الي انه لا يكفي ان نزود

المعوق باداه معينة في شكل اسلوب تعليمي او تدريبي ولكــن الاهــم هــو مساعدته كعاملين في هذا المجال علي تقبل اعاقتة بشكل طبيعــي وواقعــي بالاضافة الي دور افراد المجتمع في الوعي بمتطلباتهم النوعيه مــن خــلال تقديم كافة اشكال الدعم الحكومي والاهلي من تشريعات وخــدمات صــحية واجتماعية وترفيهيه وفرص العمل المناسبة كما اشارة الحالات الــي تــدني كفاءة عدد من زملائهم المعلمين العاملين فــي هــذا المجــال بمــا لا يفــي باحتياجات ومتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة اجتماعيا وتعليميا ، اضــافة الي قصور البرامج اذ ان هناك حالات يتطلب التعامل معها في بيئة معينــة اووفق برنامج خاص يصلح للتعامل مع صاحب الاعاقة علي ضوئ ما يشعر به وما يفكر فية وكيفية تعامله مع الاشياء ، وليس كيفهما يريد غيره له

يؤكد هذا التجربة الرائدة لجامعة اسيوط والتي تتمثل في ان انــسب الحلول في تعليم العاقين يتمثل في عملية التاهيل والتي تنقسم بــدورها الــي رعاية الذات والتنمية (٥٣) وهذا يتطلب التوسع في انشاء مــدراس التربيــة الفكرية كما ذهبت نتائج الدراسات (٥٤) كما يؤكد ذلك تقرير التنمية البشرية (٥٥) ويتضح من تحليل استجاباتهم ما يلي : -

أ – وجود اتجاهات اجتماعية سلبية تجاه المعاقين

ب- النظرة الي المعاق بوصفة عبء اجتماعي لا مردود من ورائة لعجز المعاق عن الإتيان باية سلوكيات تفيد المجتمع

جـ – الاساس في تحسين وضعية المعاقين في المجتمع في العاملين يعتمد علي تغير الاتجاهات والمعتقدات الاجتماعية ، وذلك من خلال برامج توعية افراد المجتمع بكافة قضايا الاعاقه والمعوقين

د- احداث تغييرات هيكلية جوهرية فى النظام التعليمى العــام مــن حيث اطرة التشريعية واجراءاتة ليستوعب المعاقين فى اطاره بتوفير مختلف الفرص التعليمية المتاحة لغير المعاقين .

٢- المهتمون بقضايا ذوى الاحتياجات الخاصة .

وقد جاءت آرائهم متمثلة فى ان نظرة المجتمع تقوم علــى تجنــبهم وعدم تقبلهم خاصة فى حالات الاعاقه الشديدة . يذكى ذلك ســلوك أســرهم بمحالة عزلهم . كما يرون ان المجتمع مسئول مسئولية كاملة ومباشرة عــن رعاية وتعليم وتأهيل ذوى الاحتياجات الخاصــه . وذلــك تغيــر المنــاخ الاجتماعى بما يحقق لهم الاندماج داخل المجتمع والتركيز على ان المعــوق انسان يمكن ان يعطى ولدية قدرات وله قيمه ، والعمل على تصحيح المفاهيم الخاصة بهم لان هذا يمنعه بل يحرمه من العيش فى بيئة اجتماعية ترفــضه وبالتالي تؤثر على خبراته وعلاقته بالآخرين ، كما جاءت آرائهــم متبنيــة لمشكلاتهم وان قضاياهم يجب التعامل معها على انها واجب إنساني واخلاقى قبل ان تعتبر واجبا اجتماعيا ووطنيا ، بل وتهيئة البيئة المناسبة التى تــسهم فى توافقهم وتكيفهم مع اقرانهم االاسوياء من خلال جعل الظروف المحيطــة بهم عادية وعدم اساءة معاملتهم بأى شكل من الاشكال .

ويتضح من تحليل استجاباتهم ما يلى .

أ- العمل على تفعيل الاهتمام بالشخص ذاته وما لدية من قدرات ومميزات خاصة يتم التركيز عليها وتنميتها

ب- تدنى مختلف أشكال المساندة الاجتماعية والنفسية للمعــاقين أسرهم

جـ- المطالبة بتوفير كافه خدمات الرعاية الصحية

د - دعم مؤسسات التأهيل المهنى العاملة فى المجال .

٣- أسر الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة

وقد جاءت آرائهم معبره عن رضائهم بقضاء الله عز وجل وان هذا قدرهم ،آما المجتمع فمشغول عنهم – الا في بعض الأمور الشكلية وغالبا لا تنفذ حسب قول حالات الدراسية المداينة - وما يواجهونه من مشاكل فهى كثيرة ومتنوعة (تمثل فى مجملها عبئا ثقيلا على اهلة) منها ما هو على مستوى الاسرة وتتمثل فى أحاسيسهم بأن طفلهم معاق فهم يقدمون لة كل المساعده وبالتا لى فهم يضرونه لانهم لا يساعدوة على استخدام قدراتة ومحاولة تنميتها – رغم علمهم بذلك – ويقولون ان مثل هذة الحالات تحتاج الى مؤسسات اخرى تتعامل مع الطفل بصورة علمية موضعية خارج اسرتة وهى غير متوفرة في المجتمع الريفى . اما على صعيد المؤسسات والخدمات فهناك قصور واضح على المستوى الصحى والتعليمى اما على مستوى افراد المجتمع فتتراوح النظرة بين الشفقه او الابتعاد والرفض خاصة اذا كانت حالتة من الاصابات الشديدة مما يضطر الاسرة الى القيام بعزلة باعتبارة وصمة عار ارتبطت بالاسرة خاصة فى المجتمع الريفى وقد كشفت بعض الدراسات الميدانية فى هذا المجال على ان اتجاهات الاسرة نحو ابنها المعاق تتمثل فى عدة مراحل تبدأ بالصدمة عند الولادة وعند العلم باعاقة الإبن ثم الانكار ويظهر فى رفض الاسرة اعاقه طفلها والتشكك فى رأى المتخصصين ، يلى ذلك الغضب ، فالشعور بالذنب والحزن ثم التقبل والاعتراف (٥٦)

ويتضح من تحليل استجابتهم ما يلى :

أ – قلة خدمات الرعاية الصحية لهـذه الأسـر وخاصـة خـدمات الاكتشاف المبكر

ب – قصور خدمات التدخل المبكر

ج – محاولة توفير دور الحضانة الخاصة بذوى الاحتياجات

د – العمل على توسيع شبكة العلاقات الاجتماعية لتتمكن هذه الاسر من تجاوز محنة اكتشاف وتشخيص الاعاقة .

أهم النتائج

١- تدني وضعية ذوي الاحتياجات الخاصه فى المجتمع ومعاناتهم من الكثير من المشكلات الاجتماعية والنفسيه الناتجه اصلا عن نظره المجتمع اليهم وليست المترتبة على الاعاقه فى حد ذاتها

٢- لوحظ عدم حصول المعاقين على الكثير من الحقوق والخدمات مقارنه بأقرانهم العاديين

٣- عدم توافر فرص العمل الكافية لذوى الاحتياجات الخاصه حتى فى إطار نسبه الـ ٥% من فرص العمل حسب ما ورد فى القانون وفى حاله عمل هؤلاء الافراد يلاحظ انهم يعملون فى اعمال او وظائف لا تتناسب مع مايرد فى شهاده التاهيل الاجتماعى التى تعطى لهم من مكاتب العمل والشئون الاجتماعيه

٤- العجز المادى وفقر الرعايه الصحيه يزيد من معاناة ذوى الاحتياجات الخاصه وأسرهم وينعكس ذلك على تدنى مشاركتهم فى الانشطه المجتمعيه المختلفه وميلهم للعزله .

أهم التوصيات

باستعراض نتائج البحث يمكن الانتهاء الي التوصيات التالية :

١- الإعاقة قضية اجتماعية في المقام الأول تتخلق في ظل ظروف اجتماعية معينة تحد من تفعيل ما يمكن تسميته بفائض الطاقة لدي ذوي الاحتياجات الخاصة ، وبالتالي فان استغلال فائض الطاقة هذا متوقف علي وعي وادارك المجتمع بمختلف نظمة ذات العلاقة بالتفاعل الاجتماعي والخصائص النفسية والسلوكية للمعاقين ، ومن هنا تاتي وجاهة المناداة بإنشاء مراكز علمية متخصصة لدراسة كافة الموضوعات المرتبطة بالاعاقة والمعوقين

٢- دعم أنشطة وبرامج الجمعيات الأهلية العاملة في مجال رعاية وتربية ذوي الاحتياجات الخاصة بمختلف اشكال الدعم المالي والفني

٣- إنشاء نوادي اجتماعية ورياضية متخصصة توفر سياقا لممارسة ذوى الاحتياجات الخاصة واسرهم كافة الانشطة الرياضية والترفيهية

٤- إنشاء مراكز التدريب والتأهل المهني لإكساب ذوى الاحتياجات الخاصة المهارات التي تمكنهم من العمل المهني بمختلف صيغه لمساعدتهم علي الحياة المستقلة .

أسئلة على الفصل التاسع

١ - ما هى الفرص التى توفرها الدولة لذوى الاحتياجات الخاصة ؟

٢ - اعرض لأساليب تمكين ذوى الاحتياجات الخاصة ؟

٣ - الإعاقة تتخلق أساسا فى ظل ظروف اجتماعية معينة حتى وإن كانت ذات منشأ تكوينى أو وراثى . إشرح ذلك مع التوضيح بأمثلة ؟

المراجع

١- تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٣ معهد التخطيط القومي ، ص ٥٦

2- Hunt,P- (ed) stigma : the Experience of Disability, London, Geoffrey Chapman, 1966

٣- أحمد عبد العزيز البقلى ، قضية تمكين المهمشين ، سلسة قضايا التخطيط و التنمية ، معهد التخطيط القومي ، يوليو ٢٠٠٣ ، ص ص ١٣٠- ١٣٤

4- W. H. O., international classification of : functioning and Disability, 1999, http: // www.who. int / icidh/index- htm-

٥- أحمد عبد العزيز البقلى ، سابق ، ص ١٣٥

6- Manchester, city council, the social Model of disability , 2002

٧- رمضان محمد القذافى ، سيكولوجية الاعاقة ، الجامعة المفتوحة ، الجمهورية العربية الليبية ، ١٩٩٤، ص ص ١٣-٢٠

أيضا : أحلام رجب عبد الغفار ، الرعاية التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة، دار الفجر للنشر و التوزيع ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٣-١٤

٨- فيوليت فؤاد إبراهيم وآخرون ، بحوث ودراسات في سيكولوجية الإعاقة، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠١ ، ص ٧٩

٩- اليونسكو ، المؤتمر العالمي المعني بتعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة : فرصة ونوعيتة ، بيان سلامنكا ، أسبانيا ، ٧-١٠ يونيو ، ١٩٩٤ ص ٦٣

١٠ الكتاب الإحصائي السنوي لعام ٩٨/ ١٩٩٩ ، وزارة الشئون الاجتماعي ، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار ، ، جمهورية مصر العربية ، ١٣٠.

١١- الجريدة الرسمية في ٣ يوليو سنة ١٩٧٥ – العدد ٢٧ ، ص ص ٣١٧١-٣١٩١

١٢ الجريدة الرسمية في٢٦ يونية سنة ١٩٨٢- العدد ٢٥ (مكرر) ، ص ص ٢٧٨١ – ٢٧٨٩

13- ministry of information, state in formation service, Arab Republic of Egypt, year Book , 2002 , P. 162

١٤- اليونسكو ، بيان سلامنكا مرجع سابق ، بند ٦٩، ص ١٠١

١٥فيوليت فؤاد إبراهيم و آخرون ، مرجع سابق ، ص ٠٣

16 – Mike olive, the individual and social models of disability , 1990 , http : // www– . Leeds ac .uk / disability – studies / archiveuk / Oliver/ in %20 Soc. % 2 odis . pdf

17- Richard L. Disability Awareness in action the international . disability and human rights network, 2002

18 – Gerry zarb, Modeling the social Model of disability , critical public health, vol. .6, No . 2, 1995, pp 1-10

19- Hunt,p .(ed) , op . cit .

٢٠ – مصطفي النصراوى ، دمج المعاقين في المدارسة العادية ، مجلة التربية ، عد ١١٥، اللجنة الوطنية القطرية للتربية و الثقافة و العلوم) ، ديسمبر ، ١٩٩٥ ، ص ٨١

٢١- اليانور وتسيد لينش ، بيتي هوالد سيمز ، التخلف العقلي ، دمج الأطفال المتخلفين عقليا في مرحلة ما قبل المدرسة (برامج وأنشطة) ،

ترجمة / سمية طه جميل ، هالة الجرواني ، توزيع مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٩

٢٢- عبد العزيز السيد الشخص ، دراسة لمتطلبات إدماج المعـوقين فـي التعليم العام في المجتمع العربي ، وزارة التربية و التعليم ، المؤتمر القومي الأول للتربية الخاصة (نحو تربية خاصة أفضل ، بحوث ودراسـات فـي التربية الخاصة ، المجموعة الأولي ، الاستراتيجيات و النظم ، القـاهرة ، ١٩٩٥- ص ١٩

٢٣- سعاد بسيونى ، التكامل التربوي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في ضوء مبدأ التربية للجميع ، المؤتمر الدولي الثالث : الإرشاد النفسي في عالم متغير ، مركز الإرشاد النفسي ، جامعة عين شمس، المجلد الأول ، ١٩٩٦- ، ص ص ١- ٦٤

٢٤- رمضان محمد القذافي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٧-٢٢٨

25 sally Beveridge , special Educational Needs in schools , Routledge London , 1995, PP- 111-112.

26- James E. ysseldyke, BoBalgozzine special Education : Apractical approach for teachers, Houghton Mifflin company , Boston, U. S. A, 1995, P 135

٢٧ – رمضان محمد القذافي ، مرجع سابق ، ص ١١

٢٨ – محمد عبد الظاهر الطيب ، سيكولوجية الفئات الخاصة برامج تعلمها منشورات كلية التربية جامعة طنطا ،٢٠٠٤ ص ص ٨-٩

٢٩ – إقبال إبراهيم مخلوف ، الرعاية الاجتماعية وخدمات المعوقين ، دار المعرفة الجامعية

الإسكندرية ، ١٩٩١، ص ٢٢

٣٠ – اليانور وتسيد لينش ، بيتي هوالد سيمز ، مرجع سابق / ص ٨

٣١- إيمان فؤاد الكاشف ، عبد الصبور منصور محمد ، دراسة تقويمية لتجربة دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة مع الأطفال العاديين بالمدارس العادية في محافظة الشرقية ، مركز الإرشاد النفسي ، جامعة عين شمس ، المؤتمر الدولي الخامس : الإرشاد النفسي و التنمية البشرية ، ١٩٩٨ ، ص ٨٣

٣٢- بريان جول أوتول، دليل لخدمات التأهيل في المجتمعات المحلية ، سلسة ارشادات في التربية الخاصة رقم (٨) ، اليونسكو ، ١٩٩١

33- Goldstein, H., Pee, intervention effects on communicative
interaction among handicapped and non handicapped preschoolers, Journal of applied behavior analysis, vol. 19, N2 1992, P . 205

٣٤- عبد العزيز السيد الشخص ، مرجع سابق ، ص ١٧

٣٥- شحاتة هلال شريف ، المعاقون والاندماج في المجتمع ، المشاكل النفسية والاجتماعية للمعاقين ، مجلة التربية ، اللجنة الوطنية القطرية للتربية و الثقافية و العلوم ، العدد ١٨ ، ١٩٩٥ ، ٥٦

٣٦- رونالد كولاروسو ، كولين أورورك ، تعليم ذوي الاحتياطي الخاصة ، كتاب لكل المعلمين ، ترجمة أحمد الشامي و آخرون ، الجزء الثاني ، مركز الأهرام للترجمة و البشر ، ط ، ٢٠٠٣ ص ص ١٧ -٢٥

٣٧- أحلام رجب عبد الغفار ، الرعاية التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة ، مرجع سابق ص ٩

38 - Egan, J, Empowering families of exceptional children . available at http : // auseinet. Flinders . edu.Au / resources / auseinet/ confgg empowering. Pdf, 1999

39- Fahmeeda wahab , Disabled women in rural areas of the region , Development Adviser , Canadian High commission, 1997

٤٠ – رمضان محمد القذافي ، مرجع سابق ، ص ص ٥٣-٥٤

٤١- فيوليت فؤاد إبراهيم و آخرون ، مرجع سابق ، ص ٨٨

42- sally Beveridge , op. Cit , pp. 91-92

43- James E. ysseldyke, BoBalgozzine , op. Cit, p. 134

٤٤- فيوليت فؤاد إبراهيم و آخرون ، مرجع سابق ، ص ١٢٣

٤٥- رمضان محمد القذافى ن مرجع سابق ، ص ص ٨١- ٨٢ .

46- Frank G. Bowe, Birth to five : Early childhood special Education, Dolman p publishers Inc., Washington DC , U.S.A . 2000, P. 427

٤٧- رمضان محمد القذافي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٥- ٢٢٦

48- frank G . ,op. Cit ,p428

٤٩- محمد عبد الظاهر الطيب ، مرجع سابق ، ص ص ٨٧- ٩٣

٥٠ – فيوليت فؤاد إبراهيم و آخرون ، مرجع آخر ، ص ٣٥

٥١- محمد السيد حلاوة ، التخلف العقلي في محيط الاسرة ، المكتب العلمي لنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ ص ص ١٥٨- ١٥٩

52- James E., op . cit. , PP . 481-483

٥٣- عليه محمد حماد الحسيني ، تجربة رائدة لجامعة أسيوط : في رعاية ذوي الحاجات الخاصة ، المؤتمر السنوي الثالث بعنوان " التربية لذوي الحاجات الخاصة " كلية التربية ، جامعة المنوفية ، ١٨-١٩ يوليو ، ١٩٩٨، ص ص ١٦٧-١٧٥

٥٤- سميحة محمد أو النصر ، حنان أحمد رضوان ، تطوير مدارس التربية الفكرية في ضوء الخبره العالمية و دراسة تحليلية ميدانية ، مجلـــة مـــستقبل التربية العربية ، المجلد التاسع ، العدد ٢٨ ، المركـــز العربـــي للتعلـــيم و التنمية، يناير ٢٠٠٣، ص ص ٩٩-١٩٦

٥٥- تقرير التنمية البشرية ، ٩٨-١٩٩٩، معهد التخطيط القـــومي ، ص ٣٧

٥٦ – بدر الدين كمال عبده ، محمد السيد حلاوة ، قضايا ومشكلات الرعاية الاجتماعية للفئات الخاصة (الجزء الاول) ، المكتـــب العلمـــي للكمبيـــوتر والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص ٦٦ – ٦٧ .

المحتويات